

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد البحوث والدراسات العربية

قدسنا

الأستاذ محمود العابدي

[قسم البحوث والدراسات الفلسطينية]

١٩٧٢

قُدسِنا



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد البحوث والدراسات العربية

قدسنا

الأستاذ محمود العابدي

[قسم البحوث والدراسات الفلسطينية]

١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

قيل فى القدس :

تعتبر القـدس المفتاح الاستراتيجى للضفة الغربية من الأردن بأسرها لتوسطها الضفة ولسيطرتها على طرق المواصلات الرئيسية بين منطقة الخليل فى الجنوب ومنطقـة نابلس فى الشمال ــ بالاضافة إلى سيطرتها على الطريق الرئيسية إلى المشرق التى تصل الضفة الغربية بالضفة الشرقيه عبر منطقة أريحا .

يضاف إلى ذلك كون القسم الغربى من أغنى الموارد الاقتصادية فى البلاد طرا ــ لأنها قبلة السياح والحجاج إلى الشرق الأوسط .

هبطت إلى الدنيا عشرة مقاييس للجمال أخذت القدس منها تسعة وتركت واحداً لبقية العالم . وهناك عشرة مقاييس للمعاناة فى هذا العالم ، تسع منها للقدس وواحدة فى سائر البلدان .

هكذا تبدو القدس سجلا مجلداً يضم أساطير وواقعاً امتزجت فيه القرون الوسطى وعصرنا الراهن . إن تاريخ القدس حروب ومآس انصبت فى خلال قرون عديدة على حجارة المدينة المتناهية فى القدم . . ولقد انتقلت القدس من يد إلى يد أربعين مرة وكان الغزو الإسرائيلى الأخير للقدس القديمة سنة ١٩٦٧ هو الاحتلال الحادى والأربعين لهذه المدينة .

واليوم تعيش القدس إحدى صفحات المأساة فى تاريخها . إنها تعانى منذ أربع سنين من وطأة السيطرة الإسرائيلية . ولم تكتف الطغمة العسكرية

باحتلالها بل أخذت تضع الخطط الواسعة لسلخها من واقعها العربى العريق إلى حاضر جديد هو غريب عنها — بل أنها تأباه لأنه تعد على التاريخ وتشويه للقداسة واغتصاب للحق وتزييف للحقيقة .

وقف شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا فى هلال قبـــة الصخرة سنة ١٩٢٣ والتفت جنوباً إلى مكة وشرقاً إلى بغداد وشمالا إلى دمشق وبعث بتحياته لها من هـذا الموقف الجليل . وأصبح من عادته أن يمضى شهراً على الأقل من صيف كل عام فى مدينة القدس . ولقد ذكر فى إحدى محاضراته خلال انعقاد المؤتمر الإسلامى فى بيت المقدس سنة ١٩٣١ أنه سأل مفتيها الحاج أمين الحسينى عن سبب أنه زار بيت الله الحرام فى مكة المكرمة مرة ولا تحدثه نفسه بالعودة إليه . ولكنه ينتظر زيارة القدس كل صيف بفارغ الصبر وهـو يرجو صديقه المفتى تعليلا لذلك ، فأجابه : فى بيت الله الحرام الجلال وفى بيتنا الجمال والإنسان مفطور على حب الجمال وعلى تهيب الجلال . فارتاح لهذا الجواب. وبعد ست سنين وقف فى الهلال مرة أخرى. ولكنه عندما التفت إلى الغرب واخترقت نظراته الحجب ورأى الأحيـاء اليهودية التى أخذت تطوق القدس تشاءم وقال أرجو أن أموت قبل أن أرى الطوق قد أحكم بهذه المدينة العزيزة .

وسأحاول فى هذا الكتاب شرح هذه الأقوال ، بناء على ماتيسر لى من أوثق المصادر وأحدثها، لاسيما تقارير البعثات الأثرية ، وقد استفدت كثيراً مما نقلته عن صحف إسرائيل لإثبات تعدياتها التى لم تنقطع ، وأرجو أن أوضح قولى أن القدس كانت عربية وعاشت عربية وأن الغيمة الحالية عما قريب ستنقشع وستعود المدينة العزيزة عربية بقوة وعزة .

محمود العابدى
المستشار الثقافى فى أمانة العاصمة
عمان

فجر الحضارة فى فلسطين

كانت فلسطين دائماً بلداً فقيراً ولكنها فى الوقت نفسه كانت جسراً يربط القارات — فهى من أهم المناطق التى تتقابل فيها القوافل . وكان لا بد للطريق الموصلة من جزيرة العرب إلى منطقة البحر المتوسط من أن تمــر بفلسطين . وكذلك كانت فلسطين حلقة الاتصال بين حضارات مختلفة هى حضارة مصر وحضارة ما بين النهرين وحضارة الحثيين وحضارة شمال الجزيرة العربية . لذا كان فى فلسطين نماذج لحضارات مختلفة وهى التى تركتها الثقافات المتعددة والمتتالية فى تلك العصور .

وكان الأستاذ كايرن ستانلى فشر — الذى ساهم فى حفريات جامعة بنسلفانيا فى العراق ومصر وفى أمكنة أخرى فى السنوات الأخيرة — كان يفضل أن يجرى فى فلسطين كل أعماله حيث يجد المرء نماذج لأنواع مختلفة من الثقافات ، فمثلا اذا وجد حجراً فى أحد الأيام فإنه سيجد رسالة مكتوبة بالخط المسمارى فى حفريات اليوم التالى ، وفى يوم تال سوف يعثر على قطع نقود إلى شخص فلسطينى جلبها من بحر ايجه وجاب معها أسمى حضارة غربية .

لقد أصبحت فلسطين من أهم مناطق عالم ما قبل التاريخ الانسانى الأول وأشير إلى ثلاثة مواقع مشهورة لأبين أهمية فلسطين لعصور التاريخ الأولى — فقد عرف أخيراً أن لوادى الأردن الشمالى أهمية فريدة بالنسبة للتاريخ الانسانى الأول . فقد اكتشف قرب طبرية بقايا إنسان من عصر ما قبل العصر الجليدى الأول . وهو عصر الإنسان الزنجاني الذي كشفت آثاره

فى شرق أفريقية. والآن توافرت لنا مثل هذه البقايا فى وادى الأردن الشمالى من فلسطين فى قرى الصيادين فى بيوت عنان (قرية للصيد فى شمال طبرية مبنية من الحجارة تحتوى على آثار بشرية من تاريخ سحيق فى القدم).

كما أظهرت حفريات المس غارود فى سفوح الكرمل وفى جنوب عتليت حضارة من عشرة آلاف سنة حينما كان صاحبها يعيش فى أكواخ من حجارة كبيرة ربما يعاصر ما عثرت عليه كنيون فى أريحا وديانا كير كبرايد فى البيضا بجوار البتراء.

الحضارة الناطوفية :

كان لوادى ناطوف (وادى خريطون على بعد ثمانية أميال فى الجنوب الشرقى من بيت لحم) حضارة من أبرز مظاهرها أدوات من الحجارة الرقيقة والشقف الصغيرة من مختلف الأشكال وغاية فى الرقة، ذات حد واحد مستقيم أو هلالى الشكل.

سكن الناطوفيون كهوف الجبال ومحاجىء الصخور على المنحدرات الشرقية والغربية لجبال القدس والخليل، على الصيد، فقد وجدت عظام الغزلان وسنارة السمك صنعت من العظام ومعها نبال قاطعة، كما كان للمنجل حد قاطع وطرف عريض وله مقبض من العظم. وقد جمعت كميات من الأدوات الصوانية كان لبعضها مقابض من العظم.

اعتاد الناطوفيون أن يدفنوا موتاهم تحت مساكن الأحياء فى المغاور وكانوا يلفون الجثة بلفائف من الكتان. واستعملت النساء الأصداف الصغيرة فى زينتهن وكانوا يحصلون على الأصداف المناسبة من شواطىء البحار. فظهرت الأصداف على أغطية الرأس وعلى شكل مروحة تتدلى على كلا الجانبين من الوجه. وحتى رمم الموتى وجدت مزينة بقلادة مصنوعة من الأسنان المثقوبة أو من أظلاف الغزلان أو من عظام منقوشة. وظهر من

حفريات المس غارود سنة ١٩٥٧ أن الناطوفيين بدأوا تدجين الكلاب .

موقع القدس :

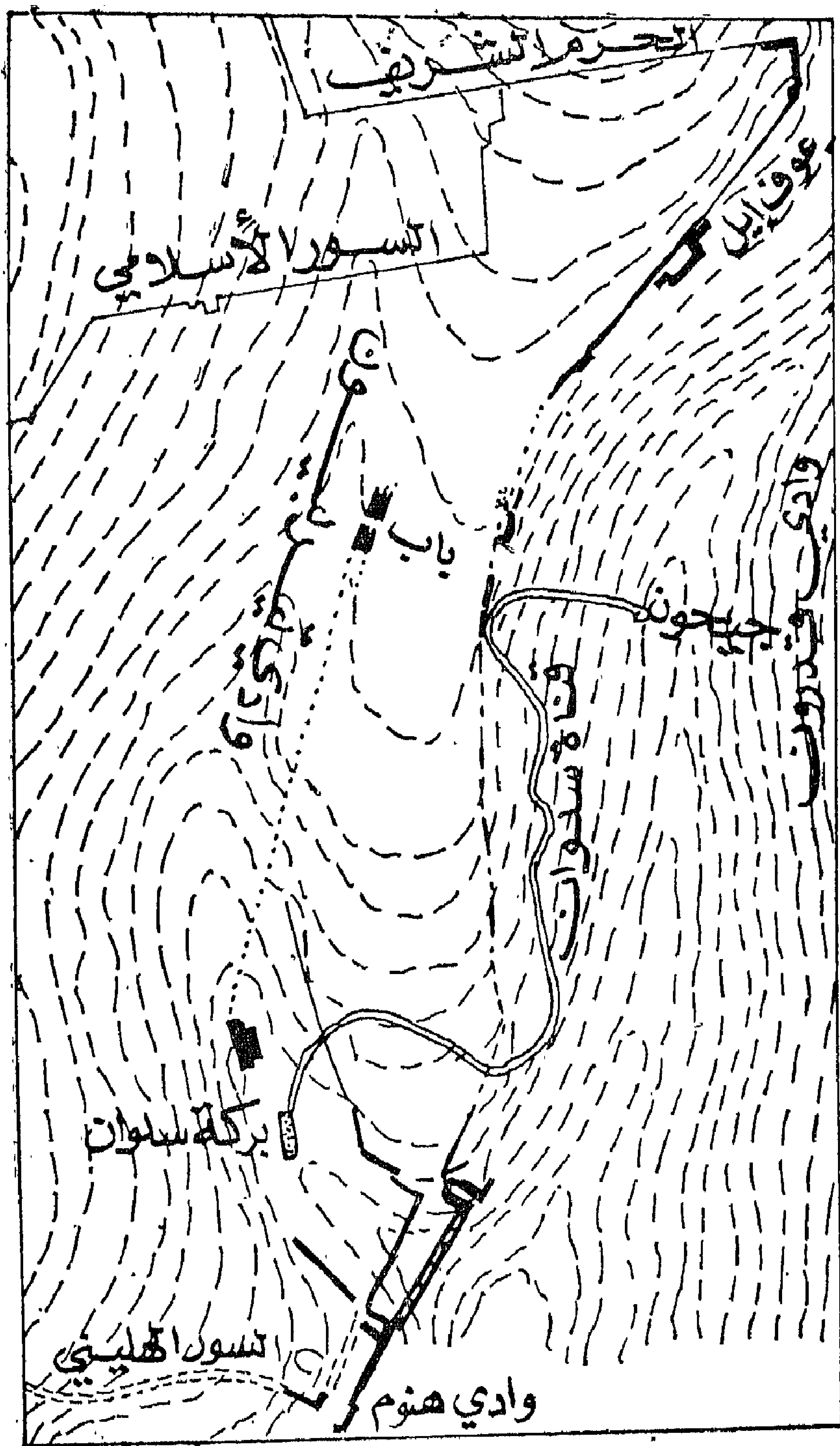
كان موقع القدس مسكوناً منذ فترة الاستقرار والتحضر الأولى بدليل ما وجده المنقبون من نماذج الفخار التي وجدت في قبر على منحدر تل عوف إيل (الذي سماه الرومان أوفيل) جنوب المدينة الحالية — ذلك التل الذي كان نواة للمدينة اليبوسية التي سبقت المدينة الإسرائيلية . وقد أرجع العلماء هذا الفخار إلى العصر البرونزي القديم (٣٠٠٠ — ٢١٠٠ م ق. م) .

قامت القدس القديمة على تل الظهور (أوفيل) وهو موقع غير مناسب لمدينة يراد لها الاتساع ، إذ يلف حولها من الشرق وادي قدرون وينحدر بالتدريج للجنوب الشرقي وعرضه أقل من مئتي متر . ويجري فيه خلال الشتاء والربيع جدول ولكنه يجف في الصيف . ويتصل قدرون في الجنوب بوادي هنوم (جهنم) الذي يمتد إلى الغرب نحو نصف ميل ثم يدور إلى الشمال . وأخيراً يتصل بوادي تريبيون (باعة الجبن) الذي يمتد شمالا ، وهكذا يكون موقع القدس القديمة محاطاً من ثلاث جهات بالوديان ولا يتصل مع مستوى الأرض إلا من الشمال . وهذا يمدها بدرع واق من هجمات الأعداء .

وهناك سبب أهم لاختيار هذا الموقع لمدينتنا هذه، هو وجود عين العذراء على جانب وادي قدرون جنوب شرقي الموقع .

يمتد وادي تريبيون من باب العمود شمالي المدينة مسافة نحو كيلو متر ونصف حتى يلتقي بوادي هنوم في الجنوب . وترتفع الآكام في شرقيه وفي غربيه نحو ٥٠ — ١٥٠ قدماً ومن كثرة هدم المدينة وتراكم الأنقاض امتلأ وادي تريبيون بها .

بني اليبوسيون أول حصن لهم في تل أوفيل ، بمساحة نحو سبعين



(١) موقع القدس القديمة

دونماً (١) وأخذت المساحة تتسع عند لزوم التوسع، بسبب كثرة السكان وذلك ببناء سلاسل يملأ خلفها بالصخور والأتربة لتوفير مساحات جديدة حتى امتدت الأبنية إلى ما يقارب العين . هذه هى المدينة التى فتحها داود حوالى سنة ١٠٥٠ ق.م . (انظر صورة ١) .

ومنذ أيام سليمان وما بعده إلى أيام المكابيين ١٦٧ ق . م أخذت بعض الأبنية التى تقام على السفح فى غربى وادى تريبون إلى أن اتصلت إلى تلة صهيون حيث تقوم القلعة الحالية ومقام النبي داود . وهو أعلى من أوفل بنحو ثمانين قدماً فى شمالى أوفل حفر خندق عمقه عشرون قدماً ليفصل المدينة عن صخور الشمال وبنى فيه سور. هذا الخندق هو الواقع بين المتحف ومقبرة باب الساهرة إلى حى المصرارة . والمرتفع الصخرى يسمى تل اكرا وفى أسفله مغارة الهدمية حيث بنى موقف السيارات الحالى . وفى جنوب الخندق محاجر سليمان والسور الحالى .

ولقد وصف المؤرخ يوسيفوس مدينة القدس فى أيامه (منتصف القرن الأول بعد المسيح) بقوله المدينة مبنية على تلين الواحد مقابل الآخر ، بينهما واد يشطرهما . والبيوت متقابلة على طرفى التلين والتل الغربى (صهيون) أعلى من التل الشرقى (المريا) الذى كان أوطى من تل اكرا .

صخر القدس الأعلى كلسى رملى فيه بعض الصوان ، كما يرى الآن فى صخور بناية الروضة وفى محاجر سليمان . والأسفل حجر كلسى أبيض سهل النحت صالح للبناء ، لأنه يقسو عندما يتعرض للهواء ، وهذا ما سهل على السكان حفر الآبار والحياض العظيمة والأنفاق الكبيرة. وكان لها شأن عظيم فى تاريخ المدينة(٢) .

---

(١) الدونم ألف متر مربع .

(٢) جغرافية الكتاب المقدس وتاريخه ص ٦٠ — ٦٣

حرمنا قبل هيكلهم :

على الظهرة المعروفة فى تاريخ الرمان باسم أوفيل المحرفة عن اسمها العربى القديم (عوف إيل) تكثر الكهوف التى سكنها الكنعانيون القدماء منذ الألف الثالث قبل الميلاد وبعد حياة طويلة بدأ الكنعانى يبنى بيتاً فوق المغارة وبقربها. ومن هذه المبانى البسيطة ظهرت مدينة دعوها باسم الههم ساليم فعرفت باسم (يوروساليم) واشتهر من الكنعانيين عشيرة اليبوسيين التى كان لها فضل تزويد المدينة بالماء فى نفق شقوه تحت الأرض من عين جيحون (عين العذراء) فى سلوان إلى عين أم الدرج فى ساليم .

وفى أوائل القرن العشرين قبل الميلاد عرف من رجال ساليم (ملكى صادق) وكانت أهم مظاهر حضارة عصره نشوء عبادة (ايل عليون) أى الله العلى . ومع ظهور كهنوت يمارس قربان الخبز والخمر التى أصبحت رمزاً لكهنوت المسيح الذى جاء بعد هذا العصر بألفى سنة . وتقول الرسائل إلى العبرانيين (أحد الكتب المقدسة فى المسيحية) أن ملكى صادق كان رمزاً للمسيح .

وهكذا كانت ساليم مدينة مقدسة لله العلى مالك السماوات والأرض. وفى هذا الزمن وصل إلى كنعان ابراهيم الخليل كشيخ عشيرة معه ٣١٨ مقاتلا وبسبب قلة رجاله لم تنشأ بينه وبين الكنعانيين أية حروب، بل عاش مسالماً لهم. ولكن عندما غزا ملوك ابن أخيه لوطاً الذى كان يسكن فى سدوم وعمورة فى جنوب البحر الميت ، نصر ابن أخيه واسترد له كل ما كانوا قد سلبوه .

وفى رجوع ابراهيم من هذه الغزوة وعند اقترابه من ساليم استقبله ملكى صادق بالخبز والخمر واستضافه فى الكهف الذى كان يتعبد فيه تحت صخرة بيت المقدس . وبعد أن تحادث الرجلان قليلا قدم ابراهيم عشر ما كان معه

لملكى صادق، معترفاً له بأنه كاهن الله العلى (١) ولذلك عرف بأنه الملك العادل البر الرحيم. إنه لم يعرف النساء قط ولا أراق دما ولا أكل سوى الخبز وعصير العنب. وعندئذ قال ملكى صادق تبارك ابراهيم من الله العلى، مالك السماوات والأرض وتبارك الذى دفع أعداءك إلى يديك. ولم يسمح إبراهيم لمحاربيه بدخول ساليم لأنها مدينة محرم فيها القتال.

ولما أراد الله أن يمتحن إيمان إبراهيم بتقديم ولده قرباناً له وكان إبراهيم فى جنوب كنعان، ألهمه الله أن يعود إلى ساليم ليقدم قربانه فى حرم ملكى صادق على جبل المريا من تل عوف أيل (٢) ولم يأمره بالذهاب إلى المذبح (المحراب) الذى أقامه فى شكيم (بلاطة شرقى نابلس) أو فى بيتين (بيت أيل من قضاء رام الله) ولقد احترم اسحق بن إبراهيم وابنه يعقوب حرم ملكى صادق اليبوسى الكنعانى. وتصفنا التوراة نحن العرب بأننا أبناء كنعان. واستمر هذا المكان حرما مقدساً حتى أيام داود الذى أراد أن يبنى عليه بيتاً لرب إسرائيل. ويقول كعب الأحبار ان سليمان بنى بيت المقدس على أساس قديم(٣).

يسأل اليهود ومن شايعهم: لم يقدس المسلمون الحرم؟ أمن أجل أنبيائنا ابراهيم واسحق ويعقوب؟ أم من أجل ملوكنا داود وسليمان.

نجيبهم: لقد وجد إبراهيم ملكاً كنعانياً عربياً يقدس هذا المكان

---

(١) وأنا أقول قد يكون ملكى صادق هاديا لقومه اليبوسيين كما جاء فى الآية السابعة من سورة الرعد «ولكل قوم هاد».

أو أنه كان نذيراً لأمته الكنعانية كما جاء فى الآية ٢٤ من سورة فاطر «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير».

أو أنه من الأنبياء الذين لم يقصصهم الله على نبيه كما جاء فى الآية ١٦٤ من سورة النساء «ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك».

(٢) سفر التكوين ١٤ : ١٧ — ٢٤ و ٢٢ : ١ — ١٩.

(٣) عروبة بيت المقدس للدكتور الحسينى ص ٤٢.

واعترف إبراهيم بقداسة مكان المسجد الأقصى وشرع يضحى فيه بابنه. وهذا هو حرمنا الأول ومسجدنا الأقصى الأول وجاء سليمان بعد ألف سنة وأقام فيه هيكلا للرب .

لم يقل التاريخ ان إبراهيم كان يهودياً وإنما يقول الإسلام أنه هو أول نبي للإسلام وإنه والد اسماعيل الذى هو جد العرب . فإذا قلنا بالعنصرية فابراهيم أبونا وإذ قلنا بالدين فابراهيم نبينا ونحن نصلى ونبارك عليه فى صلواتنا كل يوم خمس مرات .

يؤمن المسلمون بنبوة كل من داود وسليمان بدليل هذه الآيات الكريمة التى وردت فى حقهما . وهى أقدس وأطهر مما ذكرته التوراة لكل منهما .

الهيكل الثالث بناه هيرودس بن انتيباطر الأدومى من عسقلان والذى اعتنق اليهودية لطمع فى الملك وكانت أم هيرودس عربية من الأنباط . زد على ذلك أنه كان من دعاة نشر الثقافة الرومانية . لهذه الأسباب فإن كثيرين من المتمسكين بيهوديتهم لم يدخلوا هيكل هيرودس إذ عدوه من عمل الأمم غير اليهود.

العبران :

كان ابراهيم شيخ عشيرة عرفت بالعبران . وتعنى لفظة عبران القبائل الرحل التى كان يتحرك معها فقرها وبؤسها بحثا عن الرزق بالغزو أو بالحرب لأجل الغير، مقابل أجر معين ـ أى أنهم كانوا جنودا مستأجرة أو رعاة ، ولقد غزا بعضهم مصر وحكموها مدة من الزمن وسماهم المصريون الهكسوس ـ أى الغرباء .

هاجم الهكسوس مصر حوالى سنة ١٦٧٥ ق . م فى إبان ضعفها وكان الهكسوس يستخدمون الحصان فى غاراتهم كما استعملوه فى جر العربات الحربية. وهذه أسلحة لم تكن مصر تعرفها فى السابق . ولذلك فتحوا مصر وحكموها واتخذوا مدينة هوارس عاصمة لهم فى شرقى الدلتا ليكونوا على

اتصال بموطنهم الآسيوى الذى قدموا منه ومن هنا عرفهم البعض باسم الهوارة القدماء والذين ظهر اسمهم هذا مرة أخرى فى أيام ابراهيم باشا فى أوائل القرن التاسع عشر. ولقد أثبت الدكتور باهور لبيب(١) الخبير بالآثار المصرية أن الهكسوس هم العبران . ومن هنا كان عطفهم على أقربائهم أولاد يعقوب (اسرائيل) .

كما أن لفظ عبرى مرادف لكلمة خابيرى المصرية الذى كان يدل على شعب معين يتألف من طائفة من الغرباء الذين كانوا مستضعفين فى بادىء أمرهم. وكذلك استعمل لفظ عبرى للتعبير عن هذه الفئـــة البائسة الشقية التى كان أفرادها يتضورون جوعا وكان من المألوف أن يباع العبرى ، رجلا كان أم امرأة فى أسواق الرقيق ، فيفقد حريته ويكدح فى الأرض عبدا ذليلا .

ولقد ورد لفظ عبرى فى سفر صموئيل الأول (٧ : ١١—١٢) مرادفا للجبن والخذلان. ولم يستخدم هذا اللفظ فى العهد القديم نعتا قوميا للاسرائيليين أو اليهود قبل قيام دولة اسرائيل أيام داود وسليمان . وزعم اليهود أن ابراهيم أطلق على مدينة ساليم اسم يوراشليم ثم خففه علماء التوراة حتى أصبح أورشليم — أى مدينة السلام ، كما يزعمون .

ولكن اسم ساليم استمر حيا حتى ورد فى رسائل تل العمارنة عندما أرسل ملكها عبد حيقا أو عبدى خيبا يستنجد بالفرعون أمنوفيس الثالث من قبائل النجيرى التى أخذت تهاجم غربى آسيا فى القرن الخامس عشر، كما أن سليمو أو سالم ذكرت فى سجلات سنحاريب ملك أشور فى عداد المدن التى تدفع له الجزية .

وسماها اليونان هروسوليما ولكن مؤرخهم هرودوت سماها (قديس) كما سمعها من سكانها العرب المعاصرين له .

(١) القدس لمحمد صبيح ص ٤٦

بعد الموجة الكنعانية الأولى تتابعت على بلاد كنعان (التى عرفت فيما بعد باسم فلسطين) خلال القرون التالية موجات، بين كبيرة وصغيرة من شبه جزيرة العرب أدت إلى صبغها بالصبغة العربية وتدعيم حق العرب وإرساء أصولهم فيها. ولا يزال معظم سكان القرى الفلسطينية يتحدرون من الأصول الكنعانية.

قالت مس نيوتن البريطانية .

فالعرب ، لا اليهود أصحاب تلك الصلة التاريخية ، الثابتة ، المتمادية ، غير المنقطعة . وعن العلامة المحقق المشهور السير «جيمس فريزر» : «إن الناطقين بالعربية من فلاحى فلسطين ، هم ذرارى القبائل التى استوطنت فلسطين قبل الغزوة الإسرائيلية وإنهم مازالوا متصلين بالأرض ، لم ينفكوا عنها ولا اقتلعوا منها ، ولئن طغت عليهم الفتوحات فإنهم ثبتوا وأقاموا(١) .

ورد فى توراة اليهود أن العرب كانت لهم ممالك وملوك فى البادية. وهناك نشيد فى التوراة يشبه جمال امرأة سمراء بخيام العرب التى كانت تصنع من شعر الماعز .

ولقد أنقذت قافلة اسماعيلية يوسف وأخرجته من البير وباعته فى مصر والتوراه تعنى بالاسماعيليين العرب .

كان فى جنوب الخليل عشاير بنى عناق وبنى كلاب من العرب الأشداء الذين كان داود يخشاهم ويتجنب الاحتكاك بهم . ولما هاجم يشوع مدينة ساليم اليبوسية وجد أن ملكها (أدونى صادق) قد حصنها بالأسوار والقلاع فامتنعت عليه وظلت زمناً طويلا تقف فاصلا بين ما فتحه الاسرائيليون فى فى شمال كنعان وفى جنوبها .لذلك صمم داود على فتحها ومنها يبسط نفوذه على ما جاورها من الأقطار وكانت قداستها دافعاً ثالثاً .

لذلك أعد داود جيشه وسيره بقيادة ابن أخته القائد يؤاب نحوها وحاصرها

(١) خمسون عاماً فى فلسطين ص ١٤٥ .

طويلا حتى علم بنفق كان اليبوسيون قد حفروه ليصلوا منه إلى عين جيحون في وادى قدرون، فتسلل منه وظهر فجأة فى داخل المدينة . ولما بشر خاله بهذا الفتح أسرع داود من الخليل التى كانت عاصمته أكثر من سبع سنين وانتقل إلى ساليم اليبوسية وبنى لنفسه قصراً على تل عوف إيل أوفيل كما بنى لرجاله البيوت ليعيشوا حوله بين اليبوسيين . وكان ذلك فى سنة ١٠٥٠ ق. م.

ولما استتب الأمر لداود فى ساليم أراد أن يستبدل الخيمة التى كان يجتمع فيها الإسرائيليون للعبادة ببيت من الحجر ، يناسب دولته الحضرية ، فأعجبه بيدر أرنان اليبوسى على قمة تل المريا والذى كان فى وسطه غار ملكى صادق وحرمه السابق الذكر . ولكن الله قال لداود « لن أمكنك من شرف القيام بهذا العمل المبرور لأن يدك ملطخة بدماء الحروب التى خضتها ولأنك اغتصبت بيدر اليبوسى (هذا ما تقوله التوراة) وسيكون تحقيق هذا العمل على يدى ولدك سليمان .

ولما هم سليمان ببناء قصر له لم يجد فى إسرائيل حجاراً ولا دقاقاً (نحاتاً) ولا بناء ولا نجاراً . ولذلك طلب من حليفه حيرام ملك صور الفينيقى (الكنعانى العربى) تحقيق رغبته فى هذا البناء فأرسل له مواد البناء والصناع الماهرين من لبنان ، فبنوا له قصراً واقتطعوا منه هيكلا للعبادة طوله مئة قدم وعرضه ثلاثون قدماً . وكان طرازه كطراز البناء الشائع فى المعابد الوثنية فى ذلك الزمان وهو يتجه من الشرق إلى الغرب .

ولما تم بناء الهيكل نقل إليه تابوت العهد . وهو صندوق فيه لوحان من الحجر نقشت عليهما الوصايا العشر ووضعه فى حجرة داخلية بين تمثالين من خشب الزيتون المذهبة ولهما أجنحة (كاروبيم) .

وربط اليهود مصيرهم بمصير القدس منذ أن قام لهم فيها ملك ولو أنه لم يعش أكثر من سبعين عاماً وارتبط الهيكل بمصير بيت داود وتعلق أملهم فى الخلاص بعودة الملك إلى ذلك البيت فى آخر الزمان . من هنا جاء شك المتمسكين بالدين الموسوى بالنظام الجمهورى .

يقول البحاثة رينيه ديسو فى مؤلفه «مكتشفات رأس شمرا والعهد القديم» إن داود لفظة آرامية شمالية وجدت فى حفريات مارى للدلالة على قادة المرتزقة أى أولئك الذين كانوا يقودون المحاربين والمأجورين — إما لحسابهم أو لحساب أى مستأجر — أو كليهما معاً — وينطبق مفهوم هذه اللفظة على الأجير داود — الذى أصبح بلعبة الحظ رأس العائلة المالكة فى حلف يهوذا فى الجنوب الفلسطينى(١) .

من قراءة التوراة نفهم أن أيام داود الأخيرة كانت محزنة جداً، بسبب الفساد الذى استشرى بين أولاده الذين كانوا من أمهات كثيرات — مما أدى إلى تنافسهم على وراثة العرش ورافق ذلك عصيان وتمرد على هذا الأب فى شيخوخته — فاضطر للهرب إلى شرقى الأردن حتى مات ميتة محزنة. وكان إبنه سليمان يشارك فى أعباء الحكم . وهو إبنه من امرأته بث شبع أرملة أوريا الحثى .

وقد انتقل هذا الفساد إلى حكم سليمان . ومما زاد فى صعوباته أنه مال إلى تقليد الملوك المعاصرين ومجاراتهم فى مظاهر العظمة لا سيما فى بناء القصور — ناسياً فقر دولته . وترتب على ذلك أنه مد يده للاستدانة وإلى رفع الضرائب على الشعب الفقير. وعلى أثر وفاة الملك سليمان انقسمت مملكته بين ولده رحبعام وبين قائد جيشه يوريعام وسميت حصة الأول بمملكة يهوذا. ومن هنا يبدأ اسم اليهود فى التاريخ وبقيت أورشليم عاصمتها . وسميت حصة الثانى مملكة إسرائيل وانتقلت العاصمة من شكيم (بلاطة فى شرقى نابلس) إلى ترزه (تل الفارعة) للشمال من نابلس وأخيراً إلى السامرة (سبسطية) شمال نابلس . واستمر العداء بين الدولتين حتى تم القضاء عليهما وفى وسط هذه الفوضى زحف جيش الفرعون شيشق على فلسطين حتى وصل إلى أورشليم فدخلها دون مقاومة تذكر واستولى على ما كان فى الهيكل

---

(١) هانى المفتى : ملف النهار ص ٤٨ — ٤٩ .

من نفائس واعتبرها حقاً للأميرة المصرية التى كانت زوجة للملك سليمان وعاشت ردحاً من عمرها فيها.

هذا الغزو المصرى شجع دولة أشور على أن تزحف على مملكة إسرائيل وتشن عليها عدة حروب، كان آخرها سنة ٧٢٢ ق. م فاستولى سرجون الثانى على العاصمة السامرة وقضى على استقلال الدولة وسبى سكانها.

وتقدم جيش آشور للاستيلاء على أورشليم أكثر من مرة. ولقد حصن حزقيا ملك يهوذا عاصمته أورشليم لتقف فى وجه الغزو الأشورى وربطها بمصدر المياه عبر نفق سرى جديد فى باطن جبل أوفيل. فرجع عنها الأشوريون سنة ٧١٠ ق.م.

ولئن نجت يهوذا من الفتح الأشورى فإنها لم تنج من البابليين — ففى سنة ٥٨٧ ق. م دخل نبوخذ نصر ملك بابل مدينة أورشليم ونهب الهيكل وأحرقه وهدم أنقاضه وسبى كل الرجال القادرين على حمل السلاح. كما أخذ جميع أرباب الصنع والمهن وترك غير اليهود من سكان فلسطين فى ديارهم.

ومما يجدر ذكره أن حكومتى العبران بعد سليمان كانتا محسوبتين على دولة من الدول المعاصرة فى وادى النيل ووادى دجله والفرات وأنها لم تحكم السهل الساحلى الذى ظل لأصحابه الفلسطينيين. ولقد جاء فى كتاب ه. ج. ويلز مختصر تاريخ العالم. . كان اليهود أشبه بشخص أصر على أن يقيم فى طريق مزدحم لابد وأن تطأه العربات والأقدام المسرعة. ومن البداية حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء فى تاريخ مصر وسوريا وأشور وفينيقية..

الهيكل الثانى:

كان من نتيجة سبى اليهود إلى بابل أن اقفرت أورشليم وتجنبها كل المارين من حولها إلى أن سقطت بابل على يد قورش ملك فارس وعندئذ تقرب /

المسبيون منه ، فرضى عنهم وخيرهم بين البـــقاء فى بابل وبين الرجوع إلى فلسطين. ففضل كثيرون منهم البقاء فى وسط حضارى على الرجوع .

وعاش الذين عادوا بين أقوام تـكنّ لهم العداء الشديد .ومما زاد فى كره المقيمين فى البلاد احتقار هؤلاء العائدين لهم ووصفهم بالشعوب غير الصافية الأصول . وأصبحت كل فئة تعود من جديد تحتقر التى قبلها وتصمها بأنها مشوبة ، كنتيجة للاختلاط بالزواج من الشعوب الأخرى وقد أدى هذا التنافر والكره بينهم إلى ظهور الانشقاق السامرى ، لاسيما بعد أن طرد نحميا زعيم اليهود العائدين طرد منسى حفيد الكاهن الأعظم إيليا شب واتهمه بأنه سمح لعشيرته بمصاهرة الشعوب المختلطة الدماء ،فذهب منسى إلى السامرة واستقبله حاكمها سنبلط بالترحاب وبنى له هيكلا على جبل جرزيم جنوب شكيم لينافس هيكل أورشليم .واتسعت شقة الخلاف بإضافة المنافسة الدينية إلى المنافسة العنصرية التى قام عليها الخلاف الدينى وما زال إلى عصرنا هذا .

لذلك هيج سنبلط حاكم السامرة العرب الذين كانوا فى جيشه ليمنعوا اليهود من تجديد الهيكل واستعان بزعيم عربى آخر هو جشم ملك عرب قيدار (حول المدورة بين الأردن والسعودية حالياً) واستعان الزعيمان بطوبيا العمونى صاحب عراق الأمير فى وادى السير غربى عمان ، الذى استطاع أن يؤلب بعض زعماء اليهود المقاومين لنحميا . وأخيراً انضم إلى هـذا الحلف أمير أشدود الفلسطينى وبدأوا عملهم بأن قالوا للملك فارس «فتش فى أخبار بلادك لتعلم أن هذه المدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد . وقد عملوا عصياناً منذ الأيام القديمة لذلك خربها الله . ونحن نعلم الملك أنها اذا بنيت وكملت أسوارها أنها لا بد وأن تخرج من يده وتثور عليه خلال شهر » ويظهر أن تهديدات الحلف واحتجاجاته لم تثمر واستمر العائدون فى البناء أربع

سنين ٥٢٠ — ٥١٦ ق . م . وجاء الهيكل الثانى أقل من الهيكل الأول الذى بناه سليمان وهدمه نبوخذ نصر .

اليونان والرومان :

وعندما ضعف حكام الفرس حول اليهود ولاءهم واخلاصهم إلى القوة الجديدة التى نشأت فى بلاداليونان . ولما اقترب اسكندر المكدونى من أرشليم خرج أحبار اليهود يستقبلونه بألبستهم البيضاء على جبل (سكوبس) المشارف شمالى القدس وقدموا له الخضوع وسموا كل مولود لهم فى تلك السنة باسم اسكندر ، فكافأهم على ذلك باعفائهم من الضرائب عن كل سنة تبدأ بيوم السبت ، ولكن خلفاء الاسكندر اضطروا للتدخل فيما بين الأحزاب والطوائف اليهودية المتناحرة ، وأخيراً جاء انطيوخوس ملك سوريا السلوقى إلى القدس ، وأباح المدينة ونهب الهيكل ، وأمر بنصب تمثال زفس (رئيس آلهة اليونان) فى الهيكل وبذبح الخنازير فيه ، وحظر عليهم الاختتان وأجبرهم على الشغل يوم السبت . وكان يقتل كل من يخالف أوامره . وبذلك كان يقضى على الدين اليهودى حتى ظهر المكابيون واستقلوا فى مملكة صغيرة إلى أن دخل بومبي القائد الرومانى مدينة القدس سنة ٦٣ ق . م . وجعلها ولاية رومانية .

الهيكل الثالث :

فى سنة ٣٧ ق . م نصب الامبراطور أغسطس قيصر هيرودس الكبير ملكا على اليهود . وهو من أب أدومى ، وأم عربية ، وكان أبوه قد اعتنق اليهودية تقربا من اليهود ، وقد اشتهر هيرودس بميله إلى الحضارة الرومانية ولذلك كان اليهود يعدونه أجنبياً غريباً . وكانوا ينفرون منه كلما تحبب اليهم . فتقرب منهم ببناء الهيكل . ولقد ذكر يوسيفوس فى تاريخه :

« لما استقر أمر هيرودس ، وقوي سلطانه ، وأمن على جميع بلاده وقع

فى نفسه أن يهدم الهيكل الثانى ويبنيه ، مثل البناء الأول الذى بناه سليمان . فجمع اليهود على اختلاف طبقاتهم فى السنة الثانية عشرة من ملكه وقال لهم ان الله أحسن إلينا وبسط ملكنا وصارت بلادنا عامرة ولم يبق لنا مدينة ولا موضع إلا واستعدناه إلى ما كان عليه ، من كمال العمارة وحسن البناء ، إلا بيت الله الذى هو أشرف المواضع وأجلها ، فإنه لم يرجع إلى ما كان عليه لأن آباءنا الذين عادوا من السبى فى زمن قورش الفارسى بنوه على المقدار الذى رسمه لهم قورش. ولم يمكنهم مخالفته لأنهم كانوا عبيد الفرس ولم يستطيعوا أن يتباهوا فى بنائه ، لقصر أيديهم فى ذلك الوقت . ثم صاروا طائعين لليونان . ولم يتمكن المكابيون من تعميره بسبب اشتغالهم بالحرب. أما نحن فقد كفانا الله كل ما نخافه وأسبغ علينا نعمه ، وقد بنينا كثيراً من المدن فى أحسن بهاء ، وأجمل رونق ، ليعظم بها قدركم ويحسن ذكركم ، إذ كل ما نفعله منسوب إليكم ونخره عائد عليكم . ولا يجوز لنا والحالة هذه أن نترك بيت الله ناقصاً ، ونحن قادرون على اكماله . وقد أحببت أن أنقضه ثم أبنيه على حدوده الأولى واجتهد فى حسن البناء وكمال الصنعة . وبذلك نقيم عماد ديننا ونعلى مجدنا ونعيد نخرنا ، فما الذى ترونه فى ذلك ؟ »

فأمسك القوم ولم يجيبوا هيرودس بشىء ، لأنهم خافوا أن يهدم الهيكل فلا يقدر أن يتم بناءه .

فقال لهم هيرودس : قد علمت الذى تخافون منه وأنا لا أهدم شيئاً من الهيكل ، إلا بعد الفراغ من تحضير مايحتاج إليه من الحجارة والخشب والحديد والنحاس والرخام والجوهر والفضة والذهب وغير ذلك من الأصناف والعدد والآلات . فلما نظر الناس إلى جميع المستحضرات التامة ، نشطوا إلى البناء ، بعد أن اتفق رأيهم عليه . فهدم هيرودس الهيكل الثانى إلى أساسه وبناه على حدوده الأولى وزاده فى مواضيع زيادات كثيرة »(١) .

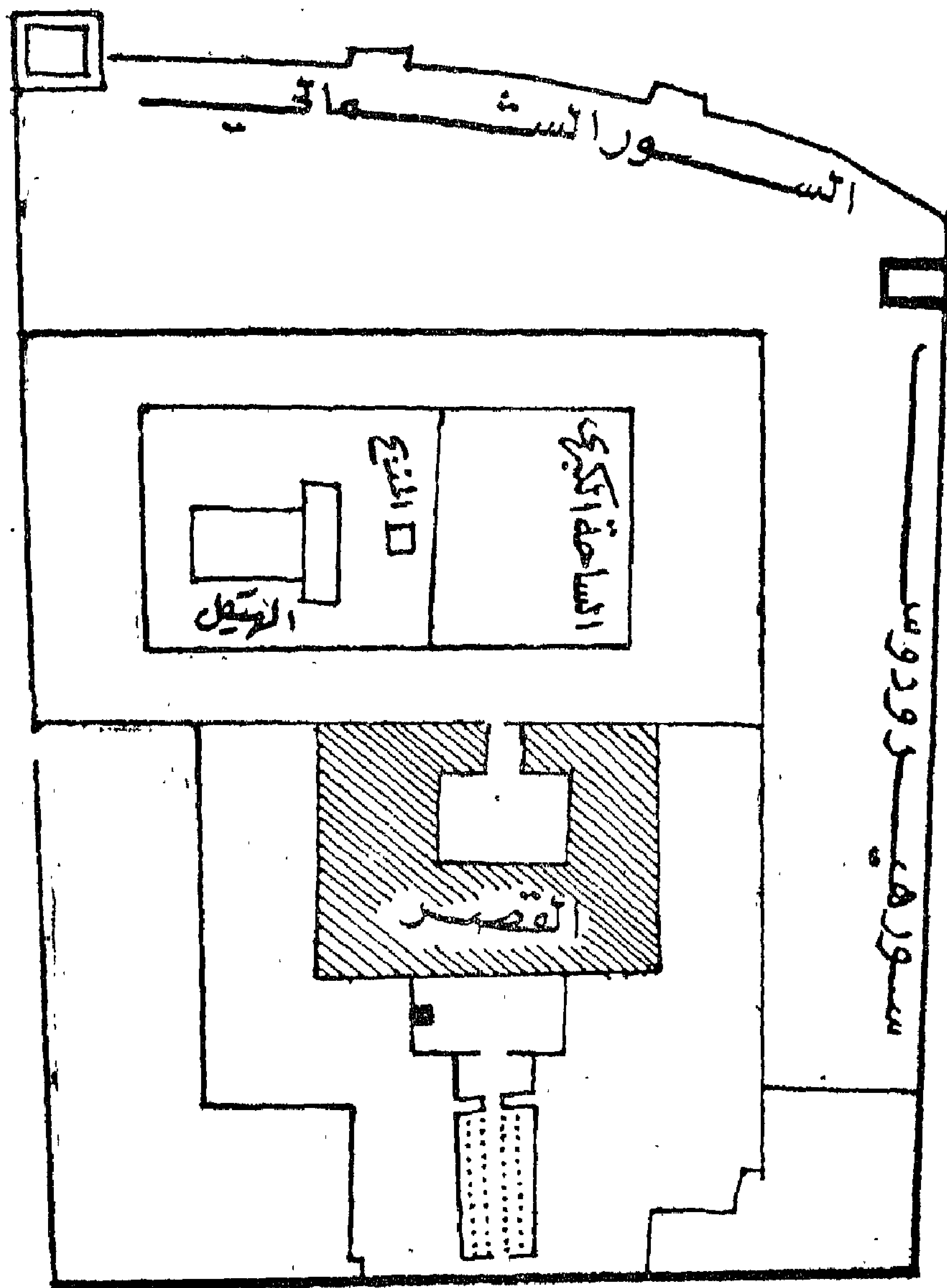
(١) تاريخ سيفوس اليهودي ص ١٨١ — ١٨٣ .

كان هيكل هيرودس مدينة قائمة بذاتها بلغت مساحتها ٢٠ فداناً . وبذلك أصبح مضاعف ما كان عليه سابقاً ، بما ألحق به من أروقة وساحات متصلة فكانت الساحة الأولى قد أعدت سوقاً لبيع القرابين ، ويسمح لغير اليهود بالتجول فيها . ثم تأتى ساحة معمدة يعاقب الغريب (غير اليهودى) على تخطيها بالموت، تلى ذلك ساحة لا تتعداها النسا ، فساحة لا يتعداها الرجال ، فساحة الكهنة ، فمذبح التضحية العظيم . وفى الداخل يقع المخدع ، الذى لا يدخله غير كعب الأحبار ، مرة فى كل عام (انظر صورة ٢) .

وكان بناء الهيكل الرئيسى محاطاً بصفين من الأعمدة الرخامية الهائلة وفى الساحة الجنوبية قامت أربعة صفوف من الأعمدة ، تعلوها تيجان كورنثية.وعندما تم العمل أقام الملك الأفراح والليالى الملاح، ولبست القدس أبهى زينتها ، لاسيما عندما أمها زوار من كل الأمم المجاورة . ولم ينس هيرودس أن يقيم الألعاب الرومانية المنتشرة فى ذلك الزمان ، والتى كان يحبها بنوع خاص التقدميون . ولكن أتقياء اليهود نظروا إلا هذه الحفلات نظرهم إلى نجاسات مغلظة ، أزالت كل فضل لهيرودس ، لاسيما عندما أراد أن ينصب النسر شعار الدولة الرومانية — وجب نصبه زلفى وترضية .

ثورة اليهود الأولى :

بعد وفاة هيرودس الكبير عادت فلسطين ولاية رومانية ، فحنق اليهود وبيتوا الغدر للوالى الرومانى الذى عينه الامبراطور الطاغية نيرون ، لاسيما عندما طمع الوالى فى أموال الهيكل وهم بنقلها . فقاومه اليهود ومنعوه. وعندئذ أمر جنوده بالبطش بهم ونهب بيوتهم ، فاضطرمت لظى الثورة واحتل الثوار مركز القيادة فى برج أنطونيا شمال غربى الحرم (المدرسة العمرية حالياً) وهرب القائد الرومانى إلى قيسارية على الساحل ، واضطر نيرون أن يرسل القائد فسبسيان إلى سورية والياً وقائداً . فأبحر من روما حتى وصل إلى عكا



(٢) صورة مخطط هيرودس

بستين ألف محارب ، واسترجع من الثوار طبريا وجسكلا (الجش) شمال صفد والسامرة واريحا . وفى طريقه إلى القدس بلغه نبأ وفاة نيرون ، فعاد مسرعا إلى روما ، حيث نادى به أتباعه امبراطوراً وترك مهمة إخماد ثورة اليهود إلى ولده تيطس الذى أسرع بمغادرته قيسارية إلى القدس، مارا بقرية جفنة . وقد وزع جنوده على المرتفعات التى تحيط بالقدس وتهيمن عليها كجبل الطور وجبل سكوبس وجبل النيكافورية.وكانت القدس تغص باللاجئين إليها من جميع أنحاء فلسطين ، لاعتقادهم إن الله لا يسمح باعطاء مدينته وهيكله وقدس أقداسه إلى غير شعبه . وحتى فى هذه الساعة الحرجة استمر اليهود على شقاقهم ونزاعهم ، وظل كل زعيم من زعمائهم يحارب وحده . ففى قلعة هيرودس بباب الخليل كان سمعان وفى برج أنطونيا كان يوحنا الجشى (من جسكلا) وكان حماة الهيكل بقيادة العازار .

ضيق تيطس الحصار وأخذت منجنيقاته تفتح كل يوم ثغرات فى السور وانتشر الوباء ومات الناس جوعاً حتى استولى الغيظ على جندى رومانى . فأصبح فى حالة جنونية . ودون أن يتلقى أى أمر من قائدة ودون أن يشعر بخطورة عمله ، خطف مشعل نار ووقف على كتف رفيقه وألقاه فى النافذة الذهبية التى تؤدى إلى المحراب بالهيكل ، فشبت النار وتصارخ اليهود صراخا عالياً ، وتعادوا إليها لكى يطفئوها . احترق الهيكل وامتدت ألسنة اللهب إلى أنحاء المدينة ، وبقيت مشتعلة مدة شهر حتى لم يبق فى القدس سوى ثلاثة أبراج وقطعة من سور الهيكل التى يدعوها اليهود اليوم بجدار المبكى ودخل تيطس المدينة الخربة سنة ٧٠ م وذبح جنوده من بقى من سكانها اليهود وهرب من كان فيها من النصارى إلى فحل (بيلا القديمة التى تقابل بيسان شرقاً) ورجع تيطس منتصراً إلى روما .

وقبل أن تسقط القدس بنحو مئة عام كتب فيلو المؤرخ الاسكندرانى أن اليهود أكثر عدداً من أن يسعهم قطر واحد. ولهذا السبب فإنهم ينتشرون

فى معظم أنحاء آسيا وأوروبا والأقطار الداخلية فى الجزر. وقد طبع اليهودى على الهجرة واستيطان العالم، فهو ابن العالم قبل أن يكون ابن فلسطين. ثم جاء تدمير الرومان مدينة أورشليم قاضياً على آماله الوطنية ومشجعاً على الهجرة أكثر من ذى قبل.

الثورة الثانية :

بتراخى الأيام أخذ اليهود يعودون إلى خرائب القدس ويبنون فيها ما يشبه أوكار الأرانب وأعشاش الطير، حتى إذا مرت ستون سنة من خرابها، حرك أحد سكانها روح الثورة على الرومان وادعى أنه المسيح الذى سينقذ أمته من استعباد الرومان ويخلصهم من ظلمهم، واسمه سمعان ابن الكوكب (باركوكبا) فتبعه عدد كبير أزعج بهم حكومة روما وأقلقها ثلاث سنين، إلى أن أرسل الامبراطور هدريان قائده سفيروس والذى التحم مع عصابات اليهود فى سفوح قرية بتير (غربى القدس) فقضى عليها سنة ١٣٥ م. ونتيجة لهذه الثورة الثانية محا هدريان اسم أورشليم من الوجود وبنى على أنقاضها مدينة رومانية صرفة سماها (إيليا كا بيتولينا) Elca Capitolina وحرم على اليهود الاقتراب منها. وبنى فى موضع هيكل سليمان معبداً لجوبيتر وزينها بالأبنية الوثنية والملاهى والحمامات. وطرد اليهود إلى الجليل، فنقلوا مجمعهم (السنهدريم) إلى صفوريا قرب الناصرة ورجع المسيحيون من فحل وتمتعوا فى القدس بهدوء نسبى. ولكنهم لم يبنوا أية كنيسة فى مكان الهيكل. ولا يبعد أن تكون الأقبية التى تحت المسجد الأقصى والتى تعرف اليوم باسطبل سليمان — هى بقايا ايليا كا بيتولينا.

خلفاء هيرودس :

يعتبر هيرودس من أعظم الذين خدموا مدينة القدس ورفعوا من شأنها

ولا سيما فى الأبنية — فإليه يعود الفضل فى تشييد الهيكل الثالث على الطراز الرومانى . كما بنى فيها عدة قصور نعرف منها واحداً فى جبل صهيون وآخر فى باب الخليل وثالثاً فى شمالى الحرم ، حيث تقوم الآن المدرسة العمرية والذى تحول فيما بعد إلى البلاط الذى يقيم فيه الوالى الرومانى عند وجوده فى القدس ، وأخيراً تحول إلى ثكنة تركية ، كما بنى فيها الأبنية العسكرية كقلعة باب الخليل التى ما تزال أسس جدران أبراجها ماثلة للعيان وبرج أنطونيا الملاصق للقصر الشمالى . وأضاف إلى ذلك الأبنية المدنية كالحمامات والمدرج . ولكن موقفه من المسيح هو الذى شوه حياته .

لم يخلف هيرودس واحد من أبنائه يملأ مقعده، فألغى الرومان هذا الطراز من الملك وجعلوا البلاد ولاية رومانية وجعلوا قيسارية — بين يافا وحيفا — مقراً للوالى الرومانى نظراً لارتباطها بالبحر وانتقاصاً وتقليلا من قيمة القدس .

وكان من أشهر ولاة الرومان فى فلسطين بيلاطس البنطى الذى دامت ولايته أكثر من عشر سنين ٢٦ —٣٦ م . ومن خدماته للقدس أنه ربطها بطريق مبلط مع قيسارية على البحر غرباً وبطريق آخر ربطها مع أريحا شرقاً . ولما رأى أن ماء آبارها لم تعد كافية لحاجات سكانها، الذين بلغ عددهم خمسين ألفاً ، حفر قناة أجرى فيها مياه برك سليمان فى جنوب بيت لحم حتى صبت فيها ، وأخذ يهتم بنظافة شوارعها ورصفها ببلاط يسهل المشى عليه ، ومع كل ذلك كان اليهود يكرهونه كمستعمر ويسببون له المصاعب ، فوصفها بأنها مدينة الدسائس والفتن .

ومن أشهر من حكموا القدس كان أغريباً (٤١ —٤٤م) حفيد هيرودس الكبير ومشى على طريقة جده فى البنيان والعمران — شيد القصور والأروقة وكانت معظم أبنيته على تل بزيثا حيث تقوم المقبرة الاسلامية بين باب العمود

وباب الساهرة . ولكن أهم أعماله البنائيه أنه بنى السور الثالث لتدخل فيه الأحياء الجديدة التى بنيت فى القدس . ولشدة تعلقه بالحضارة الرومانية فإن البعض يحسبه رومانياً . وقد حكم سبع سنين (٣٧—٤٤) .

تبرير تعلق اليهود بالحائط الغربي :

جاء فى سفر الملوك الأول ٨ : ١١ — أن الحضور الالهى يملأ هيكل سليمان لأن مجد الرب يملأ بيت الرب ، وعلى هذا الأساس ما فتىء اليهود يعتبرون الهيكل من أقدس الأماكن المقدسة لديهم. ولذلك أخذوا منذ أجيال خلت — وما زالوا حتى الآن ينوحون على خراب الهيكل ومن هنا نشأت عادة مجيئهم إلى بقايا وآثار المكان الذى كان فيما مضى بيتاً للرب كى يقوموا عند الحائط بالبكاء والنواح .

ويزعم اليهود أن هذه العادة ترجع إلى أقدم الأزمنة — أى إلى ما بعد خراب الهيكل ويدعى اليهود بأن ذلك يؤيده ما ورد فى سفر ارميا ٤١ : ٥ حيث قيل أن ثمانين رجلا جاءوا من مختلف أنحاء البلاد وبيدهم تقدمات ولبان ليدخلوها إلى بيت الرب . ولما كان الهيكل غير قائم فى ذلك الحين فلا بد من أن التقدمات كانت توضع فى المكان الذى كان الهيكل قائماً عليه . وكان اليهود يأتون إلى الحائط حتى فى الزمن الذى لم يكن فى مدينة القدس أحد من مواطنيهم تقريباً . ويعتقد اليهود أن « الكوتيل معرافى » الحائط الغربى لا يمكن هدمه على الاطلاق لأن الحضور الالهي (السكينة) مستقر فيه على الدوام .

وقد ورد ذكر نواح اليهود عند الحائط فى أغلب كتب السياح الذين زاروا فلسطين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد جاء فى القسم التاريخى من دليل السياح عن فلسطين المعروف باسم بيدكر المطبوع سنة ١٩١٢ أن اليهود كانوا يترددون للصلوات عند الحائط — صلوات كان يتلوها الشماس وترددها جماعات المصلين .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر ازدادت إقامة التضرعات عند الحائط ازدياداً كبيراً بسبب نمو الشعب اليهودى فى فلسطين وبوجه خاص فى القدس (١) .

بكاء اليهود أمام الحائط الغربى(٢) :

الشماس	جماعات المصلين
من أجل الهيكل العظيم	نقف بذلة وحدنا وننوح
من أجل أسوار هذه المدينة المقدسة الساقطة	« « « «
من أجل مملكتنا التى بادت	« « « «
من أجل رؤسائنا الذين ماتوا	« « « «
آه .. تحنن يا رب على صهيون	وأجمع شتات أبناء أورشليم
آه .. أعد سابق مجدك لصهيون	وانظر إليها راحماً

وهكذا يصرفون أوقاتهم واقفين على الأرجل . ولم يكن يسمح لهم بالجلوس على الكراسى حتى سنة ١٩٦٧ .

الأسراب :

فى أسفل تل أوفل حجر كلسى أبيض لين سهل النحت مكن الأهالى من حفر الحياض العظيمة والأنفاق الكبيرة التى تملأ أرض القدس وكان لها شأن عظيم فى تاريخ المدينة المحزن . وفى هذا الوادى كانت تجـــرى مياه

(١) من شهادات اليهود أمام لجنة البراق سنة ١٩٣٠ كما وردت على صفحة ٣٢ من كتاب الحق العربى فى الحائط الغربى للدكتور وليد الخالدى — بيروت .

(٢) ص ١٨٩ من كتاب محنة بيت المقدس للمؤلف .

المدينة من الشمال إلى الجنوب وكذلك مياه المجارى إلى حيث يلتقى تربيون بهنوم .

فى سنة ١٩٣١ استنتج مدير آثار فلسطين المستر هملتون أن هناك مجرى تتسرب منه المياه من باب العمود عبر الوادى إلى أن يخرج من الجنوب . فأجرى حفراً تجريبياً هبط به إلى شارع مبلط وقد بنى على أعمدة وغطى بسقف من الطراز البيزنطى . ثم قاده البحث إلى شارع أوطىء منه ولكنه يعود إلى العصر الرومانى . ولدى التمعن فى خريطة الفسيفساء فى مادبا تبين هذا الشارع واضحاً عليها . كما اتضح له شارع آخر يبدأ من باب العمود ولكنه يجرى تحت سوق خان الزيت الحالى حتى يجتاز موقع كنيسة القيامة وينتهى قرب باب الخليل تقريباً . وقد بنى السوق البيزنطى على السوق الرومانى وهكذا فإن القدس الحالية اسلامية تحتها ايليا الرومانية البيزنطية أو أورشليم قبل هدريان (انظر صورة ٣) .

ماؤها :

القدس شحيحة المياه ، لقلة العيون . ويظن أن عين العذراء هى عين جيحون القديمة التى كانت منقطعة دورية تجرى مياهها من ممص طبيعى فى الصخر يفيض بحسب سقوط المطر ، وقد حفر اليبوسيون نفقاً فى صخور أوفل تجرى فيه المياه من العين لتصب فى بركة سلوان . وكان هذا النفق يعد من العجائب الهندسية القديمة . وكانت البركة داخل أسوار المدينة القديمة . مساحة البركة ٥٢ قدماً مربعاً منها يستقى سكان المدينة وهناك قناة أخرى تحمل ما يفيض من هذه البركة إلى بير أيوب التى تبعد نحو أربعمائة متر إلى الجنوب الشرقى ، حيث يلتقى وادى قدرون بوادى هنوم . وكان سكان القدس القديمة يتكلون جميعهم على الحياض الصخرية ما خلا عين العذراء — الصيفية الوحيدة وهذه البرك .



(٣) خريطة القدس مصنوعة من الفسيفساء موجودة في إحدى كنائس مادبا . وعلى اليسار منها يظهر باب العمود ويخرج منه شارع يخترق منتصف المدينة، وفوقه شارع آخر

اكتشافها :

فى سنة ١٨٣٣ كشفت فى القدس قناة ماء مكشوفة حفرت فى الصخر أيام اليبوسيين. وفى سنة ١٨٩٠ اكتشفت قناة أخرى ولكنها مغطاة أى محفورة فى داخل الصخور ليجرى فيها الماء من عين جيحون فى أراضى سلوان شرقاً لتصب فى بركة على سفوح القدس غرباً. وتنطبق صفاتها على بركة شيلون (سلوان) المذكورة فى التوراة وهى التى أمر بحفرها حزقيا ملك يهوذا حوالى سنة ٧١٠ ق. م وقد وجدت فيها كتابة نقلت إلى متحف استنبول. هذه ترجمتها :

قد انتهى الحفر وقبل أن التقى معول العامل الواحد بمعول العامل الآخر — والبعد بينهما ثلاث أذرع كان العمال يسمعون نداء بعضهم البعض فى الجهتين المتقابلتين. وفى آخر يوم من أيام الحفر لمست المعاول — بعضها بعضاً، وكان علو الصخر فوق رؤوس العمال مئة ذراع، ثم جرت المياه إلى الخزان على طول ألف ومائتى ذراع.

زيارتها :

بعد ظهر الأحد فى العشرين من تشرين الأول سنة ١٩٢٤ أخذنا مدرس التاريخ فى دار المعلمين بالقدس الأستاذ درويش الحاج ابراهيم (المقدادى) بملابس الرياضة إلى عين سلوان الواقعة فى الجنوب الشرقى من القدس — فى الوقت الذى تكون فيه المياه على أقل ما تكون عليه فى فصول السنة. لقد خلعنا نعالنا ووضعناها على رؤوسنا ورفعنا سراويلنا القصيرة إلى أعلى ما أمكن ثم نزلنا إلى الماء وخضناه، فكان أحيانا يصل إلى الوسط وأحياناً لا يبلغ أعلى من الركب وكان ارتفاع القناة يتراوح بين ذراع وذراع ونصف كما كان يتراوح ارتفاعها بين ذراع ونصف وأربعة أذرع ونصف ذراع. وكنا نلاحظ آثار المعاول فى الصخر وقد تغير اتجاه الحفر مراراً عندما

ظهر للمهندسين أن العمال خرجوا عن الجهة المطلوبة . إلى أن وصلنا إلى منتصف القناة ، وهنا أشار الأستاذ إلى مكان كتابة كانت قد حفرت فى سقف القناة ثم نزعت عندما اكتشفت سنة ١٨٩٠ وأرسلت إلى اسطنبول . وقد أظهر لنا ضوء الشموع الباهت هذا المكان الذى كان قد كتب عليه ما ترجمته (... الحفر ... وهذا تاريخ الحفر ... لما ... المعاول أحدها مقابل الآخر على بعد ثلاثة أذرع من التقاء الحفر ، سمع العمال ينادون إلى جهة أخرى إلا أنه وجد فى الصخر ربدة — زيادة — فى الصخر قبل إتمام الحفر فيه على اليمين وعلى الشمال . وقد تقاربت معاول العمال ثم جرت المياه من النبع إلى البركة على مسافة مئتى ذراع — ومئة ذراع كان الارتفاع فوق رؤوس العمال) وهى أقدم كتابة عبرية وجدت فى فلسطين ، وهذا يعنى أن الحفارين ابتدأوا من الطرفين والتقوا فى الوسط .

وبعد أن قطعنا ٥٣٣ متراً وصلنا إلى مغارة عمقها ثمانية أمتار يصب فيها الماء وتسمى عين أم الدرج ثم صعدنا درجات أوصلتنا إلى الخارج .

القدس في العصر المسيحي

وضعت العذراء مريم ابنها السيد المسيح في بيت لحم . ولما كان هرودس ملك القدس أمر بقتل كل مولود في تلك السنة — حتى لا يكون ملكا بعده — هربت مريم بابنها إلى مصر حيث مكثت أربع سنين حتى علمت بوفاة الملك،فعادت بولدها ليعيش معها في بلدة الناصرة في فلسطين . ولقد شب المسيح عيسى بن مريم على حب الخير ومساعدة المحتاجين . لذا أحبه الناس وكان حريصاً على أن يأتي ليحضر عيد الفصح في هيكل القدس ككل يهودي تقي . وكانت تصرفات رجال الهيكل من أحبار اليهود لا تعجبه . وأصبح يشعر بوجوب إصلاح الحال عن طريق تصحيح المفاهيم ، بعد أن ساءت حسب رأيه . وكم كان يشعر بالألم والمرارة عندما يرى العداء الشديد بين زعماء فريق الفريسيين والصدوقيين في القدس ، ولذا كان يوجه إليهم قارص الكلام لا سيما عندما كان يلاحظ جشعهم وحبهم المفرط للمال .

وقد سجل الإنجيل رحلة له عندما كان عمره اثنى عشر عاماً ليشترك في العبادة،أول مرة في الهيكل وليسأل معلمي أمته العظام (كهنة الهيكل) الأسئلة التي حملتهم على العجب .وفي انجيل لوقا ٢ : ٥٢ وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عندالله والناس . وكانت الفرص الكثيرة تسنح ليسوع أن يحصل على نسخ من أسفار أمته ويفهم ما تحويه فهما تاماً . وظهرت له حاجة خراف بيت اسرائيل الضالة الماسة التي أخرجته من عزلته في الناصرة ليشرع في عمله العظيم .

وفي صغره تعرف على أعمال ابن خالته يوحنا (سيدنا يحيي بن زكريا)

وقد عمده يوحنا بماء الأردن فأخذ يعلم ويعظ ويرشد فى القرى اليهودية ، كما كان يفعل يوحنا . وكم تألم عندما علم أن هردوس الثانى قد أعدم يوحنا لأنه انتقد سلوكه الشائن عندما طلق امرأته النبطية ليتزوج أرملة أخيه — وهو أمر لايجيزه شرع اليهود . فترك منطقة القدس وعاد إلى منطقة الناصرة وتوسع فى وعظه وتعليمه واختار عدداً من التلاميذ ليكونوا من أقرب المقربين إليه شخصياً وليحملوا الرسالة التى أراد أن يبلغها لأمته وللعالم . وكان تأثيره بالغاً فى الذين يقابلهم . ولو أنه سمح للجماهير المتحمسة التى كانت تتبعه أن ينادوا به ملكا لكان استوى على العرش ، لأنهم آمنوا أنه كان يشعر باحتياجات كل الجنس البشرى ورغائبهم . ولقد قام بأعظم خدماته فى الشمال الغربى من بحيرة طبرية .

ولما اشتهر أمره وذاع صيته أرسل الكهنة من القدس الكتبة ليصطادوه بكلمة ويثيروا عدم الثقة به والمقاومة له حتى فى نفوس تلاميذه . وهكذا وجد نفسه يحيط به بغتة الأعداء المشككون الحاقدون .

ولما شعر هردوس انتيباس بخطر تعاليم المسيح حاول أن يقتله كما قتل يوحنا المعمدان ، فصمم المسيح على أن ينقل نشاطه إلى القدس حتى يموت فيها ، فمر بأريحا وبيت عينا (العيزرية) التى اختارها لتكون مأواه بعد أن يمضى النهار فى القدس ويعود فى المساء إلى بيت عينا .

وفى ثانى يوم عاد فرأى الكهنة والصيارفة وباعة الحمام يتاجرون فى الهيكل فقام يسوع بطردهم . واشتد إحساسه بالمصيبة عندما رأى اقبال الناس على تقديم الهبات والنذور والتقدمات التى يستولى عليها الكهنة فى النهاية . فانتقدهم بشدة وعلانية . لذلك صمموا على التخلص منه . ولما رأى علامات الشر بادية منهم أسرع بالخروج من المدينة حتى وصل إلى جبل الطور فالتفت إلى القدس وقال : ياأورشليم .. ياأورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة

أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها . ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » ، وفي اليوم التالي عاد المسيح من بيت عينا إلى القدس راكباً أتانا . ولما رآه الذين قدموا إلى القدس فى موسم عيد الفصح من جميع أنحاء فلسطين تذكروا أنه المسيح الموعود ليخلص شعب اسرائيل ويكون ملكا من نسل داود ، فالتفوا حوله حاملين شعانين النخيل وأغصان الشجر التى أخذوا ينثرونها فى طريقه ، كما أخذ بعضهم يفرش له ثيابهم ليدوس عليها ، وهم يحيونه بتحيات الملك من نسل داود . وعلى هذه الهيئة دخل القدس ، مما ألهب شعور العداء فى قلوب اليهود ، وباشر وعظه فى الهيكل . ولم يسمح للملتفين حوله بمقاومة كهنة الهيكل عندما أظهروا له العداء . وفى المساء عاد إلى بيت عينا ولكنه فى الليل عاد إلى القدس وقضى ليلته فى معصرة زيت كانت فى بستان فيه ثمان زيتونات ويعرف اليوم ببستان جسثمانى فى وادى قدرون . وهنالك ألقى القبض عليه جنود الرومان وساقوه للمحاكمة .

المحاكمة :

تقول الأناجيل أن يهوذا الاسخريوطى سلم سيده المسيح وهو يصلى فى بستان الجثمانية — فى الوادى الواقع شرقى القدس — إلى اليهود فحاكموه بتهمة أنه خارج عن الشريعة الموسوية ثم حوكم عند بيلاطس الحاكم الرومانى بتهمة أنه لا يعبد الامبراطور . فحكموا عليه بالموت صلباً فحمل صليبه وخرج ليصلب على أكمة تدعى الجلجثة — أى الجمجمة — كانت خارج سور القدس فى ذلك الزمان . وكانت عادة الرومان أن لا يأذنوا بدفن المصلوب . إلى أن تقدم رجل غنى من الرامة ، اسمه يوسف ، فطلب جسد المسيح من بيلاطس الرومانى ، فأذن له به فأخذه ودفنه فى قبر كان قد أمر بنحته فى الصخر ليدفن فيه .

قصة صلب المسيح ودفنه وقيامته من القواعد الأساسية فى الديانة المسيحية .

ولم يهتم المسيحيون كثيراً بادىء الأمر للمكان الذى صلب فيه المسيح ولا للمكان الذى قبر فيه ، لأنهم كانوا مضطهدين. ولما ثار يهود القدس على الرومان سنة ٧٠ م زحفت الكتائب الرومانية على القدس وأخمدت الثورة بالعنف. وبعد ستين سنة قامت الثورة الثانية التي أخضعها الامبراطور هدريان سنة ١٣٥ م فأمر بهدم المدينة وتأسيس مدينة جديدة باسم (ايليا كابتولينا) كما أمر أن يبنى فوق قبر المسيح هيكل لعبادة فينس ونصب تمثالها فى أعلاه .

كنيسة القيامة :

وبقى أمر المسيحيين ضعيفاً حتى اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية ، وجعلها الدين الرسمى للحكومة ، ثم جاءت أمه الملكة هيلانة إلى مدينه إيلياء (القدس) فى سنة ٣٢٦ م وأخذت تفتش عن المكان الذى صلب فيه المسيح والمكان الذى قبر فيه . وبعد البحث والتحرى وجدتهما فأمر ابنها ببناء كنيسة على تل الجلجثه فى المكان الذى جرى فيه الصلب وكنيسة أخرى على مكان القبر ، بعد أن هدم هيكل فينس . ولقد هدم الفرس هاتين الكنيستين سنة ٦١٤ م . وعندما استرجع (هرقل) قيصر الروم مدينة إيليا من الفرس بعد عشر سنين أعاد البناء . وحول هاتين الكنيستين نشأت معابد ومزارات أخرى .

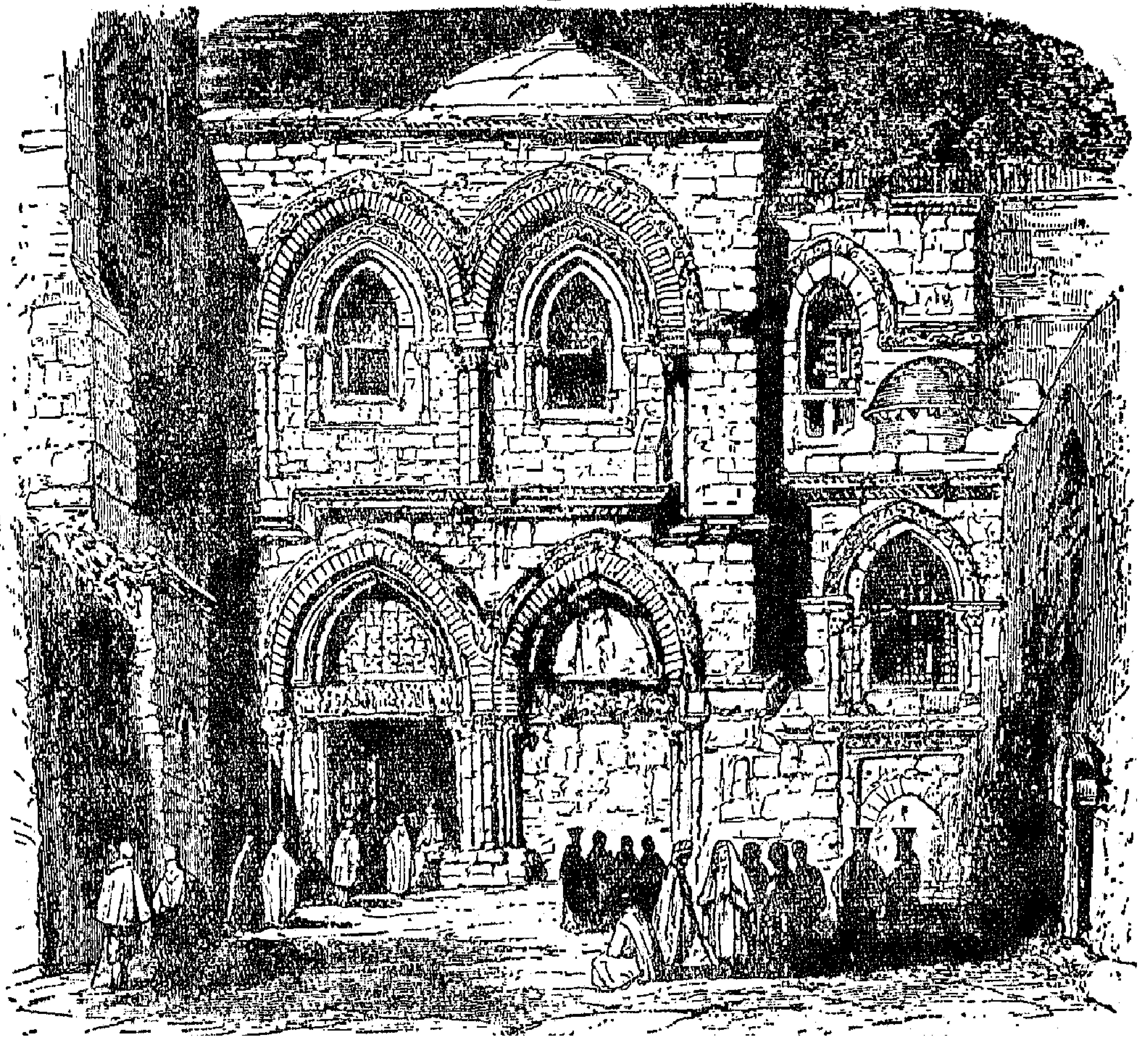
لقد قامت الحروب الصليبية لاسترجاع كنيسة القبر المقدس إلى المسيحية ولذلك فإن الصليبيين جعلوا تلك الكنائس المتباعدة كنيسة واحدة . وقد عهد إلى المعمارى الفرنسى جوردان سنة ١١٤٠ — ١١٤٩ بتوحيد هذا البناء على الأسلوب الرومنسى والطراز القوطى الشائعين فى أوروبا فى ذلك الزمان . وقد انتابتها الزلازل والحرائق فغيرت معالمها . وكان أشهرها حريق سنة ١٨٠٨

الذى أتى على جميع أبنية القيامة فسقطت القبة ، وتحطم هيكل القبر المقدس وتهشمت الأعمدة وساح الرصاص ولم يسلم إلا قسم قليل من الجهة الشرقية . فهبت دول أوروبا النصرانية ، وأعادت البناء سنة ١٨١٠ بإذن من السلطان العثمانى وأصبح لكل الطوائف المسيحية ، نصيب فى هذه الكنيسة ، ما عدا البروتستنية كل طائفة تعرف ما يخصها فهى لاتسمح لطائفة أخرى أن تتعدى عليها وتستند كل طائفة فى أملاكها على وثائق وعهود من جميع الدول التى حكمت هذه البلاد .

زيارة الكنيسة :

تقع القيامة فى منتصف المدينة القديمة تقريباً ، فإذا دخلنا من باب العمود واخترقنا سوق خان الزيت انتهى بنا المطاف إلى ساحة الدباغة . ويكون على يميننا باب صغير نلجه لنصل إلى ساحة القيامة ، فنرى فيها بقايا أعمدة كانت تحمل أروقة المساكن والقاعات المخصصة لفرقة فرسان مار يوحنا . تلك الفرقة التى كانت مهمتها فى بادىء الأمر الاعتناء بالجرحى والمرضى من الصليبيين والعمل على راحة الحجاج وصيانة الأماكن المقدسة . وتغص هذه الساحة بالجماهير المجتمعة من كل أنحاء العالم فى يومى خميس الغسل وسبت النور من أسبوع الآلام الذى ينتهى بعيد الفصح — ففى يوم الخميس يجتمع ألوف من الناس لمشاهدة بطريرك الروم الأرثوذكس يغسل أرجل الأساقفة اقتداء بالمسيح الذى غسل أرجل تلامذته قبل صلبه ليعلمهم التواضع .

أما يوم سبت النور فانك ترى فى هذه الساحة وعلى السطوح ألوفا مؤلفة من كل أمة ولسان ، جاءت إلى القدس لتشهد الاحتفال . ولا يشاهد الواقف على السطوح سوى رؤوس مختلفة تشرئب إلى كنيسة القيامة ، منتظرة بفروغ الصبر انبثاق النور من القبر المقدس . وعندئذ يصيح الناس بأصوات الفرح والتهليل وتأخذ كل جماعة تنشد أناشيدها ، ولا سيما رجال النوادى وفرق



(٤) الواجهة الأمامية لكنيسة القيامة

الكشافة ، فرحين لقول الإنجيل (أنه خرج نور من القبر يوم قيامة المسيح) ويقولون إن الملكة هيلانة قد استدلت على القبر من النور الذى كان يخرج منه .

يكون على يميننا كنيسة إبراهيم ومصلى الأرمن وكنيسة القبط ، كما يكون على يسارنا كنائس يعقوب ومريم المجدلية والأربعين شهيداً . وقل أن يخطر ببال الزائر أن يدخل إلى هذه الأماكن الثانوية .

أمامنا واجهة فيها بابان شامخان — الأيمن مسدود والأيسر مفتوح على جوانبهما أعمدة متراصة وينتهيان بأقواس مدببة بما يشبه شكل حذاء الفرس مع أفريز يدعى فى علم البناء (بأسنان الكلب) وفوق البابين نوافذ مدببة ولكنها مغلقة ، يعلوها برج الأجراس القوطى الطراز . وقد ظهر فى هذه الواجهة تطعيم من الطراز العربى فى الفن الغربى (انظر صورة ٤) .

قبل أن ندخل الكنيسة نرى أمام الباب بلاطة من رخام عليها رسم ترس (نورمندى) وضعت على قبر السير فيليب أبيونى Ph. d'Aubiony ، معلم الملك هنرى الثانى ملك انكلترا ، الذى وقع مع أخيه الملك جون على وثيقة المغنا كرتا سنة ١٢١٥ والتى تعتبر أصل الدستور البريطانى .

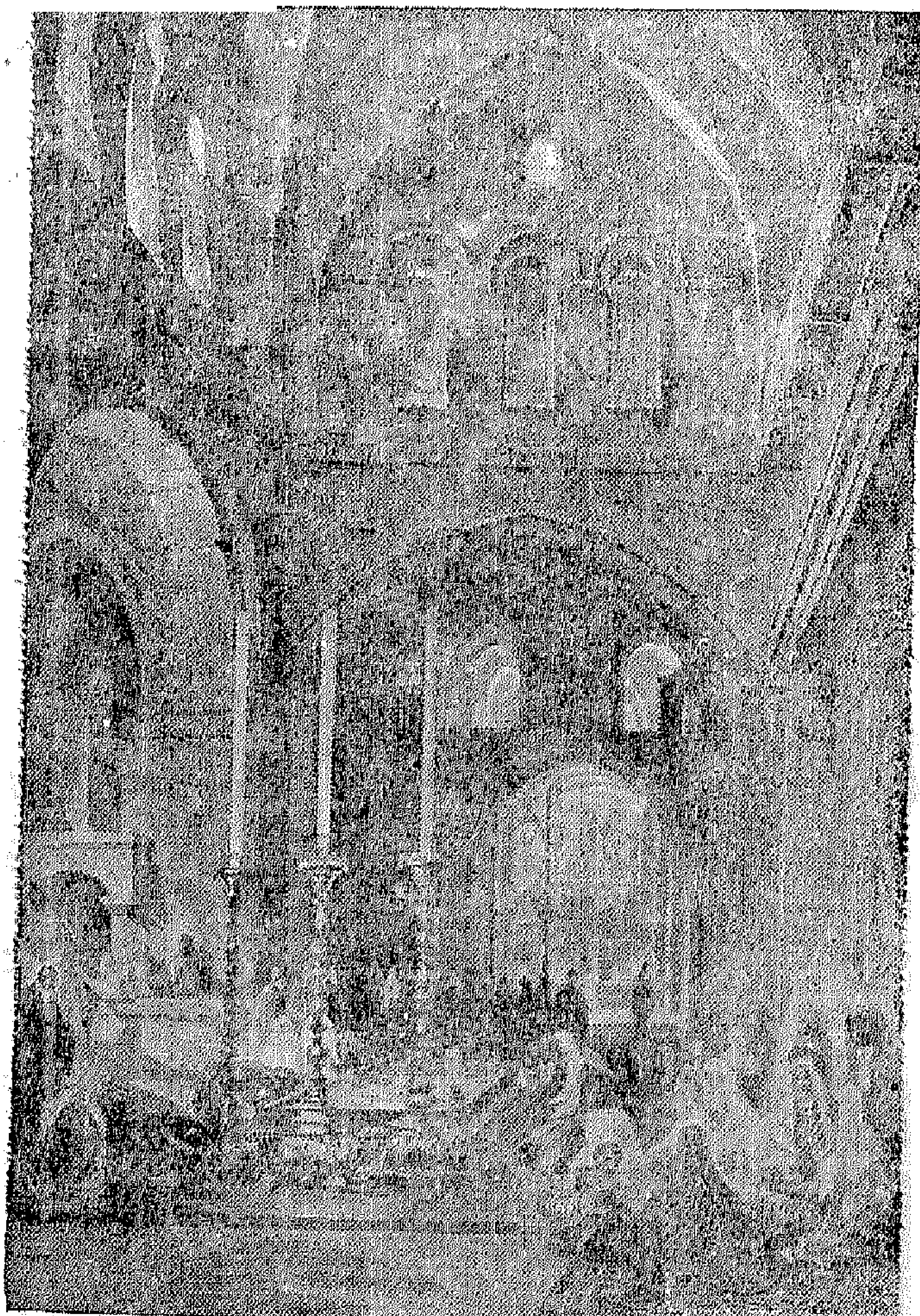
اذا اجتزنا الباب نرى على يسارنا دكة عالية فرشت بالحصير والسجاد يجلس عليها متسلم مفاتيح القيامة ، وهو من أسرة نسيبة المسلمة التى نالت هذا الامتياز من أيام الفتح العمرى . ولها مهمتان ، الأولى أن تكون حكماً بين الطوائف المسيحية عند اختلافها ، وكانت الثانية أن تجبى ضرائب الدخولية من كل الحجاج وتتولى توزيعها بين مختلف الطوائف حسب العرف والعادة .

وبعد أن نخطو بضع خطوات نرى عن يميننا باباً لغرفة مظلمة فيها قبر (غودفرى) أول ملك صليبى فى القدس . ثم قبر أخيه الملك بولدوين .

إذا صعدنا الدرج القائم فوق هذه الغرفة نصل إلى الجلجثة حيث صلب المسيح واللصان . وهناك وضع على رأسه تاج من الشوك . وبقى مصلوباً حتى توفى (حسب العقيدة المسيحية) ثم دفن على بعد قليل ، ونرى هنا تمثالا لمريم العذراء مرصعا بالجواهر الثمينة التى قدمها أغنياء المسيحيين نذورا . وهذا المكان غنى بكنوزه وبما فيه من الفسيفساء والفن الرائع . — وعندما تنتهى زيارتنا نهبط الدرج الشمالى فنصل إلى حجر أحمر مستطيل يقابل باب الكنيسة يسمى حجر المغتسل أو حجر الزيت . ويقال إن العالم اليهودى نيقوديموس جاء إلى المسيح ليلا ودهن جسده بالزيت قبل دفنه . وتتدلى فوق هذا الحجر قناديل وشمعدانات يحق للطوائف الأربع انارتها .

القبر المقدس :

نخطوا إلى اليسار بضع عشرة خطوة إلى فسحة مستديرة ، فى وسطها بناء عال فوقه قبة قطرها ٦٥ قدماً . وهو يشبه بانثيون روما فى شكله وفى أنه قام على ضريح شهيد أو شهداء . وهو قائم على ١٨ عموداً متصلة من أعلاها بأقواس غاية فى الاتقان ، ندخل الباب من الشرق فندهش بما نرى من أدوات التكريم والتعظيم كالقناديل والمصابيح الذهبية والفضية والشموع الضخمة والرايات المقدسة والصور المتقنة وما عليها من الحلى الذهبية والفضية وفى أسفل الواجهة مدخل ذلك البناء إلى الضريح فى غرفة طولها ٢٦ قدماً وعرضها ١٧ قدماً ، مثمنة الشكل ، يغطى جدرانها صفائح الرخام . وتنتهى إلى حجرة تسمى مصلى الملائكة طولها ١١ قدماً وعرضها ١٠ أقدام، وقد تعلق فى سقفها قناديل من ذهب — خمسة منها للروم وخمسة للاتين وأربعة للأرمن وواحد للأقباط . وفى وسط هذا المصلى حجر يعتقدون أنه الحجر الذى دحرجه الملاك عن قبر المسيح يوم قيامته . ومن هنا جاءت تسمية الكنيسة كلها باسم القيامة أو كنيسة القبر المقدس (أنظر صورة ٥) .



(٥) القبر المقدس داخل كنيسة القيامة

ندخل من هـذا المصلى فى باب ضيق إلى حجرة الضريح ، وفيها القـبر نفسه طوله ستة أقدام ونصف وعرضه نحو أربعة أقدام . وقد غطى برخام بديع . وسقف الضريح قائم على أعمدة جميلة ويتدلى فوقه (٤٣) قنديلا من الذهب — أربعة منها للأقباط و (١٣) للروم ومثلها للاتين ومثلها للأرمن . وعلى جدران هذه الحجرة نقوش تمثل مناظر من حياة المسيح — كل منها لطائفة من الطوائف التى تتشرف بامتلاك هذا المكان المبارك ، وفى هذه الحجرات تتلى الصلاة كل يوم . وهو أقدس مكان فى كنيسة القيامة .

هذا هـــو القبر المقدس الذى خاض الصليبيون الحروب الدامية سعياً للاستيلاء عليه .. هو الأثر الحى الذى تجتمع حوله آمال المسيحيين فى كل زمان ومكان . ولا يراه مسيحى حتى يشعر بالهيبة والخشوع والوقار . . هنا شاهدت امبراطور الحبش فى تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٦٦ يركع ويسأل الصفح والغفران ويطلب الرحمة من الملك الديان وقد طأطأ رأسه كأى إنسان بائس دخله قبله أو بعده . هنا عاد هذا الامبراطور إلى ذاكرته ليسترجع مبدأ التضحية من أجل الآخرين ، كما يفعل أى مؤمن من أتباع المسيح .

حول هذا البناء ساحة مرصوفة بالرخام تحيط بها أبنية الكنيسة ووراءها الأبواب والدهاليز المؤدية إلى سائر أجزائها . وقد اتفقت الطوائف المسيحية على حصول كل منها على مكان يستطيع أبناء تلك الطائفة أن يقفوا فيه عند الاحتفال بسبت النور . وهكذا اقتسمتها الطوائف المسيحية فيما بينها . وللأقباط مصلى محدود بدرابزين من الغرب من القبر يقفون فيه وللروم والأرمن والسريان مثل هذا المكان . ولا يسمح لطائفة أن تتعدى حدودها ، ومن تجاسر على ذلك منعه جاره .

فاذا وقعت أيقونة كانت معلقة على أحد الجدران تخاصموا على من يعلقها فى مكانها . واذا تهدم جزء اختصموا فيمن يرممه من الطوائف . ولا

يجسر أحد أن يفعل ذلك وحده . وكثيراً ما يبقى ذلك النقص أو الخراب أشهراً وأعواماً، حتى تعقد المجالس المشتركة وتتداخل الحكومات فى الاتفاق على إصلاحه . وهذا ما حصل بعد زلزال سنة ١٩٢٧ واستمر الاختلاف حتى حصل الاتفاق فى أواخر العهد الأردنى . وقد وقع خصام من هـــذا النوع فى أواسط القرن التاسع عشر ، فكان من جملة الأسباب التى حملت الدول المسيحية إلى الاشتراك فى حرب القرم .

كنائس أخرى :

إلى الشرق من القبر نجد كنيسة الروم الأرثوذكس . وهى واقعة داخل قوس الامبراطور قسطنطين .وفى وسطها بقايا عمود أو جرن كانوا يقولون أنه منتصف الدنيا . وسميت الكنيسة باسمه (كنيسة نصف الدنيا) فى ركنها الشمالى عرش لبطريرك انطاكية وفى ركنها الجنوبى عرش آخر لبطريرك القدس . وكانوا فى القرون الوسطى يعتقدون أنها بنيت فى بستان يوسف الرامى .

وللشمال حجرة فيها سيف غودفرى الذى يبلغ طوله قدمين وثلث القدم . وكذلك مهمازه وصليبه .

من الممشى المسقوف بعد قوس قسطنطين نتجه نحو الشرق فنهبط ٢٩ درجة حتى نصل إلى كنيسة القديسة هيلانه التى يقال أنها وجدت الصليب الحقيقى فيها ، وهذه الكنيسة هى الآن بيد الأرمن وفيها تمثال هيلانه وصليب ثمين وهبه امبراطور النمسا مكسمليان .

لكل الطوائف نصيب فى القيامة باستثناء طائفة البروتستنت. وقد سمح لها الروم بإقامة صلواتها فى دير ابراهيم الذى هو على يمين الداخل إلى الساحة البرانية ، كما أنه يلاصق الكنيسة الروسية التى تظهر فيها بقايا السور التى كانت الجلجثة خارجه وعليها جرى الصلب .

تقوم فى الوقت الحاضر اصلاحات داخلية ترمى إلى إزالة بعض القسامات والفواصل لتعود القاعات والابهاء إلى اتساعاتها الأولى ، فيعود إلى هذا المقام الروحى الكثير مما فقده — نتيجة الاختلافات — من الروعة والسمو .

نعود إلى الساحة العامة فيقابلنا المسجد العمرى الجديد ثم الدرجات اليمنى حتى نصل إلى ما يعرف اليوم بحارة النصارى .

موقع القبر المقدس :

لا ريب أن كنيسة القيامة فى بيت المقدس أجل الآثار النصرانية من حيث الهيبة والتقاليد الدينية ، فهى كعبة النصارى منذ ستة عشر قرناً . وكان امتلاكها مثاراً لكثير من أشنع حروب التاريخ . ولاغرو فالرواية الكنسية تقول إنها تضم البقعة التى صلب فيها السيد المسيح ، وثوى إليها ثم صعد منها ، ومن ثم كان جلالها وكانت هيبتها الحالية . ولكن المتأمل لتلك البقعة التى يمجدها مئات الملايين من النصارى على كر القرون لا يملك نفسه رغم مايتولاها من خشوع ورهبة أن يسائلها : هل صحيح أنه يرى مكان قيام السيد المسيح والقبر المقدس كما يقال .

الأساطير والرواية الكنسية ليست حجة قاطعة فى التحقيق التاريخى وليس إجماع المؤمنين على تصديقها سنداً لتأييدها ، ولذلك لم يغفل البحث الحديث شأن هذه المسألة ، فعمد إلى تمحيصها طبقاً للوثائق المعقولة والأدلة المادية . وله فى ذلك رأيان : رأى يؤكد الرواية الكنسية بالأدلة والوثائق ورأى ينكرها بنفس الأسلوب ، وإليك خلاصة القولين .

تقول الرواية العبرية ، أن يسوع صلب خارج صور المدينة ويقول القديس يوحنا فى انجيله (ان المكان الذى صلب فيه يسوع كان بقرب

المدينة) وتسمى الرواية العبرية ذلك المكان (جلجوتا) ثم يقول القديس يوحنا (كان فى المكان الذى صلب فيه حديقة ، وفيها قبر جديد لم يدفن فيه إنسان قط ، فهناك وضعوا يسوع لأن القبر كان قريباً جداً من مكان صلب المسيح ودفنه طبقاً للرواية فى سنة ٣٣) .

وفى سنة ٤٢ أو ما يقرب منها بدأ الملك أغريبا بناء سور جديد يضم الضواحى الواقعة فى شمال المدينة . ويرى معظم الكتاب الحديثين أن هذا السور كان يضم مكان الصلب . ولم يحدث تغيير فى جلجوتا ولا فى القبر حتى حاصر تيطوس بيت المقدس فى سنة ٧٠ م واستولى عليها وخربها ولكنه طبقاً لرواية (يوسيفوس) أمر جنده ألا يهدموا معظم الأبراج التى كانت تحمى المدينة لتبقى أثراً لسورها المنيع ، فترك الجانب الغربى كله . ولما كان المسيح قد صلب خارج السور كما تقدم فان بقعة الصلب لم يصبها تغيير ، إن صح أنها كانت تقع فى هذا الجانب الذى أمر تيطوس بصونه وجعله مستقراً لحاميته .

وعلى أثر ذلك قامت حول مركز الحامية مدينة جديدة صغيرة ، لأن فلسطين كانت ما تزال غاصة بالسكان . وكان اليهود ما يزالون يقدسون بيت المقدس وقد صرح لهم بدخولها . كذلك عاد النصارى إليها بعد فرارهم إلى شرق الأردن . وهنا نقطة جديرة بالتأمل . وهى أن الجانب الذى أبقى عليه تيطوس من سور المدينة لا يمكن أن يكون غير ذلك الذى يواجه جبل صهيون ، إذ هو البقعة الوحيدة التى يتسنى أن تشرف فيها حامية عسكرية ، على رقابة المدينة .

وإلى الشمال من باب العمود وعلى بعد (١٥٠ متراً) قبر البستان The Gardan toom الذى يعتقد البروتستانت أنه قبر يوسف الرامى

الذى قبر فيه المسيح ، تحت الأكمة التى صلب عليها والتى تشرف اليوم على موقف باصات القدس .

مدينة القدس فى أيام المسيح والعصر البزنطى :

وصف المؤرخ اليهودى يوسيفوس مدينة القدس أيام المسيح بقوله : كانت القدس محاطة بثلاثة أسوار فى المنبسط الأرضى من الشمال وبسور واحد فى الجهات الثلاث الأخرى التى تحميها منها الوديان . وكانت المدينة مبنية على تلين الواحد يقابل الآخر وبينهما واد يشطرهما ، وكانت البيوت متقابلة على سفحى التلين . والتل الغربى — تل صهيون — يسمى المدينة العليا لأنه أعلى من التل الشرقى — مريا — والذى بنى عليه الهيكل وكان يصل بينهما جسر هدمه بومبى عندما فتح المدينة سنة ٦٣ ق . م ثم امتلأ الوادى بأنقاض الأبنية .

ومن النظر إلى خريطة الفسيفساء التى وجدت فى كنيسة الروم ببلدةمادبا فى شرقى الأردن (صورة٣)نستطيع أن نعرف كيف كانت المدينة—فقد كان شكلها أهليليجيا وفى طرفها الشمالى عمود فى المكان المعروف الآن — بباب العمود. كما تظهر عليها الشوارع المحاطة بالأعمدة والقناطر الرومانية وقوس هوذا الرجل / إشارة إلى السيد المسيح عندما كان متوجهاً من مكان الحبس فى ما يسمى الآن «درب الآلام» إلى مكان الصلب. كما ظهرت كنيسة القيامة خارج الأسوار .

ثم اكتشف باب فى نهاية خان الزيت من الجنوب وفى الطرف الشرقى من كنيسة القيامة التى بناها قسطنطين وهو أحد أبواب السور الذى كان يحيط بالمدينة . ولقد وجد فيه الذين يقولون إن الصلب جرى خارج الأسوار حجة قاطعة على صحة قولهم ، كما نص الإنجيل على ذلك . وهم لذلك

يقولون إن القبر الحالى ليس قبر المسيح الأصلى ، لأنه داخل المدينة فإذا ثبت أن هذا المكان المكتشف من بقايا السور الثانى لم يبق سبب للإنكار إن القبر الحالى كان خارج المدينة .

وكان هدريان قد بنى معبداً لجوبتر فوق الصخرة ونصب فوقه تمثالا لجوبتر وتمثالا لشخصه ، كما جاء فى مذكرات حاج بوردو الذى رأى التمثال بنفسه سنة ٣٣٣ م كما أمر الامبراطور ماكسميانوس بهدم هياكل وثنية فى كثير من البلدان فنقلت أحجار المعابد والهياكل ، وخاصة ما كان منها فى ساحة الهيكل ، لبناء المعابد الرومانية ؛ ونتيجة لذلك لم يبق شىء من آثار اليهود فى ساحة الهيكل ، ويمكن أن نستنتج أن حائط المبكى قد هدم مع باقى أبنية المدينة وأن هدريان قد أعاد بناءه من مختلف الحجارة الموجودة .

لذلك(١) لم يترك اليهود أية آثار فى فلسطين كشعب حاكم سائد أو كفريق من السكان ... وقد جاء فى كتاب الانتداب على فلسطين الذى ألفته فرنسيس نيوتن البريطانية «ليس فى فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب إلى المملكة العبرية ولقد فشلت اليهودية فى تقديم أثر لداود وسليمان أو أى نقش أو أثر أو حجر أو حتى أى إنشاء تاريخى ... ولذا فإن قضيتهم تفتقر إلى دليل مسجل على مثال الأدلة لحياة شعوب أوربا وغرب آسيا » .

ولم يذكر المؤرخون الإغريق فى تاريخ فلسطين المبكر اليهود . ومما لا شك فيه أنه كان من شأن الإغريق الاتصال باليهود لو كانت فلسطين حقاً وطنهم القومى .

ومن أشهر ملوك الروم البزنطيين الذين لهم مآثر فى القدس القيصر

---

(١) ملف النهار سنة ١٩٦٨ ص ٤٨ — ٤٩

جوستنيان الذى بنى كنيسة العذراء الجديدة ، وينكر عدد كبير من علماء الكنيسة أن المسيحيين بنوا فى مكان قال عنه مخلصهم أنه سيبقى خراباً إلى الأبد ، أى مكان الهيكل ، وإلى جوستنيان ينسب بناء دير قسطنطين الملاصق لكنيسة القيامة .

وفى سنة ٦١٠ اعتلى عرش الامبراطورية البزنطية هرقل ، فوجدها فى أشد حالات الضعف والانحلال حتى زحف كسرى الثانى بجيوشه الفارسية ووصل فى فتوحاته إلى بلدة خلكيدونية الواقعة أمام القسطنطينية ، كما احتلوا مدن سوريا واحدة بعد الأخرى حتى دخلوا مدينة القدس سنة ٦١٤ وهدموا الكنائس ولا سيما كنيسة القيامة ويقال أنهم قتلوا تسعين ألفاً من المسيحيين بتحريض من عملائهم اليهود. ولكن المصيبة أيقظت الروم وشدد هرقل من عزائم قومه ، فهبوا هبة المستميت وحاربوا الفرس واسترجعوا ما أخذوه من أملاكهم ودخل هرقل مدينة القدس سنة ٦٢٩ يحمل الصليب الذى كان الفرس قد أخذوه منها — يحمله على كتفه وهو يمشى على قدميه يرافقه كبار مملكته وجيشه وجموع غفيرة من سكان المقاطعات ، فقوبلوا بحفاوة بالغة من الجماهير التى مروا بها . ولقد دخل هرقل القدس حافياً تشبهاً بالمسيح الذى سار إلى مكان الصلب حافياً .

وبينما كان هرقل فى هذا الفرح البالغ الروعة وصل إليه عربى يحمل إليه رسالة من النبى العربى عليه السلام وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم — من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى — أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . إسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإنما عليك إثم الأريوسيين. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله

ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » .

ويقال إن دحية الكلبي سلم رسالة النبي إلى هرقل عندما كان فى حمص ، وما كان من كسرى بهذا الشأن فانه لم يعبأ بالرسالة ولكنه لم يمزقها كما مزقها كسرى ، كما أنه لم يسلم كما أسلم غيره ولكن المسلمين لم ينسوا القدس حتى أذن الله لعمر بن الخطاب أن يفتحها ففتحها سنة ٦٣٦ م

قدس عمر

كان للعرب فى الجاهلية رحلة تجارية تسافر فيها خلال الصيف قوافلهم إلى بلاد الشام التى من مدنها القدس ، ولقد شارك النبى صلى الله عليه وسلم فى رحلتين إلى بلاد الشام — وكان أبو سفيان قد وصل إلى القدس فى رحلاته التجارية، كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تاجر فى أسواق غزة .

ولقد شجع النبى عليه السلام المسلمين على فتح بلاد الشام بسبب ماورد فيها من الآيات والأحاديث التى منها (١) .

١ — الاسراء — قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

٢ — المعراج — وهو عروج الرسول صلى الله عليه وسلم من صخرة بيت المقدس إلى السماوات العلى فى الليلة التى كان فيها الاسراء ، فى سورة النجم « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

وكان الاسراء والمعراج فى ٢٧ رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة أشهر

---

(١) الجزء الأول من القسم الأول من كتاب بلادنا فلسطين للأستاذ مصطفى مراد الدباغ — بيروت ١٩٦٥ ص ٣٣٥ — ٣٤٨ .

ولم تكن القدس ومسجدها بيد المسلمين. وفى تلك الليلة فرضت على المسلمين الصلوات الخمس .

٣ — القبلة : ان رسول الله (ص) كان يصلى هو وأصحابه متجهين نحو القدس . وبقيت صخرة بيت المقدس قبلة المسلمين مدة سبعة عشر شهراً بعد الهجرة ، ولذلك تسمى القبلة الأولى ثم تحول إلى مكة لقوله تعالى : (وقد نرى تقلب وجهك فى السماء، فلنولينّك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

وفى الأحاديث الشريفة :

١ — لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يغرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل وهم كذلك . فسأله أصحابه وأين هم ؟ قال : فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس .

٢ — لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة فيسكنهم إياها .

٣ — عن كعب : قال الله عز وجل لبيت المقدس:(أنت جنتى وقدسى وصفوتى من بلادى ، من سكنك فبرحمة منى ومن خرج منك فبسخط منى عليه) .

٤ — يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو فى جهاد إلى يوم القيامة .

٥ — وقال : فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفي مسجدي بألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمئة صلاة.

٦ — لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى — لذلك يسمى ثالث الحرمين الشريفين .

٧ — الإسراء : لما كذبتنى قريش نمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

٨ — إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس وهى سر الأرض — يعنى الصخرة .

٩ — بيت المقدس نعم المصلى — هو أرض المحشر وأرض المنشر — إيتوه فصلوا فيه فان الصلاة فيه كألف صلاة .

قالت ميمونة : بأبى أنت وأمى — من لم يطق أن يأتيه .

قال : فليهد له زيتاً يسرج فيه — فإنه من أهدى إليه كان كمن صلى فيه.

١٠ — سأل أبو ذر الغفارى النبى عليه السلام عن أول مسجد وضع فى الأرض فقال : المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى وان الصلاة فىمسجدى خير من ألف صلاة فى سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى .

ولهذه الآيات والأحاديث تعلق المسلمون بالقدس وقصدوا مسجدها للصلاة فيه وتنافس المسلمون فى إعماره كلما احتاج إلى إعمار ، كما تنافسوا فى إنشاء الأبنية فى ساحته أو فى جواره ليتقربوا بها إلى الله سبحانه وتعالى .

وكانت ذكرى المعراج إحدى الصلات الرئيسية التى تشد المسلمين إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى كما كانت إحدى القواعد الأساسية التى تربط العالم الإسلامى بفلسطين . ولا أدل على هذا من أن المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى باحة المسجد الأقصى سنة ١٩٣١ والذى قرر اعتبار يوم المعراج فى ٢٧ رجب من كل عام يوم فلسطين وتقرير نصرتها ، وهل ينتظر وجود رابطة أقوى بين بلد كفلسطين وبين أمة كالأمة الإسلامية من هذه الروابط .

فتح القدس :

بعد فتح دمشق جمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم فى المسير إلى نيسارية أو إلى بيت المقدس ، فقال له معاذ بن جبل : أيها الأمير اكتب إلى مير المؤمنين عمر فحيث أمرك أمثله . فقال : أصبت الرأى يا معاذ ، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى، فسار حتى دخل المدينة وسلم الكتاب إلى أمير المؤمنين عمر ، فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فإذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية ،فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالى .

ثم دعا عمر بداوة وبياض وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبى عبيدة

أما بعد — فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى على نبيه. وقد وصلنى كتابك تستشيرنى إلى أى ناحية توجه . وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس . فإن الله يفتحها على يديك والسلام .

فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدمه الجيش ، وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج.فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطريرك وقالوا له: قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذى يريدون ؟ فإذا كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم — فإما أن نقتل عن آخرنا وإما أن نهزمهم عنا. فأجابهم البطريرك إلى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون

والرهبان حوله ونادى رجل منهم بالعربى يا معشر الفرسان — قد أقبل عمدة دين النصرانية يخاطبكم فليدن منا أميركم — فقام أبو عبيدة يمشى وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر عن يساره ومعه جماعة من أصحاب رسول الله وترجمان . فلما وقف بازائهم قال ما الذى تريدون ؟ هذا أمير العرب . فقال البطريرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدنا فماذا تريدون؟ فأجاب أبو عبيدة : إنا نطلب منكم واحداً من ثلاثة — فإما أن تسلموا وتصبحوا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإما أن تدفعوا الجزية وإن رفضتم صبرنا عليكم حتى نفتح بلدكم بإذن الله .

فقال البطريرك — إن كان الأمر كما ذكرت فاحقن الدماء وابعث إلى أميرك يأتى ليتسلم البلد بنفسه على أن نعطيه الجزية .

فانصرف أبو عبيدة وأمر الجيش بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا شكراً لله وكتب أبو عبيدة هذا الكتاب إلى الامام عمر وأرسله مع ميسرة بن مسروق .

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبى عبيدة بن الجراح :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك — فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنا أقمنا على أهل إيلياء . فظنوا أن لهم فى مطاولتهم فرجا ،فلم يزدهم الله هـذا إلا ضيقاً وضعفاً وهزالا. فلما رأوا ذلك سألوا الصلح على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو المؤمن لهم والكاتب لهم كتاباً . فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك أصلحك الله عناء وفضلا.فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بايمانهم ليقبلن ذلك ويؤدون الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة . ففعلوا .فإن رأيت أن تقدم فافعل.فإن فى مسيرك أجراً وصلاحا وعافية للمسلمين . أتاك الله رشدك ويسر أمرك والسلام عليك .

فلما وصل الكتاب إلى عمر بالمدينة جمع رؤوس المسلمين فقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة وشاورهم فى الأمر ، فنهى عثمان عن الذهاب لما فى ذلك من المشقة ولأن القوم ذلوا فلا يلبثون إلا يسيراً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية.فاعترض علي وأشار على عمر بالذهاب لما فى ذهابه من أجر وحجب للدماء . فأطاع علياً .

ثم أن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للسفر معه . واستخلف على المدينة على بن أبى طالب . وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر ومعه غرارتان فى احداهما سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس . فالتقاه أبو عبيدة . فلما رآه أناخ قلوصه ، وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيده يده وصافح عمر وتعانقا. وسلم كل منهما على صاحبه . وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا . فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر . ثم خطبهم .

فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيده يحدثه بما لقى من الروم . إلى أن حضرت صلاة الظهر فطلب من بلال أن يؤذن . وكان بلال قد امتنع عن الآذان بعد وفاة رسول الله.ولكنه امتثالا لطلب عمر ولمكانة بيت المقدس أذن فى ذلك اليوم ، فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فما قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله حتى بكى الناس بكاء شديداً ، عند ذكر الله ورسوله . وكاد بلال أن يقطع الآذان . فلما فرغ من الآذان صلى عمر وجلس . ثم أمرهم بالركوب فلما همّ بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة ، بعضها من جلد . قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواداً ولبست ثياباً لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب القوم . وأقبلوا يسألونه ويطوفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثياباً بيضاء . قال الزبير : احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهماً وطرح على كتفه منديلا من الكتان ، دفعه إليه

أبو عبيدة : وقدم له برذوناً أشهب من براذن الروم . فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج . فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقـــد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم أنه نزع البياض ، وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

قال البطرك للروم . أنظروا ما شأن العرب فأشرف رجل فقال : يامعاشر العرب ما قضيتكم ؟ — قالوا : إن عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا . فرجع الرجل واعلم البطريرك فأطرق ولم يتكلم .

فلما كان الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر . ثم قال لأبى عبيده تقدم إلى القوم واعلمهم أنى أتيت . فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، قد أتى فما تصنعون فيما قلتم ؟ فاعلم البطريرك بذلك. فخرج من القيامة ، وعليه المسوح، ومن حوله الرهبان والقسس. ثم علا السور، وأشرف على أبى عبيدة . وقال : ما هذا أيها الشيخ ؟ قال أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فقال البطريرك قل له أن يدنو منى ، وافردوه من بينكم حتى نراه .

فرجع أبو عبيدة إلى عمر ، فأخبره بما قال البطريرك. فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب الرسول يخشى عليك من الانفراد بلا عدة . فقال عمر لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ثم لبس مرقعته وركب بعيره ، وأبو عبيدة سائر بين يديه ، إلى أن أتى بازاء البطريرك قريباً من الحصن .

فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار . وفتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر فى تلك الحال تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجداً على قتب بعيره ، ثم أقبـــل عليهم وقال :

ارجعوا إلى بلدكم ، ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب . ورجع عمر .

فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخط محراباً ، وهو موضع المسجد ، وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة ، وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام . وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه لزيارة قبر النبي . وذلك بعد أن كتب الإمام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية .

وهنا اقتطف هذه العبارات من كتاب أجنبي ظهر فى القرن التاسع عشر قرن التعصب (١) .

وعندما وصل الخليفة استقبله وفد من أهل القدس وأكدوا عزمهم على وعدهم بالتسليم ، وقد عادوا يذكرون أشياء استغربوها عن بساطة الخليفة فى معيشته بالنسبة للعظمة التى كان عليها حكامهم السابقون ولم تمنعه بساطته من أن يحكم الجزيرة وسوريا وأن يطيح بملوك الروم والفرس عن عروشهم . وتروى قصص كثيرة عن عدل الخليفة عمر واستقامته وليس من شك بأن هذا الحاكم المسلم كان يتحلى ببعض الصفات الكريمة .

ولقد استقبله البطريرك صفرونيوس وهو من أهالى دمشق وقد اشتهر بحماسه الدينى وتبحره فى العلم وطهارته فى خلقه ومعاملاته. وهى صفات يندر أن تجتمع فى رجل من أهل ذلك العصر . وعندما اتفق الطرفان على شروط الصلح وتم توقيعها طلب عمر من البطريرك أن يدله على مكان يصلى فيه فدعاه إلى أن يصلى حيث يقف فى الكنيسة ولكن عمر رفض أن يصلى هناك ثم أخذوه إلى كنيسة قسطنطين حيث فرشوا له حصيرة ليصلى عليها

(١) The History of Jeusalem : The city of Herods and Saladin By : Besanit & Palmer, London, 1871

ولكنه رفض هــذا المكان أيضاً وخرج من الكنيسة وصلى على درجاتها الخارجية ، ولما سأله البطريرك عن رفضه الصلاة فى الكنيسة أجاب : أخشى أن يقول المسلمين هنا صلى عمر ويتخذوها مسجداً . وحتى يثبت عدله طلب قلماً وورقة وكتب للبطريرك عهداً منع المسلمين فيه من الصلاة حتى على درجات الكنيسة إلا لفرد واحد .

إن هذا التحفظ النزيه فى كتابة الميثاق لوضع حد لما قد يخامر أصحابه من الطمع لا يمكن إلا أن ينتزع اعجابنا بالرجل . ومهما بلغنا من التمدن فى هذا القرن (التاسع عشر) فإننا لا نتصور أن هنالك ما هو أشرف من هذه الصفات التى تحلى بها المسلمون عندما فتحوا القدس .

ومن كنيسة قسطنطين توجه موكب الخليفة إلى كنيسة صهيون التى قال عنها البطريرك إنها مسجد داود ، فأجابه الخليفة أريد مكاناً لا صاحب له فتوجهوا إلى خرائب بيت المقدس التى كانت القمامة (الزبالة) قد ملأتها إلى القناطر والأقواس فى أعلاه واندلقت منها إلى الطريق ، وهنا قال البطريرك لا نستطيع الدخول إلا زحفاً على الأيدى والركب — فقال عمــر : فليكن ذلك .

وتقدم البطريرك ولحقه عمر وباقى الموكب وخروا على الركب وزحفوا حتى نفذوا إلى المكان واستطاعوا أن يقفوا منتصبين . وبعد أن تفرس عمر بالمكان طويلا ارتفع صوته قائلا : والذى نفس عمر بيده إنه لمسجد داود الذى وصفه لنا نبينا عليه السلام فى الإسراء والمعراج . وهذه هى الصخرة التى ذكر النبى أن النصارى طمروها بالقمامة نكاية ببنى إسرائيل. ثم هبط عمر إلى الأرض وأخذ يجمع القمامة ويحملها بكمه ليرميها بعيداً — واقتدى به الجنود حتى نظفوا المكان وبانت الصخرة للعيان .

وهناك رواية أخرى تقول أن عمر طلب من كعب الأحبار اليهودى —

والذى كان قد أسلم فى حياة النبى وقال له يا أبا اسحاق ألا تعرف مكان الصخرة ؟ فأجاب كعب : بلى يا أمير المؤمنين-إنها تبعد كذا وكذا من الأذرع عن السور الذى يحاذى وادى جهنم (قدرون) وعليها اليوم تل من القمامة ... ولدى البحث عنها فى المكان الذى عينه كعب ظهرت الصخرة ثم سأله عمر أين نبنى المسجد فأجاب كعب : خلف الصخرة حتى تجتمع قبلتا محمد وموسى فاحتد عمر وعنفه قائلا: مازلت تحن إلى يهوديتك السابقة . أما أنا فأرى أن أنسب مكان لبناء المسجد هو قبليها لقول النبى عليه السلام : قبلة مساجدنا فى صدورها .

ولقد وصف سائح معاصر مسجد عمر بأنه كان من خشب يتسع لثلاثة آلاف من المصلين وقد أقيم فوق خرائب أبنية أقدم .

ولم يسمح للمسلمين بالصلاة فى المسجد الجديد حتى غسلته الأمطار ثلاث مرات.وبعد أن أتم عمر فتح القدس وبناء المسجد وقبض الجزية عن النصارى وغير المسلمين من سكانها ، عاد إلى المدينة بعد أن جعل لحملة القرآن نصيباً فى القدس لا يقل عن نصيب أهل الناموس والإنجيل .

العهدة العمرية :

كتب أمير المؤمنين عمر وثيقة الأمان التالية وهى التى عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص

منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود ، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ،فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم .ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان فيها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب من عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمسة عشر شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن ابن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان(١).

وأصح الروايات أن عمر غادر المدينة إلى الشام والتقى بجنود الفتح فى الجابية جنوبى دمشق وأمضى فترة بينهم ثم توجه إلى بيت المقدس . وكان حضوره إليها شخصياً بسبب المكانة الممتازة لها فى نظر المسلمين من جهة ، وتلبية لرغبة سكانها من جهة أخرى . ولقد أخذت هذه الرحلة من أوقات أمير المؤمنين منذ أن خرج من المدينة إلى أن عاد إليها من بيت المقدس ثمانية أشهر .

ولقد كان الفتح العمرى لمدينة القدس سنة ١٥ هـ (٦٣٦) م مبدأ السيادة

---

(١) الطبرى ٣ ج ص ١٠٥

الفعلية للعرب المسلمين على هذه المدينة والاهتمام بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم(١) ، لذلك أمضى عمر مدة اقامته فيها يتفقد أحوالها ويبحث شئونها فوجدها لاتزال تئن من الخراب الذى لحقها من جراء الفتح الفارسى ٦١٤ م والحصار الأخير الذى امتد أربعة أشهر ولقد أقام على ادارتها يزيد بن أبى سفيان وأوصاه برعاية شئون سكانها بالعدل والتقوى على أن يأتمر بأمر أبى عبيدة ، كما عين سلام القيصر إماماً ، يصلى بالناس وهو من أصحاب النبى . وقد عينه معاوية فى أيام خلافته والياً بعد وفاة أخيه يزيد وبنى عياض بن غنم حماما يرتاده الناس للاستحمام والطهارة .

وبينما كان عمر فى القدس قال لأبى عبيده : لقد دعانى كل امراء الفتح الى بيته إلا أنت ، فأجاب أبو عبيدة : أخاف إن دعوتك يا أمير المؤمنين إلى بيتى أن تعصب عينيك من رؤية أشياء لاتسرك . فقال عمر أزورك إن شاء الله فلما رأى عمر ما فى بيت أبى عبيدة لم يجد فيه إلا لباد الفرس الذى ينام عليه القائد العظيم أبو عبيدة وكسرات خبز يابسة كانت فى كوة البيت قدمها له وأتاه بملح وجريش وأبريق فخار فيه ماء وقال له : تفضل بما قسم الله ، فلما نظر عمر إلى ذلك بكى وقال أنت أخى : فكل أصحابى نالوا كثيراً إلا أنت .فقال أبو عبيدة : ألم أخبرك إنك ستعصب عينيك .

وبعد أن رتب الخليفة أمور القدس وعزم على السفر جمع الجند وخاطبهم بقوله : ياأهل الإسلام إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم فى الأرض، فلا يكونن جزاؤه إلا الشكر . وإياكم والعمل بالمعاصى وكفر النعمة . وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلب منهم وسلط عليهم عدوهم .

وظلت القدس مكان رعاية الخلفاء الراشدين وبنى أمية من بعدهم،ففى سنة

---

(١) مكانة بيت المقدس (الشيخ عبد الحميد السائح) .

أربعين من الهجرة بويع معاوية بالخلافة فزار بيت المقدس وصلى عند جبل الجلجلة (جبل الصلب) وزار قبر العذراء مريم قرب الجثمانية وصلى ركعتين تحية للمكان المقدس . ولكن أهم ما حدث إبان حكم الدولة الأموية هو بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى وهما الأثران الخالدان على الزمن وهما جديران ببحث خاص . وقد أشرف على البناء الصحابي رجاء بن حياة الكندي ودفن في القدس عندما توفي سنة ١٠٢ هـ ، كما توفي ودفن فيها أحد رجال الفتح وهو عبادة بن الصامت أول قاض مسلم في القدس ، كما دفن بها أول من علم الناس فيها أحاديث الرسول وهو شداد بن أوس .

وقد طلب عمر بن عبد العزيز — ثامن خلفاء بني أمية — من جميع ولاة دولته أن يزوروا القدس ويقسموا يمين الطاعة والعدل في المعاملة بين الناس في مسجدها .

ووضع أبو جعفر المنصور العباسي تقليداً بموجبه يقتضي على كل خليفة عباسي أن يزور القدس ولو مرة واحدة في حياته . ونفذ هذه الرغبة الرشيد وابنه المأمون وزاد المأمون عن ذلك أن كلف أخاه المعتصم أمير الشام بأن يشرف بنفسه على اصلاح قبة الصخرة من تصدعها من الزلزال .

وكل الذين عنوا بالدراسات الإسلامية من حديث وتصوف زاروا القدس وأقاموا فيها . وقد ملأت أسماؤهم ثلاثين صفحة من كتاب وضع عن تاريخ القدس واشتهر منهم امرأتان هما أم الدرداء التي رفضت الزواج من معاوية فقد كانت تقيم نصف سنتها في القدس تواسي الفقراء وتعين المحتاجين ، وكانت الثانية المتصوفة البصرية رابعة العدوية التي زارتها واتخذتها دار إقامة في أخريات حياتها حتى توفيت فيها . ولا يزال مقامها في جبل الطور مزاراً مشهوراً حتى هذه الأيام .

ولقد عامل هارون الرشيد الرهبان والقسس والزوار المسيحيين كأهل

كتاب نص القرآن على معاملتهم بالحسنى ومثلهم اليهود ولا ننسى أن هذا كان في عصر التعصب الديني الذى كان يسود أوروبا إذ ذاك . واستمر المسلمون طوال حكمهم القدس النظر إلى المسيحيين واليهود كأهل كتب جاء النبي مصدقاً لما بين يديه منها .

وسمح للأمبراطور شارلمان بترميم الكنائس ، لا سيما كنيسة العذراء التى تقوم على مكانها كنيسة الدباغة. وفى سنة ٧٩٦م أهدى هارون الرشيد شارلمان ساعة دقاقة وفيلا وأقمشة نفيسة وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين عند زيارتهم القدس لذلك كان الإمبراطور يرسل كل سنة وفداً يحمل هدايا إلى الخليفة وقد أرسل إليه الخليفة مفاتيح القيامة .

زار القدس فى القرن التاسع عشر برنارد الحكيم وذكر أن المسلمين والمسيحيين فى القدس على تفاهم وأن الأمن مستتب فيها حتى أن المسافر ليلا يجب أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته وإلا زج فى السجن حتى يحقق فى أمره ويتضح قصده . وأضاف قائلا وإذا سافرت من بلد إلى بلد ومات جملى أو حمارى وتركت أمتعتى مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة سأجد كل شيء على حاله لم تمسه يد .

قدس صلاح الدين

الصليبيون :

ومع ذلك أوجد الغرب أسباباً للإغارة على هـذه البلاد وإراقة دماء أبنائها وحكمها نحو تسعين سنة .

حاصر الصليبيون مدينة القدس فى السابع من حزيران سنة ١٠٩٩م حصاراً دام أربعين يوماً وقاومهم افتخار الدولة الوالى الفاطمى . وكان أول من دخل المدينة من باب الساهرة غودفرى دى بويون فى ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ (٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ هـ.) ثم أبيحت دماء المسلمين داخل المدينة حتى وصلت الدماء فى رواق المسجد إلى الركب ، عندما ظن المسلمون أن المنتصرين لن يؤذوهم داخل المسجد . وامتدت المذبحة ثلاثة أيام قضت على تسعين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال والعجز ، وكتبوا يهنئون البابا قائلين أن خيولنا تغوص إلى الركب فى الهيكل بين دماء المسلمين . وحولوا قبة الصخرة إلى كنيسة . وأعطوا قسماً منها إلى فرسان الهيكل ونهبوا ما فيها من أدوات الإضاءة الثمينة .

كما حولوا جزءاً من المسجد الأقصى إلى كنيسة لهم وقسماً آخر جعلوه مسكناً لفرسان الهيكل . واتخذوا من الأبنية السفلى اسطبلات لخيولهم ودعوها اسطبلات سليمان .

لم يستسلم المسلمون للفتح الصليبي بل أخذوا يتجمعون بالتدريج ليكونوا عصابات تقطع طرق الفرنج وتقلق راحتهم. ولقد ذكر الراهب دانيال الذى

قدم القدس من جزيرة رودس سنة ١١٠٦ م ، إن القدس مدينة كبيرة تحيط بها أسوار منيعة عالية . ومع ذلك فإن الحكم اللاتينى غير موطد الأركان إلا فى داخلها ، وأما فى خارج الأسوار فكان مضطرباً وأن الثوار المسلمين كانوا منتشرين فى جميع أنحاء البلاد .

ولما سمع الشاعر الأبيوردى بهذه النكبة قال هذه القصيدة بين يدى ملك دمشق السلجوقى يحرك همته ويثير نخوته .

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... ولم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فإيها بنى الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة فى ظل أمن وغبطة ... وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
واخوانكم (بالشام) يضحى مقيلهم ... ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم (الروم) الهوان وانتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى ... توارى حياء حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها ... ليسلم يقرع بعدها سن نادم
يكاد لها المستجن بطيبه ... ينادى بأعلى صوته يا لهاشم
أرى أمتى لايشرعون إلى العدا ... رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى ... ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الأعارب بالأذى ... وتغضى على ذل كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حمية ... عن الدين ، ضنوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا فى الأجران حمى الوغى ... فهلا أتوه رغبة فى المغانم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى ... فلا عطسوا إلا بأجدع راغم

دعوناكم والحرب تدنو ملحـة   إلينا بالحائط النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية   تطيل عليها (الروم) عض الأباهم
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه   رمدنا إلى أعدائنا بالجرائم

وأكاد أسمع قول الآخر وهو ينادى بأعلى صوته :

أحل الكفر بالإسلام ضيماً   يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح   وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سليباً   ومسلمة لها حرم سليب
أمور لو تأملهن طفل   لطفل فى عوارضه المشيب
أتسبى المسلمات بكل ثغر   وعيش المسلمين إذن يطيب
أما لله والإسلام حق   يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا   أجيبوا الله ، ويحكم ، أجيبوا ...

فدائيو نور الدين :

من ينعم النظر فى صفحات التاريخ ير أن نور الدين — بعد أن امتلك دمشق — ٥٤٩ هـ — ١١٥٤ لم ينقطع عن بث الأرصاد وارسال الفدائيين إلى بيت المقدس ، فقد كان يرسل أعوانه ليجوسوا خلال الديار ويعرفوا كيف ومن أين يمكن مهاجمتها واسترجاعها إلى حظيرة المسلمين .

فقد عثر الأستاذ — مكاليستر — فى أسفل جبل الزيتون بالقدس وعلى بعد (٦٠٠) متر من الزاوية الشمالية الشرقية لبرج اللقلق — من أبراج السور عند ملتقى وادى الجوز بوادى قدرون مقابل المتحف الأثرى — على مغارة مطينة بالجص ذات قاعتين مربعتين ، احداهما داخلية والأخرى خارجية مساحة كل منهما على وجه التقريب ٤ × ٤ أمتار . تحتوى القاعة الداخلية

على بضع عشرات من الكتابات العربية منقوشة فى الجدران ، فرسمها كما هى وسلمها للأستاذ دالمن الألمانى . وهذا بدوره اطلع عليها العلامة السويسرى فان برشام — الاختصاصى فى علم الآثار . فعقد هذا فصلا مطولا عن هذه النقوش فى مجموعته القيمة التى جمع فيها أخبار بيت المقدس فى تلك الآونة من الدهر .

ونقل المرحوم الأستاذ عادل جبر عن — مكاليستر — كلامه هذا فسجله فى العدد ١٤ — السنة ٩٢٣ من مجلة صوت الشعب — لمنشئها عيسى البندك فى بيت لحم . وقال أنه زار المكان المذكور فوجد على الجدران كتابة عربية وأسماء كتبت بخط كوفى يدل شكله على أنه من كتابات منتصف القرن السادس للهجرة وقد تمكن من قراءة الأسماء التالية .

— الله ولى بكر بن عمر . حمزة بن حميد — بشير بن عبد الله . محمد بن سنان . المنشىء الياس بن أحمد عبد الواحد بن السائب ، أيوب ابن عبد الله .

وفى كهف قريب من المغارة نفسها عثر الأستاذ — دالمن — الألمانى على حجر نقشت عليه بعض الكلمات رسمها الأستاذ — شيك — ونشرها فى إحدى المجلات العلمية سنة ١٨٩٢ وقد حلها فان برشم — فظهر أنها اسم رجل يدعى — عبد الله عثمان بن سعيد القصرى — وقد استنتج من خطها الكوفى انها — والكتابات المتقدم ذكرها — ترجع إلى زمن الملك العادل نور الدين بن زنكى الملقب بالشهيد فى منتصف القرن السادس للهجرة . وهؤلاء هم من رجاله الذين كان يبعث بهم ليجوسوا خلال الديار . وقد حصر همه فى اجلاء الصليبيين عن المدينة ولكنه قضى نحبه قبل أن يدرك غايته .

منبر نور الدين .

ذكر صاحب كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية المعروف

بابن أبي شامة ، أنه جاء إلى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء، فلما انتهوا إليه وجلسوا بين يديه قال قائلهم :

أيها السلطان نطالب إليك أن تبتسم .

فسألهم السلطان وعلام الابتسام ؟ فقال الرجل ؟ جئنا إليك أيها السلطان نروى عليك بسندنا المتصل إلى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم حديثاً مسلسلا قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم ، ومن شروط الحديث المسلسل أن يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحدث به .

فالتفت إليهم السلطان نور الدين والأسى يكاد يفطر فؤاده وقال : كيف ابتسم أيها القوم ، والمسجد الأقصى المبارك فى بيت المقدس راسف فى قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء من الكفار .

وكان الصليبيون ، يومئذ يحتلون المدينة المقدسة ويتخذون من المسجد الأقصى المبارك معبداً لهم .

ومن ذلك اليوم ، صمم هذا السلطان المجاهد ، أن يصرف كل همه فى اعداد العدة العسكرية لمناجزة الصليبيين القتـال وانقاذ المقدسات الإسلامية من تحت وطأتهم ليعود المسجد الأقصى المبارك إلى سابق عهده تحت راية التوحيد الإسلامية ، وبادر من فوره إلى اصدار أمره بأن يصنع للمسجد الأقصى المبارك منبر يليق بمكانته الدينية لـكيَ يـكون هدية منه خالصة لوجه الله تعالى ويبقى خالداً فى مكانه إلى أبد الأبدين .

وبالفعل ، فان عدداً من أمهر النجارين فى مدينة حلب بدأوا — باعداد المنبر واستمروا فى صنعه عدة سنين حتى جاء قطعة فريدة من نوعها، من حيث الدقة والجمال والزخرفة . ويقال بأن هؤلاء الصناع حرصوا على اتمام هذا المنبر من أوله إلى آخره دون أن يدخلوا فيه مادة من غير الخشب .

إلا أن الأقدار الإلهية ، شاءت أن تختار السلطان نور الدين إلى جوارها فى عليائها ، قبل أن يحقق أمله المنشود ، فمات رحمه الله والمنبر ما يزال فى طور الإعداد ، فلما تولى ابنه السلطان الملك الصالح اسماعيل تابع ما كان أبوه قد بدأه به ، حتى أتمه نهائيا فى أيامه حوالى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م).

ولقد حفرت على جوانبه الكلمات التالية : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله الفقير إلى رحمته ، الذاكر لنعمته ، المجاهد فى سبيله ، المرابط لأعداء دينه ، الملك العادل نور الدين ، ذكر الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين أبو القاسم محمود بن زنكى ، أبو سيف ناصر أمير المؤمنين . أعز الله أنصاره. وأدام افتخاره — وأعلى مناره . ونشر فى الخافقين أعلامه . وأعز أولياء دولته. وأذل كفار نعمته ، وفتح له وعلى يديه وأقرّه بالنصر . وارحمنا برحمتك يارب العالمين وذلك فى سنة ٥٦٤ هـ .

وعلى باب المنبر نقشت أسماء الأشخاص الذين صنعوا ذلك المنبر وهى: سليمان بن معالى . حميد بن ظافر . الحسن بن يحيى وولداه فضايل وأبو الحسن وهم من حلب .

توفى الملك محمود قبل أن يتم صنع المنبر فأتمه من بعده ولده الملك اسماعيل وكتب على زنار المنبر الكلمات التالية ، بسم الله الرحمن الرحيم تمامه فى أيام ولده الملك العادل الصالح اسماعيل بن محمود بن زنكى بن اق سنقر . وكان ذلك فى سنة ٥٧٠ هـ .

وكتب على يمين الخطيب من ناحية المحراب .

بسم الله الرحمن الرحيم ، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة ..

وكتب على يسار الخطيب من الجهة الغربية للمنبر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .

وكتب على رقبة المنبر .

بسم الله الرحمن الرحيم . عمل فى أيام مولانا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود زنكى .

وكتب على الدفة اليمنى من المنبر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها . وقد جعله الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هى أربى من أمة . إنما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامه ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة(١) .

صلاح الدين يحقق أمنية نور الدين

مات الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وهو بعد غلام لم يبلغ الحلم ، فالتف المسلمون تحت راية صلاح الدين بن أخت السلطان نور الدين ونادوا به قائداً وزعيماً ، فنهض صلاح الدين بالأمر كأحسن ما ينهض البطل إذا دوت

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامى العدد السادس أكتوبر سنة ١٩٦٩ للشيخ طه الولى .

بمسمعيه نداءات البطولة والفداء وأصغى إلى قول الشاعر الذى خاطب خاله نور الدين فى قصيدة جاء فيها .

فانهض إلى المسجد الأقصى بذى لجب ... يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
وأذن لموجك فى تطهير ساحله ... فإنما أنت بحـــر لجة لجب

فرأى أن هذا الشاعر حينما خاطب خاله نور الدين إنما كان يعنيه هو كذلك بهذا الخطاب . فتجهز لإتمام رسالة سلفه وتحقيق ما حالت المنية بين نور الدين وبين هدفه . ولما أن كان اليوم السابع والعشرين من رجب الفرد سنة ٥٨٣ ، إذا بيت المقدس تنفض عنها أعباء الاحتلال الصليبى وترفع رأسها للمنقذ العظيم لكى يكلله بألوية الظافر المؤزر على أناشيد المهللين والمكبرين من الأبطال المسلمين والحجاج الموحدين كما قال أحدهم :

إيه صلاح الدين قم وانظر إلى ... حالة فى القدس تستبكى العيون
أبدل العز الذى تعرفه ... ذلة واستبسل المستضعفون

صلاح الدين

بعد الانتصار فى حطين أخذ صلاح الدين يتأهب للزحف على بيت المقدس وكان حريصاً على أن يجنب هذه المدينة ويلات الحروب والحصار . فلما وصل اليها استدعى وفداً من الصليبيين الذين كانوا فيها وطلب إليهم تسليم المدينة التى يقدسها المسلمون كما يقدسها المسيحيون . ولكنهم أعلنوا أنهم لن يسلموها له طوعاً ماداموا أحياء . وباعوا زينة المعابد وكنوزها واشتروا بأثمانها أسلحة وأغذية للصبر على الحصار .

عند هذا الموقف أقسم صلاح الدين أن يفتحها بالسيف مهما كلفه الأمر . وفى الحال أمر بإحاطة أسوار المدينة بالجند وآلات القتال . وقوبل بهجوم

عنيف واشتباك دموى ، وبعد خمسة أيام نقل السلطان معسكره إلى جهة الشمال وأخذ يقذف البلد بآلات القتال التى أحدثت ثقوبا فى الأسوار .

وكان السور الشرقى من جهة وادى قدرون أكثر الأسوار اصابات فى الخراب وأصبح باب الأسباط لا يقوى على الدفاع أمام هجمات المسلمين الذين صمموا على كسب المعركة مهما كان الثمن ، فاضطرت الحامية الصليبية لإرسال القائد بليان أمير أعبلين — وكان يتكلم العربية — فظهر وهو يحمل علم التسليم لمفاوضة صلاح الدين لتسليم المدينة ، على شروط العفو التى منحها صلاح الدين إلى جميع المواقع الصليبية التى سلمت إليه. ولكن السلطان لم يجبه إلى ما طلب بل صمم على فتحها بالسيف كما فتحها الصليبيون قبل تسعين عاما — فقال بليان : إن فى المدينة ستين الف مقاتل عزموا على أن يقتلوا نساءهم وأطفالهم ويدمروا كل ما يستطيعون تدميره ، بما فى ذلك الحرم الشريف وأن يقتلوا الأسرى المسلمين لديهم ، مع خمسة آلاف مسلم كانوا قد تسللوا إلى القدس وسكنوها فإذا فرغوا من ذلك خرجوا لقتاله صابرين حتى يقتلوا عن آخرهم .

ولقد راع صلاح الدين هذا التصميم فاستفتى من معه من الفقهاء فى يمينه فأفتوه بأن ما حدث من قتال حول القدس يكفى لتسويغ قسمه ، وانه يستطيع أن يعتبر أن كل من كان فى المدينة أسرى حرب، له أن يضرب عليهم الفداء ولقد اقتنع صلاح الدين بهذه الفتوى ووافق على أن يكون الفداء عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمسة وعن كل طفل دينارين وأن يتم الاحتلال خلال أربعين يوما — فمن وجد فى المدينة بعدها أصبح ملكا مسترقا للسلطان .. فوافقوا وسلمت المدينة .

وقبيل صلاة السادس والعشرين من رجب سنة ٥٧٣ هـ (أول تشرين الأول سنة ١١٨٧ م) أى بعد فتح حطين بثلاثة أشهر دخل السلطان القدس مغظيا مكبرا مع قواد جيشه وفقهاء ملته . وفى ثانى يوم احتفل المسلمون بليلة

الإسراء والمعراج احتفالا عظيما — وقد حافظ المسلمون على إحياء هذه الليلة المباركة فى الحرم الشريف الى يوم الناس هذا . وصلى صلاح الدين ورجاله صلاة الجمعة تحت قبة الصخرة واستمع الى خطبة القاضى محي الدين ابن الزكى ، خطبة عبرت عن تنبؤه بهذا الفتح المبين عندما قال :

وفتحك القلعة الشهباء فى صفر ‏ مبشر بفتوح القدس فى رجب

وكان الحرم الشريف يغص بالمصلين حتى لم يبق مكان لمصل جاء متأخراً .

قال ابن سناء الملك :

لست أدرى بأى فتح تهنى ‏ يا منيل الإسلام ما قد تمنى
فقد ملكت البلاد شرقاً وغرباً ‏ وحويت الآفاق سهلا وحزناً

اتخذ صلاح الدين جميع الاحتياطات لجمع الفدية المقررة ، فأمر بإغلاق الأبواب — إلا باب الخليل — وعين جباة لقبض الفدية ، فكان الشخص يخرج ويدفع الفدية وينتظر رهطاً يرافقه إلى صور . وخرج الأمير بليان ومعه سبعة آلاف فقير دفع عنهم ثلاثين ألف دينار ، كما دفع رؤساء الهيكل Templars والاسبتالية Hospitallers عن أفراد منظماتهم ودفع البطريرك عن بعض فقراء رعيته . ولقد تغاضى الجباة عن قبضها من بعض الصليبيين الذين توسلوا إليهم ، فسمحوا لهم بالخروج ، كما هرب بعضهم من أسوار المدينة المهدمة ... وانقضت الأربعون يوماً ولا يزال فى المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين ، لا يملكون الفداء .

يقول المؤرخ الصليبي آرنولد — ولعله كان حاضراً ذلك اليوم المشهود:

لقد تقدم العادل إلى أخيه صلاح الدين وقال : لقد أعنتك بحمد الله على فتح هذه المدينة وإنى أستوهبك ألفاً من هؤلاء الأرقاء . فأجابه السلطان إلى طلبه . وعند ذلك أعتقهم العادل من فوره . ثم رجع بليان والبطريرك وطلبا مثل الذى طلبه العادل ، فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا فى الحال . وهنا التفت صلاح الدين إلى الحاضرين وقال : لقد أدى أخى صدقته وكذلك فعل الأمير والبطريرك والآن جاء دورى لتأدية صدقتى أنا. فأمر رجالا من حرسه أن ينطلقوا وينادوا فى شوارع القدس إن كل عاجز عن دفع الفداء يستطيع أن يخرج وأنه حر لوجه الله .

ولقداستغرق خروج هؤلاء نهاراً كاملا من لدن شروق الشمس إلى أن خيم الظلام . ثم تقدم إلى السلطان نساء مشاهير الفرسان ورجونه أن يطلق سراح أزواجهن الأسرى لديه ، وفى الحال لبى الطلب وأطلق أزواجهن . وكانت بينهن الملكة سبيلا زوجة ملك القدس غاى دى لويزينان Guy de liusignan الذى كان قد أخذ أسيراً فى حطين ، فأجابها إلى طلبها . . . بما أطمع غيرهن فى حلمه ولطفه ، فتقدمت إليه دفعة أخرى من النساء معولات باكيات يشكين إليه سوء حالهن ، بعد أن قتل أزواجهن . وكان بينهن امرأة إرناط أمير الكرك الذى قتله السلطان بيده يوم حطين وفاء بنذره ، وابنة فيليب وأم هنرى ، فرق لهن وأمر بمبلغ من ماله الخاص لكل واحدة منهن ، تستعين به على حاجتها . وتقدمت إليه امرأة على جانب كبير من الثراء سكنت القدس كراهبة زاهدة جاءت تعرض عليه كل ما تملك ، فلم يقبل شيئاً منها أكثر من الخمسة الدنانير المقررة على كل امرأة عادية .

أما بهاء الدين القائد الصلاحى المشهور فقد طلب إطلاق سراح أكثر من خمس مئة أرمنى ، على اعتبار أنهم من بلاده وأنهم جاءوا إلى القدس —

كحجاج — لا كمحاربين . كما حصل أكثر من ألف أرمنى آخرين على حريتهم بدعوى مماثلة من القائد الصلاحى الآخر مظفر الدين .

وكان الفرنج يرغبون فى الخروج من البلد فباعوا أملاكهم ومتاعهم للمسلمين بأرخص الأسعار . ولقد جرد البطريرك كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس من جميع نفائسها — من لوحات فضية وذهبية وآنية مقدسة وصور وتحف — وضعها فى أربعة صناديق . ولما رأى عماد الدين كاتب صلاح الدين أن هذه النفائس تساوى مئتى ألف أراد أن يمنعه من الخروج بها ، على اعتبار أن الصلح تقرر على الأموال والممتلكات الخاصة . ولكن السلطان رفض هذه النصيحة قائلا : يجدر بنا أن لا نترك للفرنج ما يتخذونه حجة علينا ، فليأخذوا ما يستطيعون أخذه . ولقد وزع المبلغ الذى جمع على قواده وأفراد جيشه ، لأنهم عفوا عن النهب والسلب وحافظوا على سمعة المسلمين الطيبة وتمسكوا بالعهد — إن العهد كان مسؤولا .

ولقد رفض السلطان نصيحة حاشيته التى كانت تشير بالاحتفاظ بهذا المبلغ لتزويد الجيوش المحاربة بالمعدات فى المعارك التى تنتظرهم لتطهير الأراضى المقدسة من الفرنج . ولكنه قال إن هذه الأموال تمكن الجنود من العودة إلى بلادهم .

يقول المؤرخ الإنكليزى (كوكس) : (لقد لاقى اللاتين من رحمة صلاح الدين ولطفه وإنعامه فوق ما انتظروا . ومن المؤكد أن مثل هذه المعاهدة لو عقدت فى زمن بطرس الناسك وغود فرى لخرقت ساعة النصر وانصب الويل على المغلوب).

أخذ صلاح الدين يتفقد أبنية الحرم فوجد الفرنج قد بنوا منبراً ومذبحاً فوق الصخرة نفسها وملأوها بالصور والتماثيل فأمر بإزالتها ، حتى أعاد المكان مسجداً إسلامياً كما كان، وكان الصليبيون يقطعون قطعاً من الصخرة

ويبيعونها بوزنها ذهباً فى صقلية والقسطنطينية للتبرك بها، كما كانوا قد نصبوا على قبة الصخرة صليباً من الذهب المرصع بالجواهر.فأمر بإنزاله . ولما هوى إلى الأرض سمع صوته من جميع أرجاء المدينة ، فألقى الرعب فى قلوب الصليبيين . ثم أخذ يبحث عن المحراب الذى كان الصليبيون قد بنوا عليه جداراً لإخفائه وقد تركوا بينه وبين السور الجديد بجوة جعلوها مرحاضاً. ولما هدم الجدار ظهر المحراب برخامه . وزود المسجد بالسجاد والثريات . ولقد سجلت هذه الخدمات والإصلاحات بكتابة مذهبة فوق محراب المسجد الأقصى .

ولما أمر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى ، قيل له أن نورالدين كان قبل عشرين سنة قد عمل بحلب منبراً لم يعمل فى الإسلام مثله ، فأمر بإحضاره ووضعه فى مكانه الحالى فى المسجد الأقصى ، تنفيذاً لرغبة أستاذه ومليكه وخاله المرحوم نور الدين ، وشكر الله على ما أولاه من نصر مبين . واليوم يعتبر هذا المنبر من أنفس وأثمن قطع الحفر على الخشب فى العالم كافة ، إلى أن أحرقه الصهاينة .

ولقد ملأ السلطان الحرم الشريف بنسخ من القرآن الكريم أحضرها من مكتبة دمشق العظيمة . ولا يزال بعض هذه النسخ محفوظة إلى الآن . ولقد قام أمراء الأسرة الصلاحية أنفسهم باسترجاع وإصلاح وتطهير المسجد الأقصى . ويروى أن الملك المظفر أشرف على عملية تكنيس وتغسيل الحرم ورشه بماء الورد لتطهيره من رجس الفرنج . كذلك أصلحوا وطهروا مقام داود قرب القلعة فى باب الخليل ، وحبسوا عليه الأوقاف الغنية . وحولوا كنيسة القديسة حنة — (ضده حنـّة) الى مدرسة للفقه الشافعى كما حولت دار البطريرك المجاورة للقيامة الى رباط للصوفية والعلماء المجاورين الأغراب (الخانقاه الصلاحية) . وأصبحت كل منهما مدرسة لها أهميتها فى الدراسات الإسلامية .

ويروى كتبة الفرنج أن كنيسة القيامة أقفلت وأن بعض حاشية السلطان طلبوا منه أن يهدمها ولكنه لم يعمل بمشورتهم للمرة الثالثة فاستحق شكر الإنسانية على رجاحة عقله وبعد نظره(١) وبعد استتباب السلم أخذ المسيحيون يعودون إلى القدس ويزاولون حياتهم وعبادتهم العادية فيها .

ولما سمعت أوروبا باسترجاع المسلمين مدينة القدس طار صوابها وأخذت تستعد لغسل هذا العار ، ويقال أن الفرنج صنعوا صورة أو تمثالا يمثل النبي محمداً صلى الله عليه وسلم يهوى بعصاه على قفا السيد المسيح المهزوم أمامه . وتنقلوا بها فى جميع أنحاء العالم المسيحى ليثيروا حماسه الدينى فى تجهيز حملة صليبية جديدة . وبالفعل تشكلت الحملة الثالثة من أشهر ملوك أوروبا وأخذ صلاح الدين يستعد للمعركة القادمة ولنستمع لما ذكره عبد اللطيف البغدادى فى رحلته بهذا الشأن :

(ثم إنى توجهت إلى زيارة القدس ومررت بظاهر عكا لأرى صلاح الدين ، فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد ، قاضى العسكر يومئذ . فانبسط إلى وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ، فقمنا إليه فوجدته يكتب كتاباً إلى الديوان العزيز . . وقال قوموا بنا إلى القاضى الفاضل . . . فدخلنا عليه فقال: السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين فيها ... فقلت . لا بد لى من مصر ... فسافرت إليها وأقمت بها إلى أن شاع أن صلاح الدين هادن الفرنج وعاد إلى القدس ، فقادت الضروة أن أتوجه إليه فى القدس . فرأيت ملكا عظيما ، يملأ العين روعة والقلوب محبة ، قريباً بعيداً ، سهلا محبباً ، وأصحابه يتشبهون به ويتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً حفلا بأهل العلم ، يتذاكروا فى أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة وكان مهتما ببناء

(١) Jerusalem : The City of Herod and Saladin.

سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الناس — الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء — حتى العماد الكاتب والقاضى الفاضل . ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ويأتى داره ويمد الطعام ، ثم يستريح ويركب العصر ويرجع على المشاعل ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمله نهاراً . ثم غادرت القدس إلى دمشق وزاولت التدريس فى مسجدها ... ثم أن صلاح الدين عاد إلى دمشق وخرج مع الحجاج ثم رجع ، فقصده من لا خبرة عنده ، فخارت منه القوة ومات قبل الرابع عشر . ووجد الناس عليه شبيهاً بما وجدوه على الأنبياء ومارأيت ملكا حزن الناس لموته سواه لأنه كان محبوباً — يحبه البر والفاجر والمسلم والكافر ...) .

وأختتم مقالى مستشهداً بما قال المؤرخ الإنجليزى (لين بول) « لو لم يكن لصلاح الدين من الأعمال الثابتة إلا أخذه بيت المقدس لكان ذلك كافياً لجعله أعظم الفاتحين فى عصره فروسية ، وأكبرهم قلباً ، بل لعله كان كذلك فى أى عصر من العصور » .

الحرم القدسي

يظهر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما وضع للمسلمين المسجد الأقصى بصورة مستعجلة لم يكن يعلم ما تحت تلك الأنقاض من خرائب تراكمت منذ أن هدم هدريان مدينة أورشليم قبل خمسة قرون ، ولما استتب الحكم لعبد الملك خامس خلفاء بني أمية عزم على بناء مسجد يليق بمكانة القدس في الإسلام فغادر دمشق وزار المسجد العمري . وبعد البحث في المكان المناسب خص بالتقديس الصخرة المشرفة التي عرج منها النبي إلى السماء . فأمر ببناء قبة عليها لأنه رأى أن قبة القيامة تستدعي اعجاب المسلمين بها ، فأراد أن يكون لهم قبة لاتقل عنها، يصلون تحتها وتحميهم من الحر والبرد ولكنه لا يريد أن ينفذ فكرته قبل أن يأخذ رأي رعيته ، فكتب إلى ولاة الدولة ليقف على رأي بلادهم في الفكرة . فوردته الأجوبة التي خلاصتها « إنه رأي موفق سعيد لأمير المؤمنين . ونسأل الله أن يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله له مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة » وعندئذ توكل على الله وأمر واليه على مصر أن يجمع خراجها سبع سنين ، ولما تجمع المبلغ أوكل الإشراف المالي إلى مؤتمنه رجاء بن حياة الكندي والعمل الفني يزيد بن سلام. وبوشر بالعمل .

تعتبر قبة الصخرة في بيت المقدس في طليعة الأعمال الفنية العالمية لذلك لاغرابة إذا رأينا الكثيرين من فناني العالم يزورونها ليجتلوا مظاهر الجمال فيها ـ الجمال الذي طالما حفز الفنان الزائر على بسط لوحته واستعمال ريشته، حتى إذا فرغ من رسم منظر من جهة معينة تحول إلى رسمه من جهة أخرى

وهكذا لايغادر هذا المغنى من مغانى الجمال والإبداع إلا وقد حصل على مجموعة يفاخر بها على أنها ثمرة طيبة لرحلته وسيعتبرها أثمن بكثير مما صرف من وقت وجهد ومال . فإذا عرضت هذه الصور فى الأسواق حرص السياح والزوار على شرائها وارسالها إلى ذويهم وأصدقائهم كأجمل ذكرى لزيارتهم لهذا الأثر الرائع الجمال .

وقد وصفها العلماء وأهل الفن فقالوا فيها(١) :

هارتمان : — انها نموذج من التناسق والانسجام .

فيرغسون : لم أكن أتوقع مطلقاً أن أرى مثل هذه العظمة الساحرة والفتنة الفائقة فى هذا البناء الذى فاق تاج محل وغيره من المقابر الملكية . وان مافيه من التناسق والجمال الذى لانظير له ليفوق كل أثر آخر فى العالم .

هايترلويس : إن قبة الصخرة أجمل الآثار التى خلدها التاريخ .

فان برشم : لعل عظمتها وجمالها هما فى تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق حقاً أنها مفخرة العمارة الإسلامية .

كرزويل : لقبة الصخرة المشرفة أهمية ممتازة فى تاريخ العمارة الإسلامية فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول أن يدرسها من العلماء .

غوستاف لوبون : إنه أعظم بناء يستوقف النظر ... إن جماله وروعته مما لايصل إليه خيال الإنسان .

والكل يجمعون على أن قبة الصخرة هى أقدم نموذج لفن العمارة الإسلامية وما تزال تتحدى الأجيال. وقد أمر ببنائها كما ذكرت الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢هـ (٦٩١م) لتكون مقدساً يتناسب مع عظمة الأمة الإسلامية كما كان للأمم التى سبقت والتى مازالت قائمة فى بيت المقدس من معابد فخمة .

---

(١) ص ٧٣ – ٧٤ من كتاب قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ، لعارف العارف .

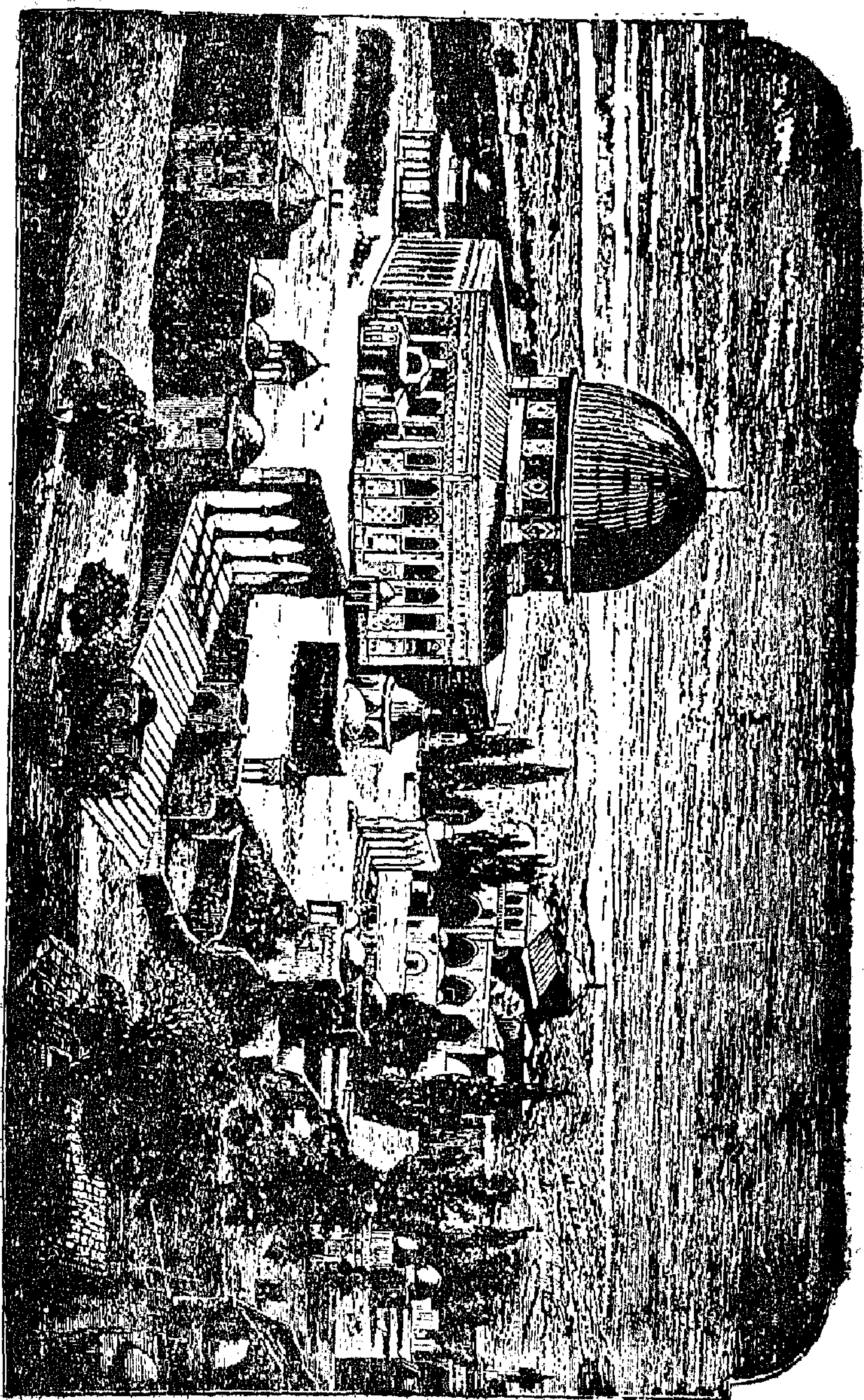
ولقد كان هذا المسجد من حين بنائه إلى يومنا هذا موضع الاهتمام والعناية من قبل المسلمين جميعاً ، فقد طرأ عليه في مختلف الأزمنة والعصور بعض الوهن في أجزائه وزخارفه وجدرانه ، من جراء الزلازل وعوامل الطبيعة الكثيرة، فهب المسلمون — ملوكا وحكاماً وشعوباً وأفراداً لإصلاحه والعناية بهذا التراث الإسلامي الخالد ، وفي زمن المنصور العباسي حصلت زلزلة صدعت هذا البناء فأمر بتحويل الأبواب الفضية والذهبية إلى نقود صرفت في تعميره، وفي عهد المأمون أصاب المسجد بعض الخراب فأمر فوراً بترميمه عندما زار القدس .

وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي سقطت بعض أجزاء القبة نتيجة لزلزال وقع آنذاك فجرى ترميمها في خلافة ولده الظاهر .

وهكذا توالت التعميرات في عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ولم ينقطع أمر التعمير والإصلاح على توالي الأيام والسنين — فالنقوش المحفورة على جدرانه تحمل أسماء الخلفاء والملوك والأمراء الذين تطوعوا في كل مناسبة بالمحافظة على هذا الأثر الإسلامي الخالد ، ليكون شاهداً للمسلمين والعرب على ما بلغوه من حظ وافر في الهندسة والزخارف وتثبيت الفسيفساء ورصفها .

زيارة للحرم الشريف

إذا اجتزنا باب الأسباط من الشرق ومشينا في شارع تاريخي لا نلبث أن نغير اتجاهنا إلى اليسار في طريق جنوبي — في الزاوية الشمالية الشرقية من الحرم الشريف . هنا تنفتح أمامنا ساحة واسعة تضم سدس مساحة القدس الداخلة ضمن الأسوار ، نمشي في طريق مبلط زرعت على جانبيه أشجار الزينة ، نرقى درجات تنتهي بأقواس ارتفعت على أعمدة رشيقة . هذه الأقواس تسمى الموازين وتوجد في باقي جهات ساحة الصخرة الأربع موازين أخرى ،



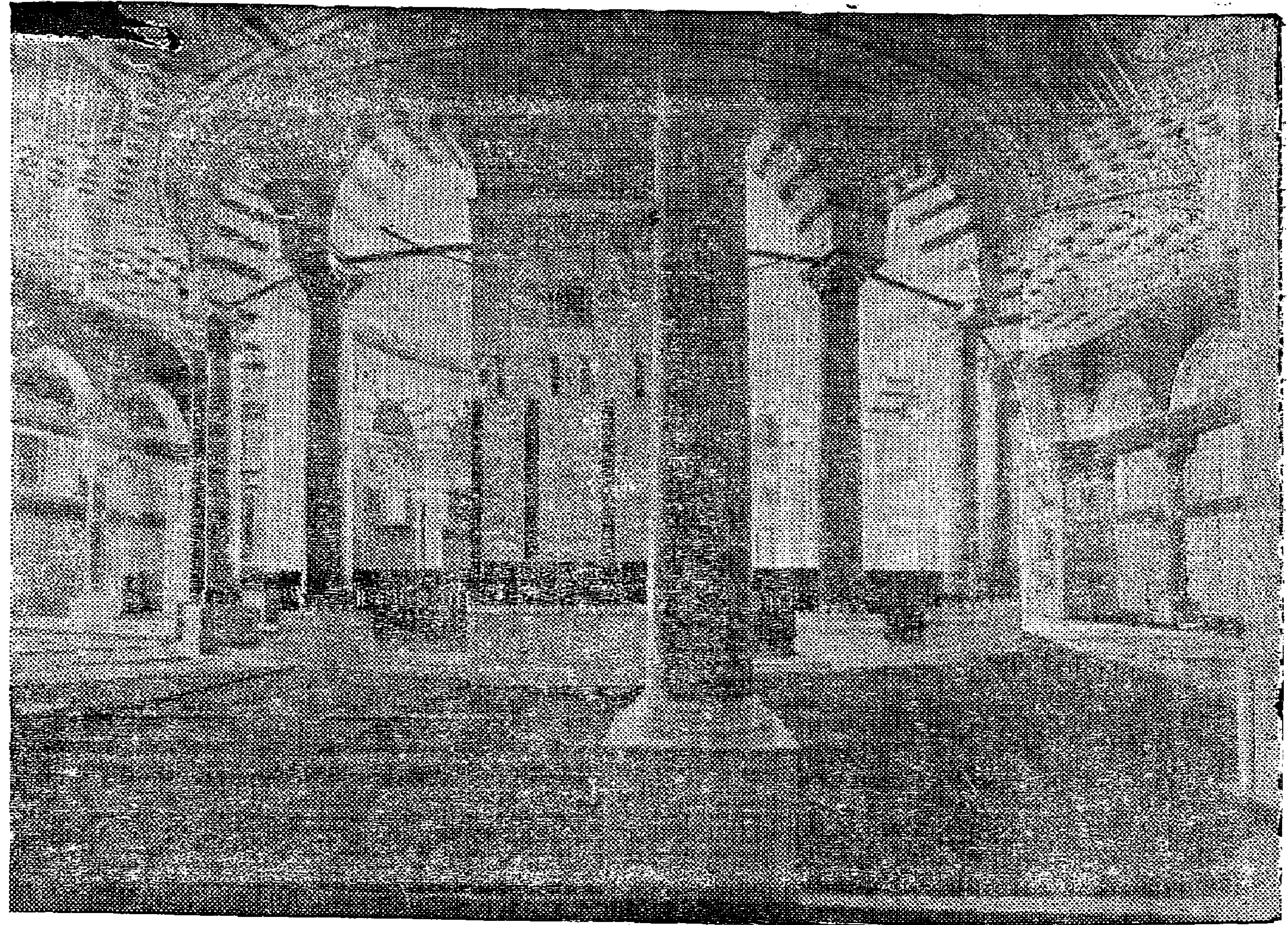
(٦) صورة القباب والمآذن والأروقة في الحرم الشريف

من تحت هذا الميزان ، نلتفت إلى الجهة الشمالية من الحرم لترى عدة قباب ومآذن وأبواب وأروقة . ومن أشهرها الباب العتم الذى غير اسمه الى باب فيصل عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين ملك العراق لأول مرة سنة ١٩٣٣ . وها هى الأروقة الواسعة وما فوقها من مدارس تدل على ما بلغه المسلمون فى عصر للمماليك من تقدير للعلم والتقوى (انظر صورة ٦) .

نشاهد نوعين من المآذن — المربعة فى عصر المماليك والمستديرة من أيام الحكم العثمانى . هذه القباب التى كانت مخصصة للغرباء والمتصوفة وأهل العلم المنقطعين للتدريس احتساباً لوجه الله ، نخطو قليلا فوق هذا الفناء المبلط ونرى فوهات الصهاريج التى تتجمع فيها مياه الأمطار. وبعضها واسع جداً ولكل منها اسم خاص . أمامنا قبة غاية فى الجمال — انها قبة المعراج ، بناها الأمير الزنجلى الموصلى أحد المماليك ، ذكرى لمعراج النبى الكريم ، من هذا المكان المبارك وهو بناء يدل ارتفاعه على علو همة بانيه الذى أراد أن يتقرب إلى الله بمثل هذا العمل المبرور .

لكن جمال قبة الصخرة الماثلة أمامنا يحملنا على السرعة إليها . نلتفت يميناً وشمالا إلتفاتة سريعة لنشاهد هؤلاء الناس الذين جاءوا لتأدية الواجبات الدينيـــة أو للمتعة الفنية وحتى طلباً للهدوء الذى أصبحت الحياة الصاخبة تتطلبه ..

والآن أرجو أن نطوف بهذا البناء المثمن الشكل . طول كل ضلع عشرون متراً وارتفاعه عشرة أمتار ، نصف الارتفاع التحتانى مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل . ونصفه الفوقانى مغشى بترابيع من القاشانى الأزرق وقد كتبت عليه سورة (يس) بالأبيض وقد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٦١ م . وفى هذه الواجهات الثمانى عدة نوافذ فيها الزجاج الملون الذى سنصف جماله من الداخل . نوالى طوافنا حتى نأتى إلى الباب



(٧) صورة استدارة قبة الصخرة من الداخل [هذه الصور الثلاث من دائرة السياحة الأردنية فلها الشكر]

الغربى ويقابله عن اليمين الميزان الغربى الذى يوصل إلى باب القطانين الذى سنصفه فيما بعد . ومنه يصل الناس إلى الحرم . فإذا درنا نحو الجنوب شاهدنا الباب الجنوبى وهو أغنى أبواب الصخرة بالنقـــوش . ومنه يؤدى الميزان الجنوبى إلى المسجد الأقصى . وكذلك الباب الشرقى الذى تقف للشرق منه قبة السلسلة التى كانت النموذج الأول الذى بنيت عليه قبة الصخرة وتقال عنها حكايات كثيرة .

نوالى طوافنا حتى نعود إلى الباب الشمالى الذى واجهناه أول وصولنا إلى فناء الصخرة المشرفة . فوق هذه الثمينة الخارجية سطح مائل يتدرج فى الارتفاع من أطراف الثمينة حتى يتصل برقبة القبة . ترتفع القبة على مستوى الفناء (٢٠) متراً ويرتفع فى أعلاها هلال نحو أربعة أمتار . وقد غطيت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص القابل للتمدد . كما أن لونه لا يتغير مهما طال عليه الأمد . وأما اليوم فقد صفح السقف بصفائح الألومنيوم المطلى بالذهب . حصل ذلك التبديل بعد الاصلاح الذى جرى على أثر اصابتها بقنابل اليهود فى حرب سنة ١٩٤٨ (انظر صورة ٧) .

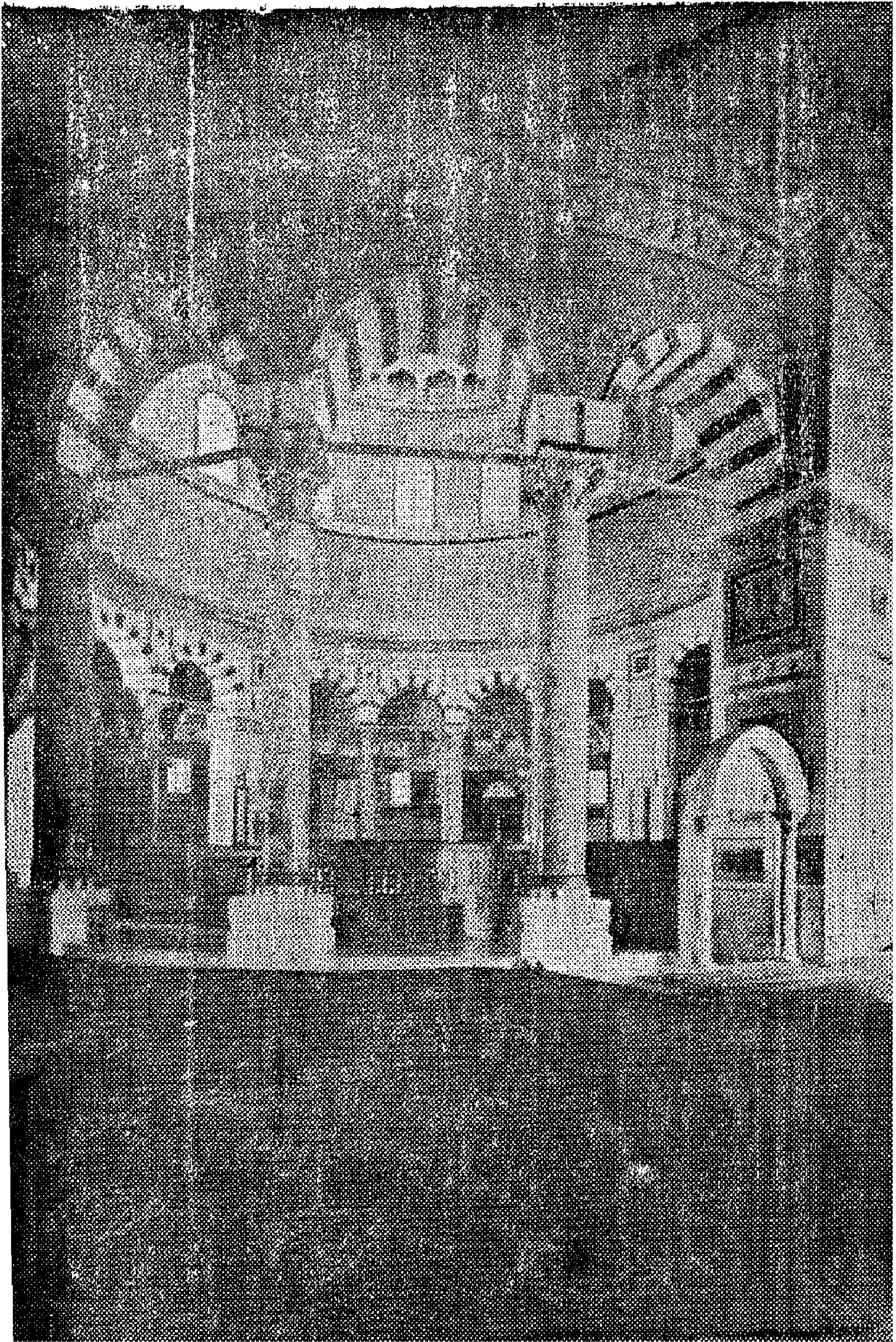
ندخل الصخرة المشرفة من الباب الشمالى ونخلع أحذيتنا ونقف متأملين مندهشين لنعرف براعة المهندس الذى شيد هذا البناء وجعل الداخل من أى باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما فى داخل البناء من الأعمدة والدعائم ، فتظهر أمامه مباشرة ، لا يحجبها عن نظره أى حاجب ، نخطو إلى الأمام فى ثمينة يقف فيها ١٦ عمودا وثمانى دعائم إلى ثمينة أخرى قامت فوقهما رقبـة مستديرة مكسوة بالفسيفساء ذات الفصـوص المتراصة بأشكال زخرفية — قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة تميل إلى زرقة هادئة غاية ما تكون جمالا وروعة — وفى وسط الرقبة كورنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة فوق ١٦ شباكا مكونة من الخارج من بلوكات من القاشانى المزخرف

بفتحات فى وسطها . ومن الداخل مكسوة بالرخام المعرق . وقد بنيت بحيث تأخذ شكلا دائرياً . وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون ، تحمل أربعة عقود ، كسيت بترابيع من الرخام الأبيض والأسود .

وبين الجزء الدائرى من مبنى قبة الصخرة والمثمن الخارجى مثمن أوسط يتكون من ثمانى دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستةعشر عمودا رخاميا ملونا مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها عمودان . ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ذات الرسوم النباتية المختلفة بألوان متجانسة ومذهبة . وبين الأعمدة أوتاد خشبية مكسوة بالبرنز بنقوش كلاسيكية مذهبة . وهذا المثمن الأوسط يفصل الرواق الأوسط عن الرواق الخارجى . ويغطى هذين الرواقين جمالون من الخشب عليه ألواح من الرصاص من الخارج ومبطن من الداخل بألواح خشبية عليها نقوش مختلفة (انظر صورة ٨) .

نخطو إلى الأمام لنقف أمام الباب الغربى وننظر إلى زجاج إحدى النوافذ من الجانب الشمالى لنرى منظراً يختلف عن المنظر الذى رأيناه من الأمام وعما سنراه من الجانب الجنوبى . وجميع الشبابيك الجصية المزججة يختلف كل منها عن الآخر فى الزخارف والألوان .

استطاع البناء العربى أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع فحصل بذلك على ستة عشر ضلعا قصيراً ، نصب عليها رقبة تشبه الطبل فى شكلها . وفى هذه الرقبة التى انتصبت فوق التثمينتين ركبت القبـــة وهى قبة مزدوجة داخلية صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبيـة بألوان مختلفة . وقد كتبت عليهـا آية الكرسى. وخارجية من الخشب المصفح بالرصاص .



(٨) صورة روائع الفن الإسلامى داخل قبة الصخرة

وتنفذ من جدرانها أربعون نافذة تعلوها ٥٦ طاقة أقل اتساعا من النوافذ وتطل على داخل المسجد وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء مصلحيها ففى اصلاح صلاح الدين نقرأ هذا النص « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا الملك الناصر العالم العادل العالم صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك فى شهر سنة ست وثمانين وخمسمئة » .

ومعظم النوافذ المزينة بالذهب صنعت بأمر السلطان سليمان القانونى كما جدد أكثر أبوابها وجاءها بقطع القاشانى والزخارف من مختلف بقاع الأرض . نقرأ على الباب الشمالى المعروف بباب الجنة كتابة نقشت بالذهب على لوحة نحاسية هذا بعض من نصها « قد جدد بحمد الله قبة الصخرة من بيته المقدس الفائقة ببنائها فى ظل دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنصر والبرهان أبو الفتوح سليمان خان » .

تحت هذه القبة صخرة برزت نحو المتر من الأرض بشكل غير منتظم . يبلغ طولها نحو ١٨ متراً وعرضها ١٣ متراً وأحيطت بحاجز خشبى حفر حفراً فنياً رائعاً . من على هذه الصخرة عرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » وفى حديث آخر : « صخرة بيت المقدس من صخور الجنة » وبسبب ذلك اتخذها المسلمون قبلتهم الأولى ويعتبرون أجر الصلاة فيها كأجر خمسمئة صلاة . وفى حديث آخر : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد — المسجد الحرام ومسجدى ومسجد بيت المقدس » .

وبينما نحن ندور حول الصخرة فى هذه الثمينة مأخوذين بجمالها ولاسيما بفصوص الفسيفساء وزجاج النوافذ الذى يأخذ بمجامع القلوب — نقرأ

كتابة كوفية هذا نصها : « بنى هذه القبة عبد الله — عبد الملك بن مروان — أمير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضى عنه » .

وأثناء زيارتنا هذه نصل إلى باب فى الجنوب الشرقى تحت الصخرة نقف مأخوذين بجمال القوس الذى أقيم على مدخله . ندخل الباب الجميل ونهبط ١٦ درجة توصلنا إلى الغار الشريف وهو كهف أبعاده ٤٫٥ × ٤ أمتار وله سقف يرتفع ثلاثة أمتار ، وفيه ثغرة سعتها نحو المتر . وفى الداخل محرابان باسم ابراهيم والخضر عليهما السلام ، ذكرى اجتماع سيدنا ابراهيم بملكى صادق اليبوسى . يتبرك الزوار بالصلاة فى هذا المزار الشريف .

وبلغ من تعظيم المسلمين قبة الصخرة أنهم كانوا فى كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماء وردى الجورى ويخمرون هذا المزيج ليلا وفى الغداة يأمرون الخدام فيدخل هؤلاء الحمام فيغتسلون ويتطهرون ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون إلى مسجد الصخرة حاملين ما تخمر بالأمس وبعد أن يغسلوا الصخرة يأتون بمجامر الذهب والفضة فيها العود والند الممزوج بالمسك والعنبر . فيرخون الستور حول الأعمدة كلها . ثم يحملون البخور ويدورون حول الصخرة ثم ينادى المنادى فى سوق البزازين : ألا إن الصخرة قد فتحت للناس ، فمن أراد الصلاة فيها فليأت . وكان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة من الحجاب ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر (١) .

نخرج من الباب الجنوبى من مسجد الصخرة ونتقدم إلى الأمام لنصل إلى الميزان الجنوبى . وقبل أن نهبط أدراجه نرى على يميننا منبراً صنع من الرخام البديع وتعلوه قبة رائعة الجمال . وقد أقيم لذكرى استرجاع الحرم

---

(١) ص ١٠٠ من كتاب مثير الغرام .

من الافرنج ، وأصبح فيما بعد منبراً للمبلغ الذى يسمع صوت الامام فى الأقصى فيبلغه بصوته العالى ليسمعه المصلون فى مسجد الصخرة .

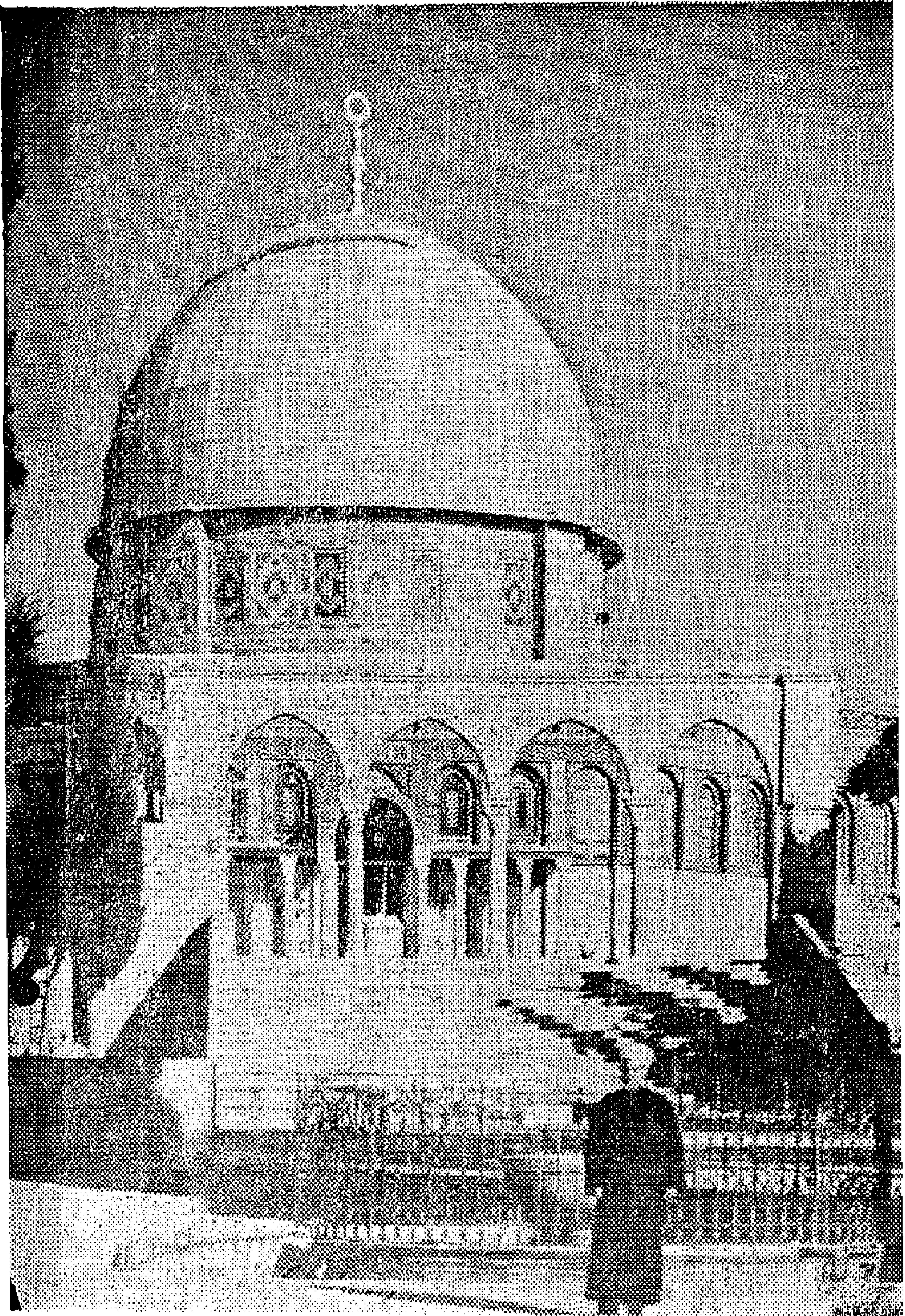
نهبط الدرج حتى نصل إلى بركة تسمى الكاس — يتوضأ منها المصلون إذا التفتنا إلى الوراء شاهدنا تخطيطاً على الصفحة القائمة فوق أعمدة الميزان شاهدنا رسم ساعة شمسية يستدل بها المؤذن على وقت الظهر وذلك عندما تكون الشمس فى وسط السماء ثم تأخذ فى الزوال نحو الغرب. لذلك تسمى المزولة (انظر صورة ٩) .

المسجد الأقصى :

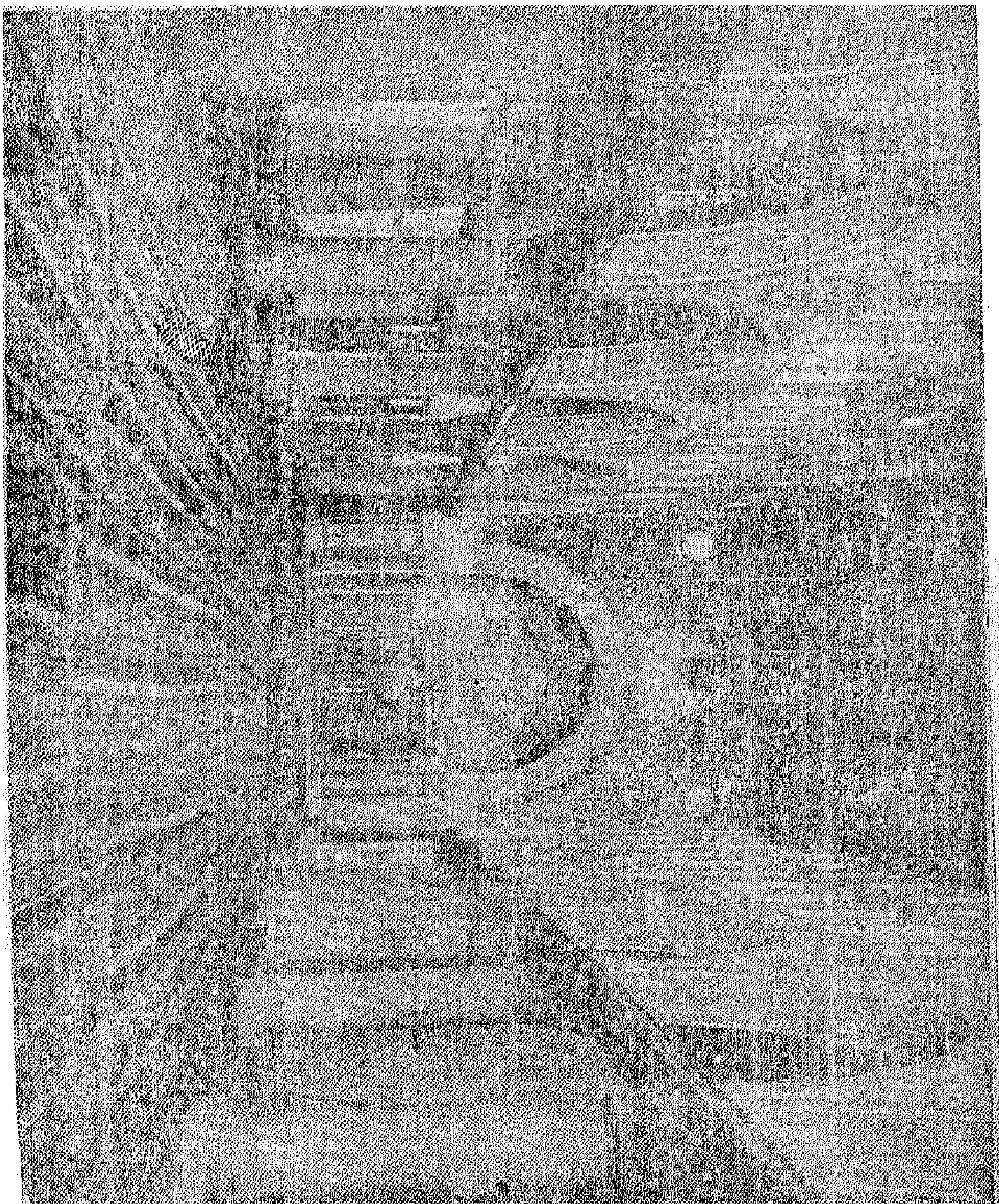
اختط عمر بن الخطاب مسجدا لرجال الفتح يؤدون فيه صلواتهم ؛ ويصفه زائر أجنبي شاهده سنة ٦٧٠ م بقوله : إنه مبنى من ألواح الخشب ويتسع لثلاثة آلاف مصل . وكان مربع الشكل .

ولما فرغ عبد الملك من بناء مسجد قبة الصخرة الذى لم يكن يتسع لجميع المصلين أمر بازالة مسجد عمر العتيق وبناء المسجد الأقصى . وشرع فى بنائه وقبل أن يتم توفى وخلفه ابنه الوليد الذى عزم على اتمام ما بدأ به أبوه ، فأمر بنقل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ومنها إلى بيت المقدس ليزين بها جدار المسجد ولكن القبة غشاها بالنحاس . وخرج شكل المسجد حسب الطراز الباسليكى الذى كان شائعاً فى ذلك الزمان فى جميع الأبنية الواسعة لاسيما فى الكنائس المسيحية .

ها هو المسجد الأقصى يجابهنا بأبوابه السبعة . ونلاحظ أن أوسطها هو أعلاها ومنه ندخل إلى البهو الأوسط الذى يعلو عن الابهاء الجانبية . ومعظم الأبنية الحالية فى الأقصى هو من أعمال الملك المعظم عيسى — ابن الملك العادل أخى صلاح الدين سنة ١٢٣٦ م (انظر صورة ١٠) .



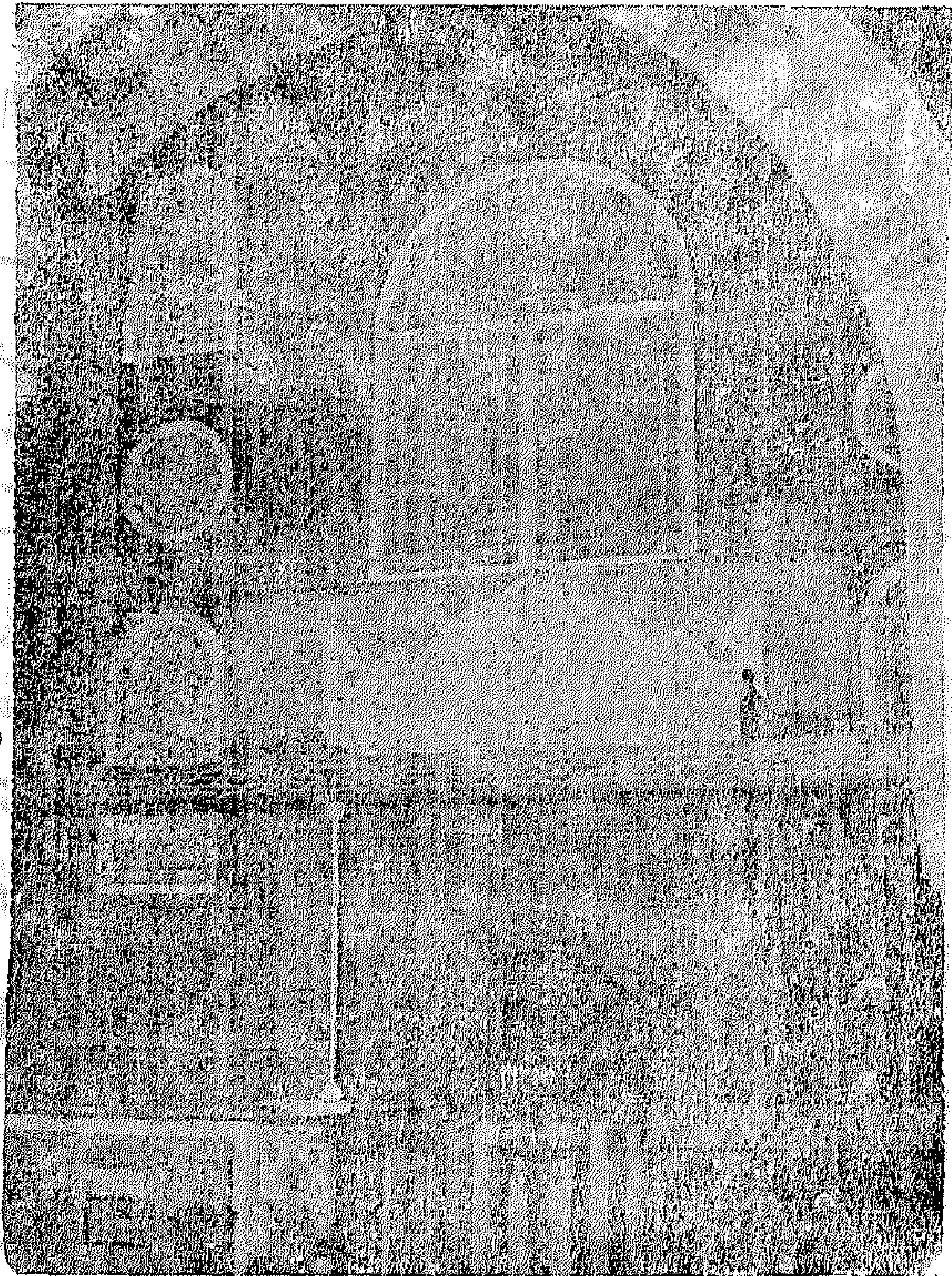
(٩) صورة قبة الصخرة عندما تراها من الجنوب يظهر فيها السكاس والمزولة فوق الأعمدة المقابلة



(١٠) صورة الجزء الأوسط من المسجد الأقصى المبارك

يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً وقد جددت جميع أعمدته القديمة . وبذلك تم توحيد أشكالها وعددها (٥٣) عموداً ومعها (٤٩) سارية مربعة ، بنيت من الحجارة وارتفاع الأعمدة والسوارى خمسة أمتار قامت فوقها أقواس حجرية اتساع كل منها تسعة أمتار ويربط بين الأعمدة شدادات من النحاس .

ندرع هذه الابهاء الرحبة إلى أن ينتهى بنا المطاف إلى تحت القبة القبلية التى ترتفع ١٧ متراً عن الأرض وقد غطتها الفسيفساء الجميلة ، والتى تضم جميع مظاهر الفن — باستثناء الصور الآدمية أو الحيوانية . أى أنها اقتصرت على الزينات النباتية .



(١١) صورة المحراب والمنبر داخل المسجد الأقصى المبارك

وفى قبلة المسجد يقف منبر نور الدين ومحراب صلاح الدين وقد مر وصفهما ، وحول المحراب كتبت آية الإسراء ...

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . — وآية أخرى هى : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا يتخذوا من دونى وكيلا » .

إذا التفتنا حوالينا رأينا محاريب بأسماء كثيرين من الأنبياء والأولياء والصالحين . إننا فى مكان رحب هادىء جميل جليل . فما أعظمها من متعة روحية وما أشد حاجة العالم إليها.

أبنية المماليك والعثمانيين :

أكثر سلاطين المماليك من بناء المساجد والمدارس والمقابر وأسبلة الماء فى القدس وغالوا فى تزيينها وتجميلها حتى جاءت آيات فى الفن الجميل . وقد بلغت زخرفة الأبواب العالية مبلغاً لا يضاهى من الأناقة والجمال . كما أخذت الكتابات تشغل كل فراغ على الطراز زخرفاً قائماً بذاته ، وذلك يعنى أن الحروف أصبحت نوعاً من أنواع الزينة . وقد اتخذ كل سلطان منهم شعاراً خاصاً (يعرف بالرنك) نقشه على أبنيته. وزينوا الواجهة الأمامية بحجارة ملونة متناسقة وظهرت (المقرنصات) فى أعالى الأبواب والنوافذ ، وهذه أمثلة بارزة منها :

باب السلسلة :

يعتبر باب السلسلة أهم الأبواب التى يدخل الناس منها إلى الحرم من الجهة الغربية . وأهم ما يستلفت النظر فيه سبيل الماء — لا سيما زهرة الورد ذات التسعة براتق (ورقات) ولقد كانت فى الأصل (١٢) برنقاً

وتظهر برانقها الغضة على هـذا السبيل كأن الريح تهب من بينها فتحركها قليلا وبلطف . ويظهران رؤوس الأعمدة الصـغيرة ومثلثات زوايا الزينة هى مما غنمه البناءون المقادسة من البنايات الصليبية. ولا يظهر من الأعمدة إلا ثلاثة أرباعها . وهى رفيعة وتشبه ثمانية حبـــال مجدولة ــ أكثر منها دعامات حجرية ، كما نشاهد قوساً للزينة عليها أفريز متعرج شاع استعماله فى أوروبا خلال القرن الثانى عشر . وقد كتب على هذا الأثر « أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السـلطان الملك الأعظم الخاقان المكرم ، مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم والإسلام والمسلمين وظل الله فى العالمين حامى الحرمين الشريفين السـلطان سليمان بن السلطان سليم خان . خلد الله ملكه وسلطانه وأدام عدله وإحسـانه . بتاريخ ثانى وعشرين شهر رجب المرجب من شهور سنة ثلاث وأربعين وتسعماية » .

سبيل قايتباى :

يعتبر السلطان قايتباى ــ الذى استغرق حكمه ٢٧ سنة أكثر المماليك أبنية فى القدس . وله فيها المدرسة الأشرفية فى باب السلسلة وسبيل قايتباى فى ساحة الحرم الغربيـة بين باب السلسلة وباب القطانين . وهذا الأثر بناء مربع فوق دكة مربعة أبعادها ٥ × ٥ أمتار ، فوقه قبة تحتها أفريز جميل . وفى شبابيكها الحجارة المائلة الملونة وكلها مغطاة برسوم وأشكال هندسية أو على أشكال الزهر . وتحتها صهريج تجمع فيه مياه الأمطار أو يصب فيه الماء الواصل من برك سليمان جنوب القدس ومن عين فاره شرقيها . (انظر صورة ١٢)

باب القطانين :

ومن حارة الواد يبدأ سوق القطانين الذى ينتهى الداخل منه إلى الحرم الشريف ، وهو شاهد حى على الطراز الإسلامى الخاص بالأبواب الشامخة

بالحجارة الملونة وفيه أفريز يفصل بين زاويتى الباب — اليمنى واليسرى وبين القنطرة التى تغطيها وفوق الكورنيش تتدلى المقرنصات الجميلة — وقد أصبحت المقرنصات الحجرية التى تتدلى كأنها أكواز الرمان أو النارنج تتدرج فى انتقالها من بسيطة إلى مركبة ومستقلة بذاتها — وكانت الغاية منها أن تستر التغيير من الواجهة المربعة إلى القبة المستديرة والى القسم الأعلى من البوابة .



(١٢) صورة سبيل قايتباى

الأعمار(١):

طرأ على بناء المسجد الأقصى مع طول العهد وتقادم الزمن وهن اكتشفه المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين ، فهب من فوره يسعى لسرعة الاعمار ، فاستدعى المهندس المعمارى التركى كمال الدين ليستشيره فى الأمر ، فلبى الرجل الدعوة وجاء الى القدس سنة ١٩٢٢ ومعه عدد من المهندسين . ولدى الكشف على المسجد أخذوا يضعون خطة عمل تناسب قدسيته وجلال قدره ومزاياه التاريخية والدينية . وقد وجدوا أن تيجان الأعمدة وقواعدها قد تصدعت ومال بعض أجسام الأعمدة عن وضعها العمودى حتى لم يعد باستطاعتها أن تحمل ثقل البناء القائم عليها ، وقد أوشك على الانهيار . كما أن قسما كبيراً من الفسيفساء والنوافذ المصنوعة من الجص الملون سقط ، مما أدى الى تشويه منظر البناء الفخم ... واذا لا بد من السرعة فى أعمال الإنقاد والإبقاء على هذا الأثر الذى قل أن يجود الزمان بمثله .

وانضم الى الفريق التركى فريق من المهندسين المصريين الذين مارسوا إصلاح المساجد الأثرية فى مصر . وقد اختلف الفريقان فى عملية الإعمار ففريق قال بهدم القسم التالف وبنائه من جديد . وفريق (المصرى) أوجب أن لا يهدم شىء من البناء الحالى ، بل يقوم الأعمار بتقويته والمحافظة عليه جهد المستطاع تقوية الأسس والأعمدة وتجديد الشدادات الخشبية وحفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة وحفظ القبة نفسها ، لاعتبارات أثرية ودينية واجتماعية .

وأخيراً أخذ بالخطة المصرية . وانتهت اللجنتان من وضع التقرير الموحد فى ٢٢ شباط سنة ١٩٢٤ وقدرت المبالغ اللازمة لهذا الإعمار .

---

(١) اعتمدنا فى أعمار الحرم الشريف على ما ورد فى كتاب (قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك) تأليف الأستاذ عارف العارف طبع فى القدس سنة ١٩٥٨ .

طلب المسؤولون المسلمون من السـلطات البريطانية مساعدتهم على اصلاحه وإعماره . ولكنها رفضت طلبهم ، الأمر الذى أقنعهم بأن بريطانيا الضالعة مع اليهود تريد تعريض المسجد للانهيار تمهيداً لاستيلاء اليهود عليه ، فأرسل مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى وفداً الى المغفور له الملك حسين ابن على ، ملك الحجاز يستحثه على دعوة المسلمين للتبرع بالأموال لإعمار المسجد الأقصى .

فاهتم الحسين رحمه الله بأمر المسجد الأقصى اهتماماً جدياً ، وتبرع من ماله الخاص بمبلغ اثنين وخمسين ألف جنيه ذهباً(١) وتألفت لجنة من كبار المسلمين برئاسة المفتى تولت إعمار المسجد الأقصى وإصلاحه .

عندما انتقل الملك حسـين الى الرفيق الأعلى فى قبرس طلب المجلس الإسلامى الأعلى لفلسطين أن يدفن فى ساحة المسجد الأقصى اعترافاً بفضله على العرب وعلى المسجد الأقصى ، وهو يرقد الآن فى ساحة المسجد الأقصى رحمه الله رحمة واسعة .

ولما لم يكن فى خزينة المجلس الإسلامى من الأموال ما يتمم المشروع الخطير ، فقد وجه المجلس نداء الى العالم الإسلامى ، يهيب به الى المشاركة فى هذا العمل المبرور . ولم يتوان المسلمون عن البذل فى ذلك العهد الذى لم تكن عوامل اليقظة قد عمت جميع المواطنين ، ومع ذلك بلغت التبرعات المدفوعة نقداً نحو مئة ألف جنيه مصرى .

وبعد ثلاث سنين تمت عمليات الإعمار . وكتبت بهذه المناسبة فوق محراب الأقصى بين القبة والجدار القبلى هذه الكلمات (جدد قبة هذا المسجد

(١) جريدة الرأى ١٦/٩/١٩٧١ .

الأقصى المبارك وأزال ما طرأ عليه من خطر فى نقوشها ونوافذها وزخارفها المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى فى ذى الحجة سنة ١٣٤٦هـ — ١٩٢٧م) .

ولكن ما كاد هذا التعمير يتم حتى أصيبت البلاد بزلزال سنة ١٩٢٧ ألحق أضراراً فى البناء. ولو أنها لم تكن بالغة فى أجزاء أخرى منه. ولكن هذا الضرر اتضح خطره سنة ١٩٣٦ يوم اكتشف القائمون على الأمر خللا فى الجهتين الشرقية والغربية من المسجد .

وهكذا بدأت المرحلة الثانية من مراحل الإعمار فى سنة ١٣٣٧ هـ — ١٩٣٨ م . واستمرت الأعمال خمس سنين . وتتلخص الأعمال التى أنجزت خلال هذه المدة فى هدم الرواق الشرقى وإعادة بنائه من جديد مع استعمال كل ما كان صالحا من مواد البناء القديم ، ومع المحافظة الشديدة على تخطيطه الأصلى فى العهدين العباسى والفاطمى .

أما السقف الخشبى فقد استخدم فى نقشه وتذهيبه أوراق الذهب من عيار عشرين قيراطا ، استحضرت من انكلترا ، ودفعت الحكومة المصرية أثمانها البالغة عشرة آلاف جنيه . وعلى بلاطة من المرمر علقت على الجدار الغربى من نهاية المسجد نقشت هذه الكلمات بماء الذهب (جدد المجلس الاسلامى الأعلى القسم الشرقى والرواق الأوسط وواجهة الرواق الشمالى للمسجد الأقصى المبارك باشراف إدارة الآثار العربية بمصر وكان بدء العمل فى سنة ١٣٥٧ هـ والفراغ منه فى سنة ١٣٦٣ هـ وقامت الحكومة المصرية بتجديد السقف الخشبى للرواق الأوسط فى عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله وأيد ملكه فى سنة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٣ م) . وتحت هذه الكلمات أسماء الأشخاص الذين تبرعوا لعمارة الحرم (١٩٤٣) وقد كتبت تلك الأسماء بالخط الكوفى المذهب .

مسجد الصخرة وحرب فلسطين :

حالت حرب فلسطين التى قامت بين العرب واليهود ، أثر صدور قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثانى ١٩٤٧) دون اتخاذ أية خطوة فى سبيل تعمير قبة الصخرة . ولقد زاد الطين بلة أن هذه القبة والقباب الأخرى الكائنة فى أرض الحرم لم تسلم من أذى اليهود وتعديهم. واليهود قوم لا يحفظون للأماكن المقدسة حرمتها . فراحوا يصوبون إلى هذا المسجد عن قصد مدافعهم . وكثيراً ما سقطت قنابل المورتر من عيار بوصتين وست بوصات وقنابل الهاون أيضاً على سطح المسجد وفى جنباته وفنائه .

من ذلك ماجرى فى تموز ١٩٤٨ ، يوم أغار اليهود على الحرم فبدأوا بضربه فى الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من مساء ذلك اليوم . وسقطت فى أرض الحرم ستون قنبلة يهودية أصابت إحداها مسجد الصخرة وانتهت الغارة فى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالى .

ولقد أعاد اليهود الكرة فى ٢٣ آب (أغسطس) وفى ٣٠ منه . ثم فى ٢٣ أيلول (سبتمبر) وفى ٢٦و٢٧ منه . ثم فى ٣ تشرين الأول (أكتوبر) وفى ١٠و١٦ منه . ثم فى ٨ تشرين الثانى (نوفمبر) وفى ١٣ منه .

وكانت أشد هذه الغارات هى التى وقعت فى ٢٣ أيلول (سبتمبر) وفى ٢٧ منه فأصيب فى الأول عدد كبير من شبابيك القبة فى الناحية الغربية إلى الشمال وتحطمت ألواح الزجاج القديمة ذات الألوان التاريخية ، وقتل فى الثانية رجل من المصلين هو الحاج محمد مصطفى نبكين .

أما القنابل التى سقطت فى ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ فقد أصابت المطهرة ودرج الموازين . وفى ١٠ منه أصيب رجل آخر من المصلين هو الحاج عبد الله على التكرورى . وفى ١٦ منه سقط فى أرض الحرم

زهاء ٢٠ قنبلة من قنابل المورتر من عيار ست بوصات . فأصابت إحداها سطح الصخرة . وفى ١٣ تشرين الثانى (نوفمبر) سقط فى أرض الحرم أربع قنابل وقعت إحداها على السطح فجرحت الشيخ محمود الأنصارى فى وجهه وقدمه كما جرحت حارس الحرم عمران فى يده .

وحلقت فى اليوم نفسه طائرة يهودية فى سماء الحرم ، وكانت قريبة من القبة ، ويبدو أنها جاءت بقصد الكشف ومساعدة رجال المدفعية فى تعيين الهدف . إذ ما كادت تحلق حتى بدت منها اشارة ، وسمع الناس على أثرها دوى المدافع . وراح اليهود يقصفون الحرم بقنابل المورتر . وسقطت هذه فى الأرض — على يمين الصخرة ويسارها .

رأيت بعينى[1] العطب الذى أحدثته هذه الغارة اليهودية فى المسجد . ومما رأيته ثقب كبير فى سقف الرواق الأوسط لمسجد الصخرة من الناحية الغربية ، طوله ثلاثة أمتار وعرضه متران . كما رأيت الشباك — المصنوع من الفسيفساء والزجاج المذهب والكائن فى القبة — وهو من أيام عبدالملك ابن مروان — محطماً تماماً . وفى القبة نفسها شباكان آخران أصيبا بعطب بسيط ، وهناك فى جدران المسجد ١٣ نافذة أصيبت بعطب كامل . ٣ منها فى الضلع القبلى و ٢ فى الضلع الشمالى و ٤ بين الغربى والشمالى و ١ بين الشرقى والقبلى . وتسع نوافذ أصيبت بعطب بسيط — ١ فى الضلع القبلى و١ فى الضلع الغربى و ٢ فى الضلع الشرقى و ٣ بين القبلى والشرقى و ١ بين الشرقى والشمالى و ١ بين الغربى والقبلى .

هذا ما جرى فى أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨

---

(١) الأستاذ عارف العارف .

المرحلة الثالثة من مراحل الإعمار :

استنجدت الحكومة الأردنية بالحكومة المصرية ، وطلبت منها أن تنتدب خبراء فنيين لفحص ما أصاب الصخرة من تلف . فاختير ثلاثة من أقدر المهندسين المصريين للقيام بهذه المهمة . وجاء هؤلاء المهندسون إلى القدس فى الأسبوع الأول من كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٥٣ ، ودرسوا الوضع وعادوا إلى مصر ، حيث أعدوا تقريرهم وأرسلوه إلى الحكومة الأردنية . وقدروا النفقات اللازمة بنحو نصف مليون دينار ، قائلين : إن فى تعاون الأقطار الإسلامية ، لأكبر عون فى تدبير المبلغ اللازم لإصلاح هذا التراث الإسلامى ، قبل أن تأتى عليه الأيام وتعديات الأعداء .

وتشكل الوفد من هذه الشخصيات :

١ — الشيخ عبد الله غوشه ، رئيس الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس .	رئيساً
٢ — الشيخ محمد على الجعبرى ، رئيس بلدية الخليل .	أعضاء
٣ — الشيخ ابراهيم القطان ، المفتش بوزارة التربية والتعليم .	
٤ — السيد حسن أبو الوفا الدجانى ، المراقب العام للأوقاف بالقدس .	

وسافر هؤلاء فى نيسان (إبريل) سنة ١٩٥٤ ، وبعد أن زاروا المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ، عادوا إلى الأردن فى ١٩ آيار (مايو) سنة ١٩٥٤ وقد جمعوا ١٦٦٫٦٠٠ دينار . وحتى بعد أن أضيفت إلى هذا المبلغ تبرعات

سنة ١٩٥٤ ، فإن هذا كله لم يصل إلى ثلث المطلوب ، لذلك رؤى أن يكتفى باصلاح مسجد الصخرة فى الوقت الحاضر . وقد أقيمت الاحتفالات عند إتمام هذه المهمة يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ (٦ آب سنة ١٩٦٤) تحت رعاية جلالة الملك حسين . وبحضور ممثلين عن ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية ، وقد تأخر لمتعهد الإعمار الشيخ محمد بن لادن (رحمه الله) ستون ألف دينار ، تبرع بها احتساباً لوجه الله .

ولا نغالى إذا قلنا أن هذه الاصلاحات فاقت كل ما جرى من نوعها من عهد البانى الأول عبد الملك بن مروان . وأصبحت تجذب إليها الزوار والسياح من أطراف العالمين الإسلامى والغربى .

أبنية اسلامية أخرى فى القدس :

لقد مهد السلطان سليم حكم البلاد لابنه سليمان (المعروف بالقانونى) فانصرف إلى أعمال البناء بتشجيع من كبار البنائين فى عصره . وهذه آثار أبنيته تشهد له بهذا التفوق الكبير ، لاسيما فى أسوار القدس وقلعتها وإصلاحاته فى الحرم الشريف .

بنيت أسوار القدس ثم هدمت عدة مرات حتى أمست خراباً فى عصر المماليك ، بحيث أصبحت لا تقوى على حماية المدينة من المدافع . وعندما أصبحت عاصمة لولاية عثمانية وتمتعت بمقام دينى شملها السلطان سليمان القانونى بعنايته فأنشأ فيها ستة أسبلة عمومية يشرب منها سكان المدينة ، كما أمر بترميم أقنية المياه والمصارف وأكثر فيها من إصلاح المساجد ولم ينسها من أبنية حربية كالقلعة والأسوار . ولقد أدخل بناءوه زينات كثيرة على سور القدس كالأعمدة الصغيرة والمقرنصات وجعلوا فيها الطين الناتئة والطلاقات المضلعة ووضعوا فيها الأعمدة وضعاً أفقياً كي تساعد على تقويتها وترسيخها ، وهو

شيء لم تعرفه حصون الصليبيين . كما أعادوا الحجارة الضخمة التي كانت فى الأسوار القديمة ودقوها ونقشوها على طريقتهم . (انظر صورة ١٣) .



(١٣) صورة سليمان القانونى

أمر السلطان سليمان القانونى واليه فى القدس ، لا لا مصطفى باشا بترميم أسوارها من حجارة مختلفة الحجم ، حتى أصبح علوها أربعين — خمسين قدماً وتنحفر حولها الخنادق ، وتبدأ من باب المغاربة الذى يفتح نحو الجنوب وهو باب صغير كتب تاريخ بنائه على عتبة عليا ، (أمر بإنشاء هذا الباب فى أيام السلطان الأعظم سليمان خان بن سليم خان خلد الله ملكه بتاريخ محرم الحرام فى سنة سبع وأربعين وتسعماية) وقد أعيدت كتابة هذا التاريخ على جميع الأبواب .

نخطو ٥٠٠ خطوة نحو الغرب حتى نصل إلى باب النبى داود الذى يفتح نحو الجنوب أيضاً وهو يرتفع ١٢ ذراعاً . ثم نواصل سيرنا نحو ٢٥٠ خطوة

ونغير الاتجاه نحو الشمال حتى نصل إلى القلعة وبعد مسير ستماية خطوة نصل إلى باب الخليل الذى يفتح نحو الغرب ويرتفع عشرة أذرع ويوصده باب حديدى يتألف من مصراعين . وهنا تجد كتابة (أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان سليمان خان بن سليم خان بتاريخ سنة سبع وأربعين وتسعماية) .

نتجه نحو الشمال ثم نواصل سيرنا ٩٠٠ خطوة حتى نصل إلى باب العمود أو باب النصر ، وهو يفتح نحو الشمال ويغلق بمصراعين من الحديد ، ويسميه الأجانب باب دمشق ، ولهذا الباب مميزات ظهرت فيه بوضوح من أهمها المشربيات وكأنها نوافذ بارزة مفتوحة وطلاقات لتصويب السهام منها على رؤوس المهاجمين كما يمكن صب الزيت المغلى منها . ومنها أيضاً جعل المدخل الموصل من باب السور — أو القلعة إلى داخلها على شكل زاوية قائمة ملتوية لا يمكن للعدو الذى يصل إلى الباب رؤيتها فى الفناء الداخلى أو تصويب السهام إلى من فيه .

ومما يؤسف له أن جرت حفريات فى سنة ١٩٦٦ شوهت ساحة هذا الباب الإسلامى الرائع وكان ذلك محاولة لايجاد باب رومانى تحته — وكانت المحاولة فاشلة ...إن مجد العرب فى القدس ظاهر فوق تربتها لا تحت أنقاضها .

فإذا تركنا باب العمود سائرين نحو الشرق نصل بعد ١٠٠ خطوة إلى إلى مغارة القطن أو حبس الجان أو محجر سليمان، وبعد مسير ٣٠٠ خطوة من هذه المغارة نصل إلى باب الساهرة (هيرودس) وإذا واصلنا السير ٥٠٠ خطوة نصل إلى برج رمستم باشا (أو برج اللقلق) وهنا نغير الاتجاه نحو الجنوب حتى نصل إلى باب الأسباط أو باب ستنا مريم وهو باب عال رسم فى أعلاه على الجانبين أسدان بارزان فى الحجر وهما رنك (رمز) الملك الظاهر بيبرس خليفة صلاح الدين بحق فى استرجاع هذه البلاد من الافرنج . وكان يلقب

اسكندر الزمان ملك العرب والعجم، قسيم أمير المؤمنين، وعندما أراد السلطان سليمان القانونى تجديد أسوار القدس بعد ثلاث مئة سنة أبقى على هذا الباب اعترافاً بفضل بانيه الأول وتقديراً لعظمته وقوته وجماله .

وإذا واصلنا السير ٥٠٠ خطوة وصلنا إلى الباب الذهبي أو المزدوج أو باب الدهرية الذى أقفل بعد الحروب الصليبية .

نواصل السير ٦٠٠ خطوة حتى نصل إلى زاوية الحرم الشرقية الجنوبية إلى مايعرف بمهد المسيح . وهو المكان الذى أرضعت فيه العذراء ولدها عندما كانت فى الهيكل متوارية عن أنظار هيرودوس الذى كان يطلب الأطفال ليقتلهم . ويمكن النزول إلى هذا المكان بادراج من داخل الحرم ولكننا نستمر فى السير ٨٠٠ خطوة حتى نعود إلى باب المغارة ونكون قد قطعنا نحو ميلين ونصف حول سور يرتفع ٣٨ — ٤٠ قدما . واستمر بناء السور خمس سنين ١٥٣٦ — ١٥٤٠ .

القلعة :

بين باب الخليل وباب النبي داود ترتفع قلعة القدس على نشز صخرى يشرف على القسم الغربى والجنوبى من مروج القدس . ويعود أساسها إلى أيام الملك هيرودس وتظهر تلك الآثار القديمة من الحجارة الضخمة ، وكان يصلها بالشارع العام جسر خشبي يمتد فوق الخندق يؤدى إلى داخل القلعة الذى نرى فيه بقايا آلات الحرب الاسلامية وفيها الدور التى كانت مخصصة ، للدزدار (الحاكم) والكخيا (النائب) والامام والواعظ والمؤذن وثكنات الجنود التى كانت تتألف من نحو سبعين غرفة . ويعود البناء الحالى إلى الملك الأيوبى المعظم عيسى . وقد كتب على القلعة (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أم من أسس بنيانه على تقوى نصر من الله وفتح قريب

وعمل هذا البرج المبارك مولانا الملك المعظم شرف الدنيا والدين عيسى بن الملك العادل بن يوسف بن أبى بكر بن محمد بن أيوب بن شادى خلد الله دولته وتولى عمارته عز الدين وعمر عمارته بأرض فلسطين فى شهور سنة عشر وستماية وإلى فضل العالمين (٦١٠ هـ ١٢١٣ م) .

وكانت قلعة القدس خارج الأسوار منفردة . وأضاف الأتراك إليها عدة أجزاء بنوا المأذنة المستديرة فى مسجدها .

ملحقات :

فى باب السلسلة تربة الملك بركة خان بناها سنة ٦٤٤ هـ وتشغلها الآن المكتبة الخالدية وتشتهر بواجهتها الأمامية ، التى تحمل الشعار الخاص — (الرنك) لبانيها . وهى من أوضح الأمثلة على رقى بناء المماليك ولا سيما بقضبان حديد النوافذ .

ولقد خلف لنا سيف الدين تنكز المدرسة التنكزية المعروفة التى كانت تشغلها المحكمة الشرعية ، وفيها بلغ الفن البنائى القمة ، ولا سيما زخرف الأبواب العالية والأحجار الملونة والمقرنصات التى تغطى التغيير من الشكل المربع إلى شكل القبة . وقد غشيت بطبقات رقيقة من الرخام . يضاف إلى ذلك كرنيش أو افريز يمتد على طول الواجهة ، وقد استعملت الكتابات أيضاً كمظهر من مظاهر الزينة .

وفى القدس أيضاً الخانقاه الصلاحية الملاصقة لكنيسة القيامة ، وقد اشتهرت بمئذنتها المستديرة التى بنيت سنة ١٤١٧م أى قبل المآذن العثمانية المستديرة .

ومن أشهر مآذن الحرم مئذنة باب الأسباط فى الشمال الشرقى من الحرم وقد أقيمت سنة ٧٦٩ هـ . ١٣٦٨م لتقابل مئذنة باب الغوانمة فى الزاوية الشمالية الغربية — تلك المئذنة التى أقيمت على أساس برج أنطونيا المربع ويعلوه الطابق الثانى المسدس . أما الطابق الثالث فهو مستدير . وفى الزوايا والنوافذ المزدوجة المسدودة أعمدة صغيرة وتحت شرفة المؤذن زنار مقرنص. وقد تم بناؤها سنة ٧٠٠هـ — ١٣٠٠ م ، وأهمها مئذنة قايتباى فى باب السلسلة أما الرابعة فهى المئذنة الفخرية .

أما الجامع المعروف باسم جامع عمر الذى يقابل مدخل كنيسة القيامة فقد بناه الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبى ، ذكرى للدرجات التى صلى عليها عمر خارج كنيسة القيامة وله مئذنة .

وهناك أربع مآذن أخرى هى مئذنة الخانقاه ومئذنة السعدية ومئذنة القلعة ومئذنة الشيخ جراح .

اهتمام المسلمين بالقدس(١) :

« اندثرت أورشليم التوراة بسبب ثورات اليهود على الرومان إلى أن جاء المسلمون وفتحوا المدينة دون قتال ولم يأخذوها من اليهود بل أخذوها من الروم أعداء اليهود وحافظوا على كنائسها ومعابدها ولم يتبنّ المسلمون أثراً من آثار السيد المسيح — مع ماله من مكانة فريدة تنص عليها القرآن الكريم . ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت أيام الفتح

(١) عروبة القدس للدكتور المسبق ص ٦٠ — ٧٢ .

الإسلامى فى حوزة المسيحيين أنفسهم وقد ضمنت العهدة العمرية المحافظة على الكنائس المسيحية .

« أزال عمر بن الخطاب بيده ماتراكم على الصخرة من قاذورات وزبل وقمامة طرحتها الروم غيظاً لبنى اسرائيل وأخذ يكنس واقتدى به المسلمون ومضى نحو ناحية فصلى فيها ثم قرأ سورة (ص) وسجد شكراً على نعمة الله أن جعل هذه الأمة وارثة لكل مقدسات الأنبياء . وتتبع المسلمون مساجد الأنبياء واحدا واحداً ، ابتداء من ابراهيم إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس . فأعادوا بناءها وحافظوا على قيمتها وطهروها تطهيراً .

« وجاء فى تاريخ الطبرى ثم قام عمر من مصلاه إلى كناسة قد كانت الروم دفنتها ودفنت بها بيت المقدس زمن بنى إسرائيل .

« واعتبر المسلمون الصخرة فى المسجد الأقصى كالحجر الأسود فى المسجد الحرام بمكة .

« وبنى المسلمون حول الحرم مآذن وأروقة وسبلا وصهاريج للاستسقاء ربنوا فى صحن الصخرة وبجوارها قبة المعراج ومحراب النبى وقبة يوسف وقبة سليمان وقبة الخضر ومحراب داود . وكل واحد منها أثر تاريخى عليه نقش أو شاهد وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء .

« ويمتاز الحرم القدسى بعدد كبير من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف بلدان العالم الإسلامى كالزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أزبكستان حالياً فى الاتحاد السوفياتى . وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الأفغان. وفى كل زاوية مسجد وغرف للنوم ومطبخ للطعام ، مما حبس عليها من الأوقاف . هكذا أصبحت القدس

القديمة متحفا أثريا غنيا بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة والتى لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يوجد لها بديل .

« وعنى المسلمون بالقدس عناية فائقة لأربعة أسباب :

١ — لأن الله خصها بالعديد من الأنبياء ابتداء من ابراهيم عليه السلام إلى عيسى بن مريم صلوات الله عليه . وعن ابن عباس « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك ».

٢ — لأن الله خصها باسراء رسوله وحبيبه المصطفى .

٣ — لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

٤ — لأن المسلمين عدوا فلسطين الثغر الذى يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر الرسول . ولذا ما استقر بهم الأمر حتى بادروا إلى سد هذا الثغر وحمايته كى يدرأوا عنه خطراً مروعاً .

«لهذه الأسباب الأربعة لم يمض عهد من عهود الاسلام إلا أضاف المسلمون إلى القدس جديداً أو أصلحوا قديما زيادة عن بناء المسجدين العظيمين قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، فكانا من أجمل ما خلده الفن المعمارى من آثار العالم وأوقفوا عليه معظم الأملاك المحيطة ببيت المقدس وتقرب الخلفاء والأمراء والصالحون إلى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما وإضافة العديد من المساجد والقباب والمحاريب والأروقة والمآذن والمدارس حتى أضحت المدينة متحفا لا مثيل له يعلو اسم الله فى كل جنباتها .

«واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون فيها علوم الدين . وقصد معظم الحجيج بيت المقدس فى ذهابهم إلى بيت الله الحرام وفى عودتهم منه حتى أضحت المدينة المقدسة مزاراً يتبرك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة » .

وتعلقت قلوب المسلمين بالمدينة وحنوا عليها وافتدوها بالمهج وأحاطوها بالرعاية وعبروا عن شعورهم هذا فى ما كتبوا من رسائل وكتب فى فضائل بيت المقدس منها .

١ — فضائل بيت المقدس لأبى المرجى المقدسى .

٢ — الأنس فى فضائل القدس لابن هبة الله الشافعى .

٣ — مثير الغرام فى فضائل الشام لابن سرور المقدسى .

٤ — اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لشهاب الدين أبى العباس السيوطى .

٥ — مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لأحمد بن ابراهيم بن هلال القدسى .

٦ — باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس لبرهان الدين بن اسحاق الغزاوى» .

لقد أحب الأخشيديون فلسطين وهم الذين حكموها مع مصر ٣٥ سنة وحينما كان أحدهم يموت كان يوصى أن يدفن فى تربة بيت المقدس .

مات الأخشيد بدمشق ودفن فى القدس سنة ٣٣٤ هـ وكذلك مات أبو القاسم ابن الأخشيد بالقاهرة سنة ٣٤٢ هـ ودفن فى القدس ومات على بن القاسم سنة ٣٣٥ هـ ودفن بجانب أبيه وأخيه . ولما توفى كافور الأخشيدى بالقاهرة ونقل إلى القدس ودفن فيها كتب على قبره :

ما بال قبرك ياكافور منفردا بالصحصح المرت(١) بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد كانت أسود الشرى تخشاك فى الكتب

---

(١) والمرت مفازة لانبات فيها .

القدس في الصراع

بين العرب واليهود

سأستعرض فى هذا البحث ملخصاً لمدعيات اليهود فى القدس — ما عملوه فيها وماخسروه منها ، وماذا بقى لهم فيها . وسوف أعتمد فى ذلك على ما كتبه الرحالة والزوار واليهود والأفرنج عن معابدهم — ولا سيما عن الحائط الغربى الذى سموه المبكى . وأنا على تمام اليقين بأن هذا الاسم لم يذكر قبل القرن السابع عشر من قبل أن يسمح ليهود شرقى أوربا السكنى عن حسن نية فى الغرب من هذا السور الذى كان لا يظهر منه إلا البناء الاسلامى ، أما البناء الرومانى فكان مطموراً تحت الأنقاض . ولكن المكر اليهودى والبساطة العربية أديا إلى الكشف عنه ، عندما كان اليهودى يسر إلى جاره العربى بأن فى هذه الأنقاض ذهباً — فكان العربى إذا حفر عثر على قليل من الذهب كان الجار الخبيث قد دفنه فيه . وهكذا لم تمر عشر سنوات حتى اكتشفت من هذا الحائط نحو عشرة مداميك .

وفى نفس الوقت سأستعرض ما للعرب فى القدس من حقوق وما بذلوه فى سبيل محافظتهم عليها خلال ثلاثة عشر قرنا . وأخيراً كيف سخرت اليهودية العالمية دول الاستعمار وتعاونت مع قوى الاغتصاب على الوقوف بجانبها لإقامة دولة لبنى صهيون جعلوا قدسنا عاصمة لها . فأقول :

فى سفر أرميا أن اليهود الباقين فى أورشليم اعتادوا أن يذهبوا إلى أطلال الهيكل ينوحون على خراب بيتهم ، إذ اعتقدوا أن الحضور الإلهى لا يفارقه وأن السكينة مستقرة فيه إلى الأبد .

كان نحميا ساقى ملك الفرس قد نال اذناً بالرجوع إلى أورشليم والعمل

على تعميرها . ولم يكن له إلا الدابة التى كان يركبها . ولما وصل اجتمع مع بعض قومه وبدأوا عمليات بناء الأسوار . ويبدو أن البناء كان هزيلا حتى وصفه أحدهم بأنه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم . وأقام نحميا نظام حراسة حتى لا يفاجأ اليهود أعداؤهم التقليديون من العرب والعمونيين وأهل أسدود(١).

وجمع نحميا كل اليهود ودعا عزرا الكاتب لكى يقرأ عليهم التوراة ويترجمها من العبرية التى نسوها إلى الآرامية التى يتكلمونها . وطلب نحميا من كل قبيلة أن تختار واحداً من كل عشرة ليسكنوا فى أورشليم وشدد نحميا فى أن لا يسكن أى غريب معهم فى المدينة وخص العمونيين والمؤابيين ، وقد بنى نحميا وعزرا الهيكل الثانى تحت اشراف زوربابل الذى عينه الفرس حاكما على اليهود العائدين إلى أورشليم . وذلك خلال ٥٢٠ — ٥١٥ ق . م واستمر هذا الهيكل حتى هدمه الملك المكدونى أنطيوخس الرابع بعد أن أخمد الفتنة التى قام بها اليهود سنة ٢١٧ ق . م

وفى عام ١٤٢ ق . م ثار سمعان المكابى الكاهن ونجح فى تأسيس امارة استمرت تحكم حتى قضى عليها الفاتح الرومانى بومبى سنة ٦٣ ق . م ولكن اليهود استمروا على الذهاب إلى الهيكل الثانى بعد خرابه ، وفى سنة ٤٠ ق . م أصبح هيرودس ملكا على اليهود تحت سيطرة الرومان وبنى الهيكل الثالث الذى استمر حتى هدمه تيطس الرومانى سنة ٧٠ م وبعد الثورة الثانية استطاع الامبراطور هدريان أن يزيل نهائياً مدينة أورشليم لتختفى إلى الأبد وقد فرح المسيحيون على قلتهم عندما تحققت أقوال المسيح التى كانوا يقرأونها فى انجيل لوقا ١٩ — مخاطباً أورشليم « فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » .

---

(١) القدس : صايغ ص ٢٢٨ — ٢٣٢

وما وردفى انجيل متى ٢٤ : ٢ مخاطبا تلاميذه « والحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض » .

وبنى هدريان مدينة سماها باسمه إيليا كابتولينا وحظر على اليهود دخولها وهكذا انتفى منها العنصر اليهودى وأخذ يبنى هيكلا لجوبتر وأقام فيه تمثاله ولما أصبحت السيادة للمسيحيين فى القدس هدموا كل مظاهر الوثنية، وحولوا مكان الهيكل إلى مزبلة .

المبكى :

فى الغرب من ساحة الحرم جدار طوله خمسون متراً وعلوه نحو عشرين متراً . الحجارة الكبيرة فى القسم السفلى منـــه تتألف من ستة مداميك ، حجارتها منحوتة ويرجع عهدها الى أيام هرودس وتعلوها ثلاثة مداميك من العصر الرومانى غير منحوتة ويظن أنها من عمل هدريان فى سور ايليا . وقد كتب اليهود عليها فى العصور الحديثة بعض العبارات ، أما الطبقات العليا من حجارة الحائط فهى اسلامية . وأعظمها من عصر المماليك والعثمانيين بعد سنة ١٥٠٠ م وقد وسع اليهود هذا الجدار بعد احتلال سنة ١٩٦٧ بعد أن هدموا مسجد البراق والزاوية الفخرية فى الجنوب واستمر الحفر جنوباً حتى الدرج الموصل الى باب المغاربة المؤدى الى الحرم الشريف من الزاوية الغربية الجنوبية ، أما من الشمال فقد كشفوا سرباً (سرداباً) امتد حتى مر من تحت باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين حتى اقترب من باب الحديد على امتداد مئتى متر وهم مستمرون فى تنظيف هذا السرب مما فيه من الأنقاض وقد يستمر الى باب الغوانمة فى الزاوية الغربية الشمالية من ساحة الحرم ، وبذلك يكونون قد كشفوا كل هذا الحائط الذى يبلغ طوله نحو ٤٥٠ متراً.

الحاكم بأمر الله:

حدث فى سنة ١٠٠٧ م أن انطلقت فى أوربا إشاعة مؤداها أن القيامة ستقوم فى وقت قريب . فتقاطر الناس على القدس أعداداً لا حصر لها من

الفرنج ، يريدون أن ينهوا حياتهم فىجوار القبر المقدس. فلما انقضى الأجل المعين ولم يحدث الحدث العظيم استشاط الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى غضباً فأمر بطرد الفرنج من القدس و نفخ اليهود فى نار هذه الفتنة من تحريض الحاكم على هدم الكنائس واجبـار النصارى على لبس السواد ومنعهم من الاحتفال بعيد الشعانين.الى أن تدخلت فى الأمر أمه (مارية) وأخته ست الملك ففطن الى سوء نوايا اليهود ، بما قدموه من أخبار مدسوسة على رعاياه من النصـارى ، فأعاد إليهم حريتهم بالعبادة وسمح لهم ببناء بعض الكنائس التى هدمت ورد أملاك الأديرة والكنائس وقرعت النواقيس ابتهاجاً وعاقب اليهود الذين خدعوه فأمرهم أن يلبسوا على وجوههم أقنعة على شكل العجل الذى لعنوا بسبب عبادتهم له(١) .

معابد القدس من زيارة العلماء :

فى سنة١٠٤٧ م زار السائح الفارسى ناصر خسرو مدينة القدس فذكر أن الذين لا يمكنهم أن يحجوا إلى مكة يمكنهم أن يزوروا القدس ، حيث يقدمون الضحايا وباقى شعائر الحج . كما جرت العادة فى عيد الأضحى . وذكر أن عدد زوار القدس فى ذلك الموسم من السنة بلغ عشرين ألفاً فى الأيام الأولى من العيد وهو يذكر كنيسة القيامة ولم يذكر أى معبد لليهود . وإنما قال إنهم يستأجرون بيتاً خاصاً للسكنى وفى نفس الوقت يصلون فيه ، على أن لا يزيد عدد المصلين فى الدفعة الواحدة عن عشرة . ولكنه لم يذكر كلمة واحدة عن مبكى لهم فيها(٢) .

ولقد زار ابن حوقل مدينة القدس خلال القرن العاشر وهو يصف قبة الصخرة بأن ليس لها مثيل فى ديار الإسلام . وفى أرض القدس ستقوم

(١) ص ٢٢٨ من كتاب المفصل فى تاريخ القدس لعارف العارف .

(٢) والمعبد الوحيد الذى ذكره ناصر خسرو وهو الذى أحرقه الصليبيون على رؤوس اليهود عندما فتحوا القدس ثم سمحوا لهم فيما بعد بدخولهم إلى القدس عشرة عشرة للوقوف أمام الحائط .

القيامة وعلى ما لمكة والمدينة من مكانة سامية فإنهما ستأتيان إلى القدس ، تلبيان دعوة الداعى فى هذا المكان الفائق القداسة .

كان المسجد الأقصى دار علم فوق كونه دار عبادة . وفى زمن الجغرافى المقدسى صاحب كتاب أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم إن جميع المذاهب الإسلامية كانت تدرس فى الحرم القدسى ولم يكن يرى إلا غاصاً بالطلاب من أقاصى العالم الاسلامى، حيث يجدون خيرة المدرسين من الفقهاء وحيث يجدون المأوى والمأكل والملبس من الأوقاف التى حبسها أهل الخير على طلبة العلم — يضاف إلى ذلك العدد الوفير من الزوايا والتكايا التى تؤوى الصوفيين والمغتربين الذين كانوا يزورون المقدسات أو يجاورون فيها وينقطعون للعبادة .

وفى سنة ١٠٩٥ م حل الامام الغزالى فى الحرم القدسى فى طريقه إلى الحجاز فتحلق حوله الطلاب الذين كانوا سمعوا بشهرته كواحد من أعاظم المدرسين فى المدرسة النظامية فى بغداد التى تعتبر أشهر جامعة فى زمانها وهيأوا له قبة لا تزال إلى اليوم تسمى قبة الغزالى . وهى تلاصق سور الحرم من جهة الشرق وقرب باب الرحمة داخل الباب الذهبى . وهنا شرع يكتب أشهر كتبه المعروفة «إحياء علوم الدين» والجزء الذى أتمه فى القدس يسمى (الرسالة القدسية فى قواعد العقائد) ولقد زار الغزالى جميع المعابد فى القدس ولكنه لم يذكر كلمة واحدة عن المبكى أو غيره من معابد اليهود . وكانت زيارة الغزالى قبل الاحتلال الصليبى بخمس سنوات فقط . ومن القدس توجه الإمام إلى مدينة الخليل .

وفى القرنين العاشر والحادى عشر ذكر ابن مائير والرابى صموئيل ابن يهوذا ذهاب اليهود إلى الحائط للعبادة .

وفى الحكم الصليبى زار القدس سائح أسبانى هو الرابى بنيامين من بلدة

تيوديلا Tudela قال إنه لم ير فيها مسلماً واحداً . ولكنه رأى فيها نحو مئتى يهودى ، استأجروا بيتاً للعبادة .

وبعد عشر سنين من زيارة بنيامين هذا وصل إلى القدس زائر يهودى آخر هو الرابى بيتاج Petach - Regensburg من بلدة ريجنز بيرج، ذكر أنه لم يجد فى القدس الا يهودياً واحداً ولكنه أشار الى بيت سبق لليهود أن تعبدوا فيه ، فى الغرب من الحرم .

وذكر المؤرخ اليهودى الشهير غريتز Gretz أن عدد اليهود أخذ يزداد بعد أن استرد صلاح الدين مدينة القدس وأباح لهم أن يتمتعوا بالحق الذى سمح لهم به الصليبيون .

إسكان العشائر العربية بالقدس :

ولم يكن صلاح الدين غافلا عما يبيته الافرنج لها من غدر إذا أوتيت لهم الفرصة . ولذلك دعا الكثير من العشائر العربية لتسكن فى القدس وعين لكل منها محلة معينة . بنو حارثه حول القلعة وبنو زيد حول خان الزيت . ولا تزال حارة السعدية تحمل اسم هذه العشيرة . وكانت بيدهم مفاتيح باب الخليل . وسكن الجرامنة سوق القطانين . وسكن الإمام حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحى الحى المعروف اليوم باسم الشيخ جراح . كما أسكن حول مقام عكاشه ومقام بدر عشائر أخرى تحمى تخوم المدينة من الغرب .

كما وضع أساس فكرة الأعياد والمواسم التى كان فى طليعتها موسم النبى موسى الذى يصادف عيد الفصح من كل عام . وعندما تكون القدس غاصة بحجاج الافرنج . وتحسباً من أن تحدثهم كثرتهم بالغدر بالأقلية الاسلامية فيها طلب من شبان قرى القدس كبنى مالك وبنى حسن وقرى الجبل والوادية أن يحضروا إلى القدس . وبعد مدة يصل إليها شبان جبل نابلس وبعد يومين تستقبل القدس شباب جبل الخليل ، ومعهم أسلحتهم . وبعد صلاة الجمعة

يزفون أعلامهم وينزلون إلى مقام النبي موسى، بين القدس وأريحا، وعلى الطريق التي تهبط فيها جموع الفرنج متوجهة إلى المغطس فى الأردن. ويستمر الجمع فى مقام النبي موسى أسبوعاً كاملا يكون الفرنج قد فرغوا من زيارتهم وعادوا إلى القدس فيعود المسلمون بعدهم وبعد انتهاء المواسم يعود كل إلى بلده.

الوقف :

وفى سنة ١١٩٣ م بنى الملك الأفضل بن صلاح الدين جامعاً للمغاربة بجوار مربط البراق وقرب باب النبي لدخوله عليه السلام منه يوم الاسراء ومن ذلك الوقت دعاه المجاورون باب المغاربة.

وبنى شعيب أبو مدين الغوث زاوية للمغاربة سنة ١٣٣٠ م بجوار جامع المغاربة وأوقف جميع الدور والأراضى المجاورة لمصلحة فقراء المغاربة الذين يزورون القدس أو يسكنونها.

ومما يدل على مكانة القدس فى عيون ملوك المسلمين أن ملك المغرب على بن عثمان المرينى كتب المصحف الشريف بخط يده وأرسل نسخة منه إلى زاوية أبى مدين وأخرى إلى المسجد الأقصى فى سنة ١٣٥٢م. كما فرش المرحوم محمد الخامس ملك المغرب مسجد قبة الصخرة سنة ١٩٦٠ بالسجاد المغربى الفاخر

مقابر العظماء :

ولقد رأى صلاح الدين أن القدس تستحق أرقى مكان فى الدراسات العلمية بعد أن حط من هذا المقام البربرية الأفرنجية عندما قامت بطمس قبور كثير من المجاهدين والعلماء الذين قضوا فى تربة هذا المدينة الطاهرة، فأمر بإقامة مقبرة تضم الأضرحة وراء السور الشرقى ومركزها باب الرحمة وسميت

مقبرة الشهداء والبعض ينسبها إليه فيدعونها المقبرة اليوسيفية . وهى تضم أضرحة عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وفاطمة بنت معاوية وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية .

عودة القدس إلى الاسلام جذب إليها سيلا من الزوار والعلماء ولقد كتب معظمهم وصفاً لها وعدد فضائلها ، والمكتبة العربية تزخر بمثل هذه الكتب وأصبحت زيارة القدس مرغوبة جداً اكراما لمسجدها ولمقامات الأولياء والمجاهدين المدفونين فيها ، وغالبا ما تتم زيارتها بد العودة من الحج إلى مكة .

ولقد زاد الفتح الصلاحى فى انسانيته بالتسامح مع من أجروا المذابح المعروفة قبل تسعين عاما وأبقى القدس مفتوحة لحجاج الافرنج حتى لمن يأتون من البلاد التى جهزت الحملات الصليبية كما أباح لليهود زيارتها سواء للمقيمين فى البلاد أو السياح أو اللاجئين التعساء الذين أخرجوا فيما بعد من أسبانيا فى أيام الأيوبيين وفيما بعد فى أيام المماليك والعثمانيين ، ولقد اختار عدد منهم الإقامة فى القدس ولو على الصدقات التى يرسلها لهم أقرباؤهم من الخارج .

معابد صغيرة :

بعض اليهود الذين زاروا القدس وصفوها فى مشاهداتهم منهم الأسبانى اسحاق بن شيلو Isach Ben Shelo الذى زارها وأعاد ما ذكره بنيامين ولم يذكر أى معبد لليهود فيها ولا زار الحائط الغربى .

وبعد قرن ونصف قام اثنان من كبار الرابين بزيارة القدس وكتب كل منهما موجزا عن مشاهداته فيها — ففى سنة ١٤٨١ ذكر مسلم من بلدة فولتيرا mushallam devoltera أن فى القدس ٢٥٠ يهودياً ويسكنون بيوتاً يملكونها ، ولكنه لم يذكر أى شيء عن أى معبد .

وبعد عشر سنين ذكر الرابى الايطالى عباديا من بلدة بيرتينورو Obadia Jare da Bertinoro أن سبعين عائلة يهودية تسكن القدس وأنه تحرى الهيكل ولكنه لم يقترب منه ولم يصل إليه . ولقد انفرد فى أنه ذكر معبداً معتما لليهود لا يدخله النــور إلا من الباب وهو يلاصق مسجداً . وهذا الوصف يتفق مع ما ذكره معاصر مسلم هو مجــير الدين العليمى صاحب كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل والذى أصبح فيما بعد قاضياً لمدينة القدس ، فقد ذكر أن فى القدس نحو ثلاث مئة يهودى يعيشون فى حى خاص . يفصلهم عن الحرم أحياء اسلامية صرفة .

ومن الحوادث التى جرت فى القدس على عهد السلطان قايتباى(٢) أن المسلمين واليهود اختلفوا (٨٧٨ هـ — ١٤٧٣ م) على دار واقعة بين كنيسة اليهود ومسجد المسلمين فى حارة اليهود ، ادعى المسلمون أن هذه الدار من حقوق المسجد وعارضهم اليهود فى هذا الادعاء فتشاكى الفريقان أمام القضاء وعقد على أثر ذلك بالمدرسة التنكزية مجلس ترأسه ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين النشاشيبى وحضره القاضى الشافعى والقاضى الحنفى وشيخ الصلاحية وغيرهم من

---

(٢) عارف العارف المفصل فى تاريخ القدس ص ٢١٢

الشيوخ والقضاة. فأصدر هؤلاء حكمهم فى صالح اليهود. وحكموا أن الدار من جملة أوقافهم، فلم يرض المسلمون بهذا الحكم ورفعوا أمرهم إلى السلطان بمصر، فنقض السلطان حكم القضاة وأصدر أمراً جاء فيه (أن كنيس اليهود محدث وأن الدار المختلف عليها حق من حقوق المسجد وأنه لا حق لليهود فيها، فرفض اليهود هذا الحكم وأبى كبيرهم يعقوب أن ينصاع إليه، فتأثر المسلمون وكادوا يبطشون باليهود. وكان بامكانهم أن يفعلوا بهم مايشاؤون لأنهم كانوا كثرة وكان اليهود قلة، ولكن القاضى نهاهم قائلا: هؤلاء من أهل الذمة — ذمة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين.

رفع اليهود أمرهم إلى السلطان فنظر فى شكواهم هذه المرة قاضى القضاة بالديار المصرية وجمع من النواب والفقهاء وصدر على أثر ذلك مرسوم من السلطان ١٤٧٤ م، معنون إلى ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين المتقدم ذكره يقضى بتمكين اليهود من كنيسهم وعدم معارضتهم فى دارهم..

وذاعت فى القدس يومئذ شائعات تقول أن اليهود ما كانوا ليحصلوا على ذلك المرسوم لولا ما بذلوا من أموال للخزانة الشريفة. واشتد الجدل على أثر ذلك بين الناس وكثر القال والقيل وكان أكثر الجدل منحصراً بين قضاة بيت المقدس وممثلى السلطات.. إلى درجة أنه كادت تقوم على أثرها فتنة فى المدينة، فما كاد النهار ينبلج حتى رأى اليهود كنيسهم قد أنهار. ولما وصل الخبر إلى السلطان قايتباى غضب غضباً لا مزيد عليه واعتبر عمل المقادسة خروجاً على إرادته. وبناء على أمره أرسل القضاة مصفدين بالأغلال وهناك ضربوا ضرباً مبرحاً بحضور السلطان ثم سجنوا وبعضهم هربوا ...

وفى سنة ١٤٧٥ م حج السلطان قايتباى إلى مكة ،وقبل عودته إلى القاهرة زار القدس وأقر بناء المعبد اليهودى واستمع لشكاوى الناس على القضاة وأمر ببناء المدرسة الأشرفية بجوار باب السلسلة ، فكانت كما ذكر مجير الدين « الجوهرة الثالثة فى الحرم الشريف » ، وكانت قبتها ثالث قبة بعد قبتى الصخرة والأقصى ثم أمر ببناء السبيل المعروف باسمه فى الغرب من الصخرة .

اهتمام المماليك العثمانيين بالقدس :

ولم يكن غيره من المماليك أقل منه اهتماما بحماية العلم ورعاية العلماء فقد امتاز عصرهم بالعمران وحركة البناء ، وكان نصيب القدس منها عظيما ، وتدل المدارس الكثيرة التى أنشأوها فيها أنها كانت على عهدهم مزدهرة وقد أصبحت مركزاً لثقافة اسلامية واسعة النطاق وأن رواد العلم كانوا يفدون إليها من جميع الانحاء ، لا من أجل التعبد فى مساجدها وزيارة أماكنها المقدسة فحسب بل من أجل انتجاع موارد العلم والحكمة فى مدارسها . وكم من أهل البر والاحسان جادوا لها بالمال والعقار التى توقف على أعمال الخير فيها . هذا فضلا عن سخاء الحكام والأمراء والملوك ولقد عدد الأستاذ عارف العارف فى كتابه التاريخ المفصل لمدينة القدس نحو ستين مدرسة .

وفى سنة ١٤٨٤ م ذكر السائح فليكس فابرى أن فى القدس خمسمئة يهودى والف نصرانى من كل قطر ومذهب .

وفى سنة ٩٨٠ هـ ١٥٧٢ م كان فى القدس ١١٥ يهودياً فى جماعتين ،احداهما تسكن فى جوار الحرم وأخرى فى مكان بعيد عنه وكلتاهما كانت تعيش فى فقر مدقع .

وفى سنة ١٦٢٥ م وردت إشارة من أحد الباحثين إلى إقامة صلوات — يهودية منظمة لأول مرة نحو الحائط الغربى(١) .

ولقد استحق سلاطين العثمانيين بعد المماليك لقب أبطال الإسلام بعد أن فتح السلطان سليم مصر والشام سنة ١٥١٧م وفى القاهرة استقبل السلطان سليم شريف مكة الذى لقبه بخادم الحرمين الشريفين واهتم ابنه سليمان القانونى بثالث الحرمين الشريفين — الحرم القدسى فقد جلب له الماء من برك سليمان فى جنوبى بيت لحم وجعله يصب فى خمسة أسبلة يستقى منها أهل القدس ، كما كسا قبة الصخرة بألواح القاشانى الفنى الرائع وصحائف الرخام البديع وبنى أسوار المدينة الحالية وبواباتها واستمر على عادة أسلافه من الحكام المسلمين ببناء المدارس والزوايا والتكايا ولقد بنت زوجته الروسية الأصل (روكسيلانة) والمعروفة باسم خاصكى سلطان سنة ١٥٥٢ م تكية لاطعام الفقراء بما وقفته عليها من الأملاك الغنية . وتقع اليوم خلف دار الأيتام الاسلامية .

وفى سنة ١٦٧٠ م ذكر السائح التركى أوليا شلبى فى رحلته إلى القدس أن عدد سكانها ٤٦ ألفاً .

وفى سنة ١٨٤٢ م ذكر المطران ميخائيل سلومون الكسندر أن سكان القدس عشرون ألفاً منهم ألف مسيحيون .

الهجرة :

بعد طرد اليهود من أسبانيا لجأ إلى القدس عدد وافر منهم كانوا نواة الطائفة السفاردية، مع من انضم إليها من يهود إيطاليا واليونان وإيران وشمال أفريقية وقد اكتسبوا الجنسية العثمانية . وتعنى كلمة سفارديم الأسبان .

---

(١) من أحدث وأدق ما كتب فى هذا الموضوع هو كتاب القدس ومكانتها فى الاسلام والتاريخ العربى للدكتور عبد اللطيف الطيباوى . نشرته باللغة الانكليزية مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت سنة ١٩٦٩ .

وهذا التسامح الاسلامى شجع بعض الأتقياء من يهود شرقى أوروبا الذين كانوا يحبون أن يسكنوا القدس للتعبد ولأن يدفنوا فى تربتها . وفى سنة ١٧٠٠ خرج مع الرابى يهودا حاسيد ألف وخمسمائة من اليهود وصل منهم إلى القدس ألف وكان أغلبهم من ألمانيا . ولذلك عرفوا بالسكناج أى الألمان، مع من انضم إليهم من أوكرانيا وبولونيا وروسيا . وكانوا يحتقرون طائفة السفارديم ويخالفونهم فى الطقوس والقراءات. وقد احتفظوا بجنسياتهم لينالوا حماية قناصل دولهم .

وافقت الدولة العثمانية على هجرة عدد محدود من عائلات هؤلاء المضطهدين المساكين . ولما خيروا فى المسكن فقد اختاروا حارة الشرف لأغراض دينية فى الظاهر وسياسية فى الباطن ، ظهرت للعرب فيما بعد ، فاليهود الذين جاءوا إلى القدس كانوا مشبعين بفكرة الاستيلاء على الحرم القدسى وإعادة بناء هيكل سليمان الذى يعتقدون أن المسجد الأقصى يقوم عليه مباشرة ، ولأنها تطل على مكان البراق الذى يسمونه حائط المبكى وهو البقية الباقية من الهيكل كما يزعمون .

كانت تصل إلى هؤلاء المهاجرين صدقات من أوروبا شهرياً بما يتراوح بين ثمانية وعشرة آلاف جنيه استرلينى وكانت الدولة تأخذ عليها رسوماً باعتبارها دخلا عاماً .

وبفضل التسامح الاسلامى والجهل بحقيقة المخططات اليهودية المرسومة سمح بالمزيد من المهاجرين . ولما ارتفع عددهم فيها طلبوا السماح لهم بزيارة ما يسمونه الحائط الغربى للبكاء والنوح أمامه ، فلم يمانع المسلمون فى تلبية هذا الطلب . لكن السلطات العثمانية اشترطت على اليهود عدم رفع أصواتهم أو النفخ بالبوق أو إدخال أى تعديل أو تبديل على الحائط أو المساس به بأى شكل من الأشكال . فقبل اليهود بهذه الشروط .

مداخلات الأجانب :

وكان الانكليز يدعون أن عليهم هـــداية اليهود إلى المسيحية فانتشرت الارساليات بين اليهود بحيث يجد اليهودى فيها التعليم والكساء والغذاء والتطبيب، فكثر إقبالهم عليها والاستفادة منها . ولما خشى الحاخام آرى ماركوس تنصر جميع اليهود هب بكل إمكاناته ليحول دون ذلك ، ولبت الجمعيات اليهودية الدعوة فتبرعت بمبالغ لبناء الملاجىء والمدارس اليهودية .

وأخذ يهود أمريكا يحصرون صدقاتهم بالمهاجرين من يهود أميركا وكان عددهم قليلا جداً .

فى مذكرات السير موسى حاييم مونتفيورى سنة ١٨٣٧ أنه حاول أن يقنع إبراهيم باشا وأباه محمد على، بوصفه صاحب الأمر بفلسطين أن يؤجراه أرضاً مساحتها خمسون فداناً ومائتى قرية لخمسين عاما ، بإيجار معين يسدد على أقساط سنوية وكان ينوى كما جاء فى مذكراته التى دونها فى صفد فى ١٤ أيار سنة ١٨٣٧ أن يدعو إخوانه اليهود المقيمين فى أوروبا وأميركا وجنوب أفريقية للإقامة فى تلك القرى واستغلال موارد الثروة فى هـذه البلاد المليئة بالخيرات . وإذا تحقق ذلك عاد آلاف من اليهـود إلى أرض إسرائيل ووطدوا أقدامهم فيها . ولكن محمد على رفض رفضا باتا ، وهـــذا نص كتاب الرفض(١) .

افتخار الأماجد الكرام ذوى الاحترام ولدنا العزيز مصطفى أغا السعيد متسلم القدس الشريف حالا . أنه بهذه الأثناء ورد لنا تحرير من جناب محبنا مير اللوى بحرى بيك وفى طيه جرنال وارد من مجلس القدس الشريف

(١) المفصل فى تاريخ القدس — عارف العارف ص ٢٦١

والجورنال المرقوم من معروض متقدم للمجلس من وكيل طائفة السكناج بالقدس الشريف بقصد الاستعلام بأنه هل يترخص لهم بمشترى الأملاك والأراضى للزراعة وتعاطى الحرث والزرع وتعاطى البيع والشراء وبيع الأغنام والأبقار وتعاطى مصابن ومعاصر — بناء يدفعوا المرتب للميرى مثل الرعايا . هذا مضمون استعلامنا وفهمنا كيفية جواب المجلس بأن هذه ماسبق لها أمثال . وبالوجه الشرعى أيضاً غير مساعد للمستأمنين المذكورين فى جميع ما يستدعون، حيث أراضى تلك الديار برية ووقفية . فالتماسهم بذلك لايوافق حكم الشريعة — ما عدا تعاطى البيع والشراء بالتجارة التى يجلبوها من بلادهم من أنواع التجارة ، حكم أمثالهم من الذميين فى السوق بأن هذه أعمال يتعاطوها الآن ، فلا أحد يمانعهم بها . هذه ملخص مجاوبة المجلس المبسوط بصورة المذكرة المرقومة وهذه المجاوبة من المجلس فهى بالحق والطريقة ، والمجاوبة لهم بذلك فهى بمحلها . إذ ذلك أن الذى ملتمسينه غير موافق من الوجه الشرعى . وأما تعاطيهم البيع والشراء بالسوق قياس أمثالهم الذميين فهذا ليس لهم معارضة به لكى يكون معلوماً عند حضرات أرباب المجلس أن جوابهم بذلك بمحله . مصر فى ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ الموافق ١٨٣٧ م .

وفى خريف عام ١٨٣٩ طلب القنصل البريطانى بالقدس من ابراهيم باشا السماح لثرى يهودى من التبعية الانكليزية بتبليط ساحة المبكى وكانت صدمة شديدة على متولى وقف أبى مدين ، فرفع الأمر إلى مجلس شورى القدس فرفض الطلب رفضاً باتاً، إذ لا يجوز لمسلم أن يملك الوقف الاسلامى فكيف يحق ذلك لليهود؟ ورفع ابراهيم الطلب إلى والده محمد على فى مصر . ولدينا الآن هذه الوثيقة مأخوذة عن الأصل بالزنكوغراف وهى التى وجهها إلى والى الشام محمد شريف باشا وهـــذا بدوره كتب إلى متسلم القدس أحمد أغا الدزدار (١) .

(١) من مذكرة رفعها السيد احسان النمر من نابلس الى وزير الأديان الاسرائيلى على أثر نكسة حزيران سنة ١٩٦٧

افتخار الأماجد الكرام ذوى الاحترام — أخينا السيد أحمد أغا دزدار/ متسلم القدس حالا — أنه ورد لنا أمر سام من سر عسكر مضمونه صورة إرادة شريفة خديوية صادرة لدولته يعرف مضمونها إلى أنه حيث قد اتضح من صورة مذكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف وإلى محل ربط البراق وهو كاين داخل وقفية حضرة بومدين (قدس سره) وما سبق لليهود تعمير هكذا أشياء بالمحل المرقوم . ووجد أنه غير جايز شرعاً ، فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود بتبليطه وأن يتحذروا اليهود من رفع الأصوات وإظهار المقالات ويمنعوا . فقط يعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم . وصادر لنا الأمر السامى السر عسكرى بإجراء العمل بمقتضى الارادة المشار إليها . فبحسب ذلك اقتضى افادتكم بمنطوقها السامى لكى بوصوله تبادروا لإجراء العمل بمقتضاه المنيف يكون معلومكم فى ٢٤ ربيع أول سنة ١٢٥٦ جرنال ٦٨ نمرة ٩ .

كان ذلك فى سنة ١٨٤٠

وحاول اليهود أن يستفيدوا من تمتعهم بحماية الأجانب فى أنحاء الدولة العثمانية فتقدموا سنة ١٨٥٤ بالسماح لهم بتعمير محل عتيق قائلين أنه كنيس تخرب واحتاج إلى عمار . ولما جرى الكشف عليه تبين أنه الذى أشار اليه السائح بأنه دير ولما لم يجابوا إلى طلبهم علمهم القنصل البريطانى بالقدس أن يثيروا قضية سمح فيها ببناء كنيسة لطائفة البروتستانت . وقد نجحوا وصار لهم كنيس خاص بالسكناج يقابل كنيس السفارديم .

وعندما زار القدس الثرى اليهودى البريطانى موسى مونتفيورى سنة ١٨٣٧م قدر القنصل البريطانى بالقدس أن عدد اليهود فيها ثلاثة آلاف نسمة مع وجود مد معابد أخرى لم يحتاجوا لتصاريح عند انشائها وكانت أمكنة لتدريس التلمود وكان مظهرها يدل على القذارة والبؤس وكانت تستعمل أحيانا للصلاة .

وحصل منتفيورى على فرمان من السلطان العثمانى عبد المجيد استطاع بموجبه شراء الأراضى فى مدينة يافا والقدس وقد كان هــذا محظوراً من قبل(١) .

وكانت القطعة التى اشتراها فى المدينة المقدسة بموجب هذا الفرمان أول أرض يمتلكها اليهود الأجانب فى البلاد . وهذه القطعة هى « يمين موشه » فوق بركة السلطان . وكان هذا عام ١٨٥٤ . وقد أقيم على هذه الأرض فيما بعد حى يهودى دعى « مونتفيورى » ولا زال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم . ولقد تكدس اليهود فى هذا الحى بالقدس محاولين السيطرة على اقتصاد المدينة العربية. وكان مونتفيورى أول من أسس مدرسة لليهود فى القدس سنة ١٨٣٥ .

كان الدافع الأول لهجرة اليهود الى القدس دينيا . وكانوا يعيشون من الصدقات التى تصلهم من يهود الخارج لذلك لم يشعر المواطن العربى بأن هذا اليهودى ينافسه فى كسب العيش ، إلى أن قتل نقولا الثانى قيصر روسيا سنة ١٨٨٢ . ولما اتهم اليهود بأن لهم ضلعاً فى ارتكاب هذه الجريمة انصبت عليهم لعنات الروس وأصبحوا معرضين لأشد أنواع الاضطهاد . لذلك أخذوا يهاجرون الى كل بلد تقبلهم ... هاجروا الى بريطانيا والى أميركا . لكن بقى النصيب الأوفر لفلسطين للعوامل التاريخية والعواطف الدينية . وكان معدل الواصلين شهرياً إلى فلسطين نحو ألفى مهاجر حتى زاد عددهم سنة ١٨٩٠ على نصف السكان الاجمالى. وبينهم كثير من أهل الحرف وأصحاب الدكاكين الذين أخذوا ينافسون أبناء البلاد بل ويقاسمونهم لقمة العيش وتدنت الأجور وهبطت الأسعار وأصيب المواطن الأصلى بنكسة شديدة . فرفعت العرائض إلى السلطان ولكن هذا السلطان العثمانى كان يرزح تحت عبء الامتيازات الأجنبية التى كانت تحمى اليهود .

---

(١) القدس عربية ــ عبر القرون ــ وجيه أبو ذكرى ــ القاهرة سنة ١٩٦٧ ص٨٠

وكان هناك سبب آخر جعل العرب يرفضون مساكنة اليهود — إذ كان كل يهودى اشكنازى صاحب خمارة أو بيت دعارة . وهذا مطابق لما ورد فى مذكرات بن غوريون عن المرأة اليهودية التى سكن عندها فى سالونيك عندما كان يدرس الحقوق « كانت هذه أول تجربة فى العيش مع اليهود الإسفارديين . وقد استغربت ودهشت للفكرة التى يحملونها عن اليهود الاشكنازيين — إذ كان أحد الأصدقاء حذرنى من أن أخبر ربة البيت لإننى اشكنازى . وعندما طلبت منه أن يفسر لى السبب تردد . ولكن عندما أصررت أخبرنى أن اليهودى العادى فى سالونيكا يعتقد أن كل اشكنازى إنما هو صاحب بيت من بيوت الدعارة ...(١) .

وفى سنة ١٨٩١ أرسل مسلمو القدس تظلمات إلى رئيس الوزارة فى استنبول . وكان الرد على ذلك الحد من الهجرة وتحديد مدة الإقامة بفترة قصيرة ولكن الرشوة كانت تقضى على كل تدبير . وحتى عندما منعت الحكومة العثمانية بيع الأملاك للأجانب استطاع هؤلاء أن يشتروها بالغش والاحتيال والدسائس والرشى . وكان أول من يحتج على كل تشريع لمنفعة المواطنين هو سفير بريطانيا فى استنبول وقنصلها فى القدس .

ولما حاول متصرف القدس تطبيق القوانين لمصلحة المواطنين تشكى عليه قنصل أميركا ، فنقل ولما أيده القاضى الشرعى عزل وبدل نصف أفراد الشرطة .

وتعتبر سنة ١٩١١ من أشد السنين تأزماً فقد أنهالت صنوف المهاجرين الذين يحملون الأفكار الفوضوية وأصبحوا يكسرون العادات المتبعة فى زيارة المبكى ، إذ أخذوا الكراسى ونصبوا المظلات ونفخوا بالأبواق ووضعوا كتب الصلوات على طاولات ، مما يعتبر خرقاً صريحاً لكل اتفاق وتدميراً لكل تسامح إسلامى . ولما منعهم المسلمون انتصر لهم قناصل الدول الأجنبية .

(١) بن غوريون وبناة اسرائيل ص ٣٦ للمؤلف .

وأصر متولى وقف أبى مدين على منع اليهود من الوصول إلى المبكى من الممر المؤدى إلى الزاوية وناصره القاضى الشرعى. وهنا انبرى قناصل الدول الأجنبية لحماية اليهود، فخطت الحكومة العثمانية خطوتها الجريئة بالغاء الحماية القنصلية عن اليهود سنة ١٩١٣ .

وقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وصل إلى فلسطين ستون أو ثمانون ألف مهاجر استوطن نصفهم مدينة القدس ولكن الحرب أجبرت أكثرهم — كأجانب — على الهرب ، لاسيما إلى الاسكندرية كما أوقفت نشاط الباقين وتحمس بعض حكام الترك لاثبات وجود دولتهم ولتمكينها من حق مزاولة الحكم فى بلادها . ولما عين بهاء الدين بك(١) حاكما على يافا سنة ١٩١٤ جمع زعماء اليهود وكهنتهم من المستعمرات والمدن وخاطبهم أن كتبكم المقدسة تحرضكم على إقامة دولة لكم فى فلسطين وأنتم تحاولون الاستيلاء على فلسطين طبقاً لخطط الرومان الذين كانوا ينشئون المستعمرات فى البلاد الأجنبية حتى إذا شعرت هذه المستعمرات بقوتها زاحت عنها الحكم المحلى ونادت بالحكم الذى يلحقها بروما ويفصلها عن أصلها ويمزق وحدة الحكم المحلى . وأخبركم اننى أتيت إلى هنا لأقضى على مشاريعكم وأخلع الشر من جذوره بالقضاء على مؤمراتكم .

ولكن الحكومة لم تخيب طلب صديقها سفير أميركا فى العاصمة فعزلت بهاء الدين، إلا أن جمال باشا الذى كان حر التصرف عين بهاء الدين مستشاراً له فى جميع البلاد السورية. وهكذا أتيحت له الفرصة لممارسة سلطته وتطبيق آرائه فى مقاومـــة السياسة اليهودية . فمنع استعمال اللغة العبرية حتى فى كتابة اليافطات والغى الطوابع اليهودية وأقفل بنك أنجلو — فلسطين وأبطل التعامل بشيكاته وصادر جميع أموال المنظمات وممتلكاتها بموجب قوانين الحرب .

---

(١) بين أميركا وفلسطين ، ترجمة يوسف حنا ص ٥٤ .

بعد الاحتلال البريطاني :

انضم العرب إلى الحلفاء بزعامة الحسين بن على شريف مكة بعد أن حصل على وعود من الحلفاء مضمونها استقلال البلاد العربية من جبال طوروس شمالا إلى عدن جنوباً ، دون استثناء فلسطين منها . كان ذلك فى ٢٥ تشرين أول سنة ١٩١٥ ولما فقدت تركيا المدينتين المقدستين مكة والمدينة حاولت أن تجعل من القدس نقطة انطلاق إسلامية فأسسوا فيها الكلية الصلاحية لبث الروح الدينية فى سائر أنحاء الأمبراطورية العثمانية، كما حاول جمال باشا أن يسترضى العرب بالوعد بتلبية طلباتهم فى الاستقلال الذاتى . واعتبر دخول الجيش البريطانى إلى جنوب فلسطين امتداداً للحروب الصليبية . وكان مسلمو الهند غير راضين عن تخلى العرب عن دولة الخلافة الشرعية .

ولما أيقن المتصرف التركى عزت بك أن القدس لامحالة ساقطة بيد الانكليز وأنه لاخير يرجى من المقاومة أكثر مما جرى ، نادى اليه مفتى القدس كامل أفندى الحسينى ورئيس البلدية حسين سليم أفندى الحسينى فاجتمعا إليه فى داره / وقال لهما : ها قد أحاط الانكليز بالقدس ولا بد وأن تسقط عما قليل بأيديهم . ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة وأود أن ألقى بين أيديكم هذا الحمل الأدبى العظيم — إلا وهو تسليم المدينة وناول رئيس البلدية وثيقة التسليم التالية مكتوبة بالتركية ليسلمها للإنكليز . وهذه ترجمتها بالحرف الواحد « إلى القيادة الانكليزية منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة، فالحكومة العثمانية رغبة منها فى المحافظة على الأماكن الدينية من الخراب قد سحبت القوة العسكرية من المدينة وأقامت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى . وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه فإنى أبعث بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني » . متصرف القدس المستقل ١٣٣٣/١٢/٨ هـ (انظر صورة ١٤) . عزت



(١٤) صورة كامل بك الحسيني رئيس بلدية القدس
وبعض الأهلين والبوليس يحملون علم التسليم سنة ١٩١٧

وفى ١٩١٧/١٢/٩ دخل الجيش البريطانى مدينة القدس . وبعد يومين وصل موكب القائد الفاتح الجنرال اللنبى إلى ساحة القلعة قرب باب الخليل وترجل هو وحاشيته عن خيولهم . وجاء مفتى القدس ورئيس بلديتها وبطارقة النصارى وحاخام اليهود . ولوح اللنبى بيديه فقوبل بالتصفيق والهتاف من الجمهور . وأخذ يلقى خطابه المرتقب الذى كان أعده له اللورد كيرزون باسم الوزارة البريطانية وأقره البرلمان البريطانى خشية أن تفلت كلمة تسىء إلى مسلمى الهند (انظر صورة ١٥) .



(١٥) صورة أول خمسة دخلوا القدس من ضباط الجيش البريطانى

وكان الجنرال حداد يترجمه إلى اللغة العربية وهو كما يلى :

إلى سكان بيت المقدس وأهالى القرى المجاورة : — إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التى تحت قيادتى أدت إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشى . وفى الوقت الذى أذيع فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية وستبقى هذه الأحكام نافذة

المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأترك الذين انسحبوا ، أريد أن أخبركم أننى أرغب أن أرى كل واحد قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أى تدخل من قبل أى كان .

وفضلا عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة فى نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس فى نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ونصب ومكان مقدس أو معبد أو مقام أو مزار أو أى مكان مخصص للعبادة من أى شكل وإلى أى طائفة من الطوائف الثلاث سيصان ويحتفظ به عملا بالعادات والعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التى تملكها .

ولما انتهى الخطاب قابله المجتمعون بالتصفيق والهتاف ولكنهم لم يلبثوا أن توقفوا عن التصفيق وساد الساحة هرج ومرج وغادرها مفتى القدس غاضباً دون أن يصافح اللنبى واتبعه الكثيرون من الحضور قبل انتهاء الاحتفال وقبل أن يغادر اللنبى منصة الخطابة .

لقد استاءوا من غطرسة الخطاب ولهجته القاسية وخلوه من أى كلمة إلى العرب وثورتهم ولم يكن العلم العربى بين أعلام الحلفاء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا التى كانت ترفرف فوق الاجتماع وكتموا غيظهم حتى وصل اللنبى فى كلامه « اليوم انتهت الحروب الصليبية » فلم يعد فى امكان الشعور العربى الاصطبار فخرج الزعماء ليقولوها — لا بملء الأفواه . ورداً على هذه الغطرسة خاطبه المرحوم أحمد شوقى :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية   لبس الصليب حديداً كان بل خشباً(١)

---

(١) أميل الغورى ، الرأى فى ١٩٧١/١٢/٩

ولقد استاء الملك الحسين بن على عندما لم يدع ابنه الأمير فيصل للمشاركة بدخول القدس مع أنه كان فى شرقى الأردن . لذلك فإنه لم يرسل تهنئة للجنرال اللنبى .

وكان نصف فلسطين مازال بيد الأتراك عندما منح الانكليز اليهود وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لهم فيها . ولقد أقنع اليهود حكومة بريطانيا بقبول فرقة بغالة منهم ليكونوا شركاء فى الفتح . وكان أول عمل قامت به هذه الفرقة اليهودية وحال انتهاء الحرب الأولى فى ١٩١٨/١١/١١ التوجه إلى المبكى وإقامة صلاة فيه وبعد عشرة أيام قامت الجمعية الصهيونية بذات العمل وكان يقودها الدكتور حاييم وايزمان وأخذ أفرادها وهم يسيرون فى الأحياء العربية يتقصدون اثارة الشعور . وقد بلور سلطان مصر حسين كامل مخاوف المسلمين على حرمهم من اليهود لأصدقائه الانكليز . وكما نقل الدكتور فارس نمر رئيس تحرير جريدة المقطم التى كانت تميل إلى الانكليز ، رأيه المماثل ، فاتهم بأنه من معادى اليهود .

زار اللنبى كنيسة القيامة وتسلم مفاتيحها . ثم سلمها بنفسه إلى الأسرتين المسلمتين — آل نسيبة وآل جودة — لتستمرا فى الحراسة . وكان بوسع اللنبى أن ينهى حراسة المسلمين لأعظم كنيسة فى العالم المسيحى ولكنه لم يفعل يقيناً منه أن المسلمين اتصفوا بالعدل والسماحة وأن للسيد المسيح مقاما مرموقاً عندهم . وبناء على هذه الحقيقة قالت لجنة « كنج — كرين » التى عهد إليها البحث فى حق تقرير مصير البلاد العربية التى انسلخت عن الامبراطورية العثمانية فى تقريرها سنة ١٩١٩ « لا يجوز لليهود أن يتولوا الوصاية على المقدسات فى القدس لأنهم لا يؤمنون بدين غير دينهم — بل انهم يحتقرونها ويعتبرونها من أعمال الأمم الكافرة . وليس أنسب من المسلمين فى إسناد الوصاية على الأماكن المقدسة » .

وفى آيار من سنة ١٩١٨ طلب وايزمن من السلطة العسكرية البريطانية تسليم المبكى لليهود وقال: — لنا فى فلسطين عدة مقدسات ولكنها كلها بأيدى المسيحيين والمسلمين. والمبكى جزء من الهيكل. وجميع الأمكنة التى حوله فقيرة ومزرية وتعطى أسوأ الانطباعات لدى كل زائر. ومعبدنا فى مدينتنا المقدسة هو الآن فى أيدى المغاربة الكفار. إننا على أتم الاستعداد لإرضاء هذه الجماعة البائسة وسنعمل على تطهيره ورفع شأنه .

وبناء على هذا الطلب قام السير رونالد ستورز حاكم القدس العسكرى باستدعاء مفتى القدس المرحوم كامل الحسينى وأسمعه طلب وايزمن بشأن بيع الممر والدور المجاورة للمبكى. ولكنه لم يذكر الحائط بالذات ولقد سمع ستورز الجواب الذى كان ينتظره وهو : لا يستطيع أى إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف ولا سيما هذا المكان على وجه التخصيص، بأى مبلغ مهما كان، حتى ولو إلى مسلم ، فكيف إذا كان الطالب يهودياً ، ونحن نعرف أهدافهم لامتلاك الحائط وما فى جواره .

وبالرغم مما بذله ستورز من استعمال كل أنواع المفاوضة فإنه لم يحرز أى خطوة للوصول إلى ما يريده اليهود ولكن اليهود لم ييأسوا بل وسطوا مغربياً يهودياً ليغرى فقراء المغاربة بمبلغ كبير من المال . ولكنه سمع من متولى وقف ابن مدين ماسمعه ستورز من المفتى .

ذكر الجنرال بولز رئيس الادارة العسكرية البريطانية لفلسطين فى تقرير رسمى رفعه إلى الحكومة البريطانية فى لندن بأن الحاخام الأكبر للقدس وهو ابراهام اسحاق كوك والحاخامين الآخرين فيها والادون أوسيشكن — نائب رئيس الجمعية الصهيونية طلبوا من الادارة العسكرية تسليم اليهود ساحة المسجد الأقصى كلها . وكان زعماء اليهود فى لندن برئاسة الدكتور وايزمن قدموا إلى رئيس الوزراء البريطانية طلباً مماثلا .

وهكذا أخذ اليهود يكشفون النقاب عن حقيقة مطامعهم فى الحرم القدسى ويعلنونها بصراحة وجلاء .

ولقد جاء فى تقرير انكليزى: إن هذه المفاوضات وتلك المحاولات جسمت مخاوف المسلمين على مقدساتهم وقد أشير عليهم أن يكتبوا احتجاجاتهم إلى لندن. فكان أولها من المرحوم عارف باشا الدجانى وقد وقعها أربعة عشر من زعماء الأسر المقدسية وضمنوها مقتطفات من خطاب اللنبى ثالث أيام دخوله مدينة القدس فى ١٩١٧/١٢/١١ وأرفقت بثلاث عرائض من الهيئات الإسلامية التى كانت الإدارة العسكرية تعترف بها كممثلة لمسلمى القدس وخلاصتها أننا لن نسمح نحن وجميع المسلمين استبدال مقدساتنا بمال .

أرسلت كل هذه العرائض إلى لندن مع تحذير من اللنبى إلى بلفور وزير الخارجية بأنه من الخطر الاستماع إلى طلبات اليهود هذه ، فإن المسلمين لن يسكتوا عن ضياع مقدساتهم. وأن تحركاتهم بدأت تؤدى إلى متاعب شديدة للإدارة البريطانية فى فلسطين فإن القومية العربية أصبحت وجها لوجه مع الصهيونية .

ولكن اليهود لم يقفوا عند هذا الحد — فقد اغتنموا ذكرى وعد بلفور وأخذوا يتجمعون فى القدس . وأصر المجندون اليهود على الحضور من معسكراتهم إلى القدس والاشتراك فى تلك المناسبة. وأعلنت القيادة البريطانية عدم موافقتها ، فتمرد المجندون اليهود وساروا بقيادة اثنين من قادتهم إلى الحائط واصطدموا مع العرب .. وكان الجواب أن القيادة حلت هذه الفرقة وقدمت المشاغبين من أعضائها للمحاكمة .

موسم النبى موسى :

بعد الحرب الصليبية بقى هنا خطر يجب الاستعداد لدرئه واتقائه. وهو ظهور الأجانب من البحر غفلة ومهاجمتهم البلاد وعبثهم فيها. وكانت فلسطين الهدف

لاسيما القدس فرأت الدولة زمن صلاح الدين وضع نظام ظاهره وحقيقته خطة عسكرية للدفاع عن البلاد ، فأنشأ الظاهر بيبرس مزاراً للنبي موسى على بعد ٣٦ كم من القدس على طريق أريحا ورتب له موسماً عظيماً بحيث تجتمع الألوية فى القدس من جبل القدس وجبل الخليل وجبل نابلس على ثلاثة أيام وهى تتوارد هازجة راقصة كأنها فى عرض عسكرى ثم تهبط هذه الوفود إلى مزار النبي موسى فتمكث أياما هازجة راقصة وهى تقوم بمباريات فروسية وكأنها فى عرض عسكرى . ثم تعود إلى القدس وتتفرق ، قسم يعود إلى مدنه وقراه والقسم الآخر يتجه إلى مدينة الرملة حيث يلتقى بأهالى منطقة يافا واللد والرملة للمشاركة فى موسم النبي صالح فى ذلك الأسبوع الذى يكون المسلمون خلاله فى مجمع عسكرى يراقب تحركات الفرنج المريبة .

والقصد أن تظل روح النخوة فى النفوس . وهو أعظم موسم قومى دينى له صفة عسكرية بهذا المعنى الذى ذكرنا . وهو يتبع الحساب الغربى لا الهجرى لأن القصد به هو وجود الأجانب فى أعياد الفصح(١) .

ثورة البراق :

وللنبى موسى موسم، من مواسم فلسطين، يجمع جمهوراً من شبابها العرب ، من مدائنها وقراها، ليسير موكبهم الحاشد من القدس إلى مقام ينسب إلى هذا النبى، بعد الصلاة فى الحرم الشريف . وقد رفعوا الأعلام وتقلدوا السيوف جرياً على عادة قديمة كان منشأها الحذر من تجمع الافرنج لشهود عيد الفصح فى كنيسة القيامة ، فما تحدثهم نفوسهم بما لا تحمد عقباه . وموكب النبى موسى العربى غدا عاما بعد عام كان يسير بنظام . وينتهى بسلام وقد طويت الأعلام واغمدت السيوف وبحت الحناجر وونيت الأقدام وانهكت الأجسام — عادة عريقة فى الأيام .

سار هذا الموكب كعادته المشهودة فى طريقه المرسومة بأهازيجه وأناشيده

(١) ص ٥٩ من بروتوكولات حكماء صهيون للأستاذ عجاج نويهض .

وفى ثناياه الراقصون وفى الطليعة كوكبة من فرسان البوليس. وكالعادة وقف المتفرجون فى الطرقات وأطلوا من الشرفات. والجو صفاء والأعلام ترفرف فى الهواء. وكان بين الواقفين للشاهدة يهودى وقعت منـــه بادرة اشمئزاز وازدراء . وقيل أنه بصق صوب علم من تلك الأعلام العربية المقدسة . وبالطبع انهال عليه المتواكبون ، فما رحموه . تلك كانت الشرارة فى الهشيم ، تدخل اليهود ، فاشتد الاشتباك . وفى نار العداء القومى لقى يهود أبرياء نصيباً من العذاب ، وحدثت لعرب وليهود على السواء حوادث ضمن أسوار المدينة القديمة أسف لها كل من سمع بها ، فدعى الجند لمعاونة الشرطة وأقفلت أبواب المدينة ومداخلها وقيد الدخول والخروج مدة أيام ثلاثة أو أربعة وأسفرت المعمعة عن سبعة قتلى ومئتى جريح من اليهود وخمسة قتلى وخمسة وعشرين جريحاً من العرب .

حدث هذا أثناء الحكم العسكرى فى عيد الفصح وموسم النبي موسى، قالت عنها اللجنة التى كلفت التحقيق فيها أنها كانت بنت ساعتها — غير مدبرة بسبق تصور أو تصميم أو تنظيم ... بركان وانفجر. إنما العبرة بتكوين البركان من مواد إذا اجتمعت والتهبت كان التفجر النتيجة المحتومة(١) .

وتلقى الحاكم العسكرى كتاباً من وايزمن يقول فيه كان المبكى ملكا يهودياً ويجب أن يعود كما كان ، ثم تلقى كتاباً من الحاخام الأكبر يقول فيه يجب أن يوضع الجدار تحت تصرف فئة من اليهود للعناية به . هذا العنف من أقلية لا تزيد على ٨٪ من مجموع السكان ومع وجود الحماية البريطانية أوضح أنها لا تكتفى بالسيطرة على الأغلبية العـــربية بل أنها تطمع فى اغتصاب مقدساتها .

---

(١) خمسون عاماً فى فلسطين — مس نيوتن وترجمة البستانى ص ١٢٥ .

وفى أواخر أيلول سنة ١٩٢٠ عهدت عصبة الأمم لبريطانيا بالانتداب على فلسطين لتدرب سكانها على إدارة شئونهم بأنفسهم فى أقرب وقت . ولكن عليها أيضاً أن تضع هذه البلاد فى ظروف سياسية واقتصادية تؤدى إلى قيام وطن قومى لليهود ، ولقد فسر اليهود الوطن القومى بأنه دولة يهودية . وكان أن عينت بريطانيا يهودياً بريطانياً ليكون أول مندوب سام يطبق سياستها فى فلسطين ، وكان هو السر هربرت صموئيل الذى تلا فى تموز سنة ١٩٢٠ البيان التالى باسم الملك جورج الخامس .

إنى مأمور من فخامة جلالة الملك جورج الخامس أن أبلغكم الرسالة الآتيـة :

إن الدول المتحالفة التى نالت الفوز الباهر فى هذه الحرب قد أودعت بلادى أمر الوصاية على فلسطين لكى تسهر على صوالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى طالما كنتم تنشدونه . إنى أذكر بافتخار العمل المجيد الذى قامت به جنودى تحت قيادة الفيلد مارشال اللورد اللنبى بتحرير بلادكم من النير التركى وسأتهلل حقيقة إذا وفقت أنا وشعبى أيضا إلى أن نكون وسيلة لتنالوا السعادة بوجود إدارة حازمة وصادقة . إنى أرغب أن أؤكد لكم أن الدولة ذات الوصاية ستنفذ ما عليها من الواجبات بدون محاباة مطلقا . كما وأن فى عزم حكومتى أن تحترم حقوق العناصر والمذاهب على اختلافها فى المدة التى يلزم انقضاؤها إلى أن يصادق مجلس عصبة الأمم نهائيا على أمر الوصاية ، وفى المستقبل عندما تكون قد صارت الوصاية أمراً واقعا .

لا يخفاكم أن الدول المتحالفة والمشتركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج . وهذه التدابير لن تؤثر قط على حقوق الأهالى الدينية والمدنية ولن تنقص من الرقى المعنوى لعموم طبقات الشعب الفلسطينى . إنى واثق أن المندوب السامى الذى انتدبته

لإنفاذ هذه المبادىء سيفعل ذلك بعزم ثابت ونية صادقة وسيسعى لاستعمال كل الوسائل التى تؤول إلى خير واتحاد طبقات الشعب على اختلاف مذاهبه إنى أدرك جيداً خطورة الائتمان المحدقة بحكومة البلاد التى يقدسها المسيحى والمسلم واليهودى على السواء . وسأحافظ بكل اهتمام وعاطفة حارة فى المستقبل على رقى وعمران البلاد التى ينظر العالم إلى تاريخها باهتمام عظيم » .

وفى سنة ١٩٢٢ قال سير الفرد موند (اللورد ملشيت فيما بعد وهو من أكبر زعماء اليهود فى بريطانيا) فى بيان له لقد اقترب اليوم الذى يعاد فيه بناء هيكل سليمان ... وإنى سأكرس بقية حياتى لاعادة بناء هيكل سليمان على مكان المسجد الأقصى ، وكان الفريد موند هذا عضو فى مجلس اللوردات البريطانى . فأرسل رئيس المجلس الاسلامى الأعلى احتجاجا على هذا البيان إلى الوزارة البريطانية ، فردت على هذا الاحتجاج بقولها أنه لا دخل لها بهذا الموضوع وأن الفريد موند يتكلم على مسئوليته الخاصة .

شكل اليهود فى سنة ١٩٢٨ جمعية باسم (جمعية الدفاع عن حائط المبكى) وكتب رئيسها مقالا فى مجلة البلاستين بوست ويكلى فى ٦ آب سنة ١٩٢٩ قال فيه أن المسجد الأقصى يقوم على قدس الأقداس فى الهيكل وأنه يخص اليهود .

أذاع الحاخام الأكبر ابراهام اسحاق كوك بيانا بتاريخ ١٨ آب سنة ١٩٢٩ قال فيه أن شباب اليهود مستعدون للتضحية بأرواحهم لغرض استعادة هيكلهم المقدس الذى يحل محله الآن المسجد الأقصى ... ولا يمكن أن تكون هناك صهيون بدون القدس — ولا القدس بدون الهيكل اليهودى .

بموجب الانتداب تعهدت بريطانية بتأمين كل طائفة من طوائف فلسطين



صورة تاريخية قديمة للبراق الشريف (حائط المبكى)
وهو الذي انبعثت بسببه الشرارة الاولى في الاضطرابات الاخيرة
سنة ١٩٢٩

جاء على صفحة ٩٢ من كتاب « القدس — لا أورشليم » لشريف الراسى :

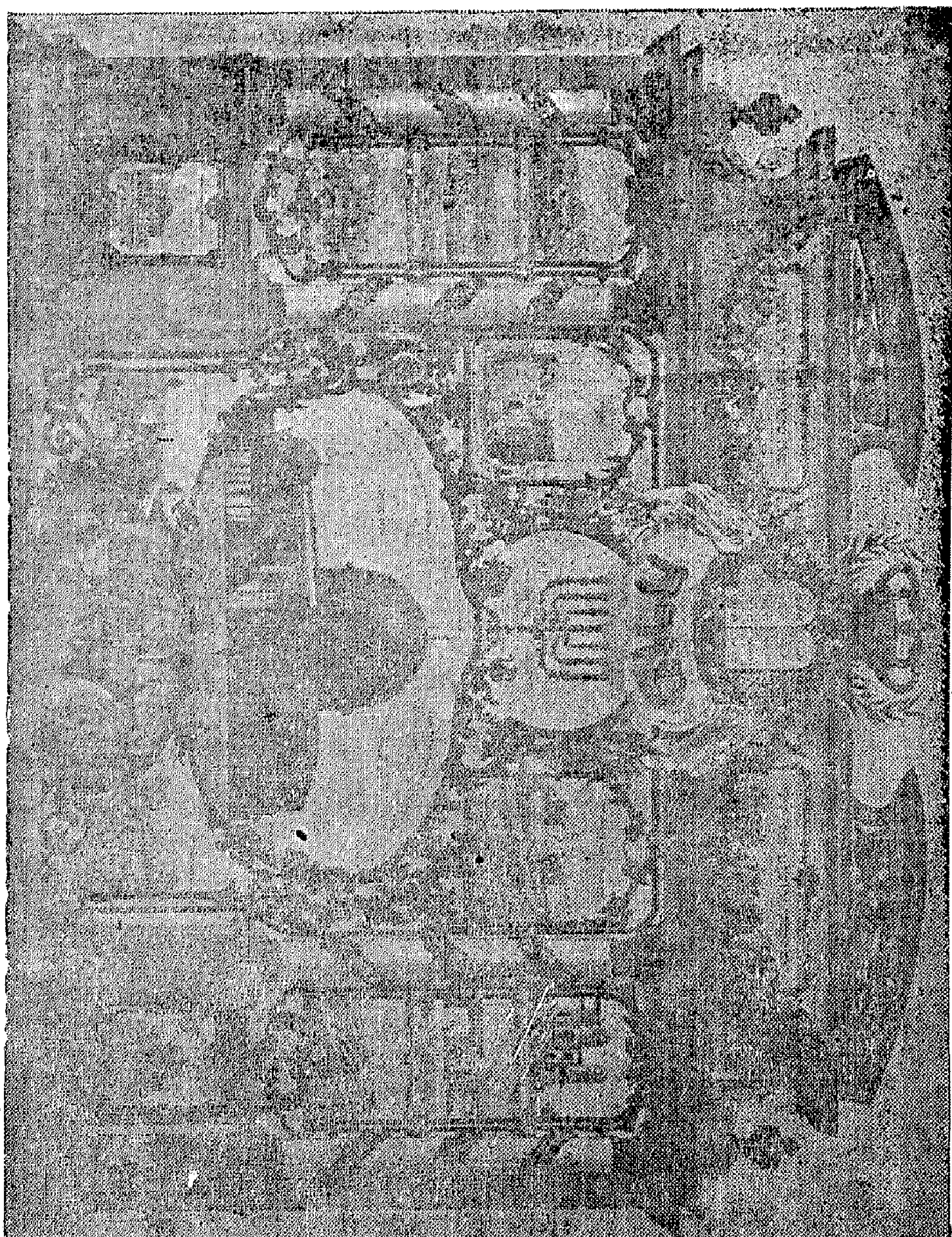
سألت قساً انجيلياً فى أميركا — ما إذا كان هناك إثبات تاريخى يؤكد أن حائط المبكى هو صحيح من بقايا هيكل سليمان ؟ فأجاب بالنفى قائلا :

إن هيكل سليمان دمر مع كل ما كان يهودياً قبل الميلاد على أيدى البابليين ثم أعيد بناؤه وهدمه الرومان عندما أحرقوا أورشليم . وفى مطلع هذا القرن وجد المنقبون جدارا فيه من التشابه من حيث التصميم ما كان معروفا بالشكل المعمارى فى عهد الهيكل الثانى ونشرت الصحافة اليهودية صورة الجدار المكتشف وبدأت أسطورة المبكى تنمو وتتضخم .

على ممتلكاتها ومقدساتها . ولم يقنع اليهود بكل ما كانوا يتمتعون به منذ الحكم العثمانى بل وأخذوا يجلبون معهم أدوات وكراسى وينفخون بالبوق ، مما آثار متولى الوقف مرات عديدة. ولما أزال البوليس البريطانى مازادمن المعتاد انفجر اليهود بالاحتجاج على هذا التدخل فى معابدهم ونقلوا قضية المبكى من المجال الدينى إلى المجال السياسى ونشرت حكومة الانتداب فى سنة ١٩٢٨ كتاباً أبيض بررت فيه أسباب ازالتها المواد التى جلبها اليهود خلافاً لمبدأ الستاتيكو — بقاء القديم على قدمه — ودعت كلا من الطرفين لتقديم مالديه من وثائق تثبت حقه فى الحائط وقدم المجلس الاسلامى الأعلى مالديه من وثائق فى ١٨٤٠ وسنة ١٩١١ ولم يستطيع ممثلو اليهود دحض ماجاء فى هذه البيانات الا عند ماقال ممثل العرب أن دائرة المعارف اليهودية الصادرة سنة ١٩٠١ لم يرد فيها ذكر المبكى بين معابد اليهود فى القدس حتى أنها لم تذكر اسمه . ومع ذلك أصروا على عنادهم .

واتسع نطاق الخلاف وبحث اليهود القضية فى المؤتمر الصهيونى السادس عشر الذى عقد فى زوريخ واتخذ قراراً بأن الحائط مكان خاص يزاول فيه اليهود حقهم فى العبادة منذ قرون طويلة واحتجوا بما ورد فى دائرة المعارف العامة التى ظهرت فيها صور ليهود بالقفاطين الشرقية وقبعات من الفراء ومع شبان فى ملابس أوربية يقفون أمام الحائط لتأدية العبادات. وتطور الادعاء بالحقوق إلى الساحـــة نفسها بانها جزء متمم للمعبد . ونادت جريدة دوار هـايوم بأنه لاحق للشعب اليهودى بالسكوت حتى يسترجعوا المبكى خالصاً لهم .

وبعد يومين حلت ذكرى تدمير الهيكل فى السادس من آب سنة ١٩٢٩ فتجمع نحو ستة آلاف من جنود الهاجاناه وانضمت إليهم أعداد أخرى كثيرة من المنظمات العسكرية وتحركت هذه الجموع مع ما رافقها من



(١٧) صورة قبة الصخرة كما ظهرت في منشورات اليهود سنة ١٩٢٩

أفراد اليهود المدنيين وتوجهوا من تل أبيب إلى القدس . ولما وصلوا إليها دخلوا الأحياء العربية بجماعات ترفع العلم الصهيوني ولما وصلوا إلى ساحة الحائط ارتفعت أصواتهم الهائجة قائلين (الحائط لنا) وصادف إن كان ثاني يوم جمعة وخرج المسلمون من صلاة الجمعة بشكل مظاهرة اخترقت الشوارع . فانزوى اليهود واختفوا من الشوارع . وفي المساء تجددت احتفالات المسلمين بعيد المولد النبوي وأصبح الجو مشحوناً وفي ١٥ آب سنة ١٩٢٩ هاجم اليهود البراق بقوة كبيرة وأقاموا فيه هيكلا للصلاة ونصبوا فيه الأواني الكنسية ونفخوا بالبوق . فهاج العرب وماجوا وتوترت الأوضاع وضاعف اليهود من تهديداتهم معتمدين على الحكومة البريطانية التي كانت تسمح لهم بالتسلح والتنظيم .

وفي ٢٣ آب سنة ١٩٢٩ اخترق شوارع القدس مظاهرة يهودية ضخمة حمل الكثير من المشتركين فيها الأسلحة النارية والعصي الغليظة واتجهت المظاهرة إلى مكان البراق فانقض عليهم أهل القدس واشتبكوا مع المتظاهرين وقاتلوهم بضراوة وأعادوهم على أعقابهم وطهروا البراق من جميع ما أحدثوا فيه . ونتيجة لهـــذا الاشتباك نشبت ثورة فلسطين الكبرى المعروفة بثورة البراق .

لجنة دولية :

شكلت عصبة الأمم المسئولة عن تطبيق نظام الانتداب لجنة دولية في شهر آيار سنة ١٩٣٠ من مقرها في جنيف للتحقيق في مشكلة البراق وادعاءات كل من المسلمين واليهود في ملكيته . وتألفت هذه اللجنة من ثلاثة من كبار رجال السياسة والقضاء في العالم . وهم أسوجي وسويسري وهولاندي واستمعت إلى عدد ضخم من شهود العرب ومثله من شهود اليهود . وبعد انتهائها من التحقيق أصدرت اللجنة قرارها في ١٩ حزيران سنة ١٩٣٠ ورفعته إلى عصبة

الأمم ، ومن الجدير بالملاحظة أن اليهود طلبوا من اللجنة إخراج المغاربة من محلاتهم التى يسكنونها منذ ثمانية قرون ، على أساس ما عرض وايزمن سنة ١٩١٨ بالتعويض المادى . ولكن اللجنة لم تكترث لهذه التفاصيل الجانبية وإنمـــا حصرت اهتمامها فى نقطتين مهمتين هما حق الملكية وحق الانتفاع .

١ — وكان حكمها أن الحائط الغربى من الحرم ملك اسلامى بلا خلاف باعتباره جزءاً من الحرم الشريف كما أن المساحة هى وقف اسلامى بلا خلاف أيضاً .

٢ — لليهود فى الوصول إلى الحائط الغربى لأداء عبادات يهودية قبالة الحائط وعلى تلك المساحة . وفى بعض المناسبات يحق لهم جلب بعض الأدوات اعتاد اليهود استعمالها فى تضرعاتهم هناك .

صدر هذا الحكم أن بعد عادت اللجنة إلى تاريخ هذا المكان فوجدت أن المسلمين سمحوا لليهود بعد الحرب الصليبية أن يزوروا الحائط ويقولوا تضرعاتهم ، كما كانوا يفعلون فيما مضى . ولم تنقطع هذه العادة إلا فى حالات مؤقتة لأسباب قاهرة . ولكنهم كانوا يعودون إلى مزاولة هذه العبادة حالما يتيسر ذلك بالمدى المستطاع . وغضت الحكومة العثمانية النظر لعدم شعورها بخطر اليهود على المقدسات الإسلامية ، ولكن عندما اتضح الطمع اليهودى طبقت على هذا المكان شريعة الستاتيكو أى الوضع الراهن أو بقاء القديم على قدمه ، التى كانت قد وضعت للأماكن المقدسة فى القدس وبيت لحم ، لحماية حقوق الطوائف فيها والحفاظ على العرف والعادة المتبعة فى ممارسة صياناتها والتعبد فيها . وطبقت هذا النظام على البراق الشريف . وإستمر السماح لليهود بزيارة ما يسمونه المبكى وفقاً للشروط الآنف ذكرها ، فيبكون أمامه ويضربون رؤوسهم بأحجاره نحيباً على تدبير هيكلهم ، حتى أصبح الحائط يسمى المبكى .

لذلك فإن اللجنة تعتقد أن المكان موقع ديني يستعمله أتباع الديانة الموسوية . وبناء على ذلك فإن حرية السلوك إلى ذلك المكان لأجل إقامة الصلوات مضمونة لليهود بالمادة ١٣ من صك الانتداب .

ومما يلاحظ أن المبادىء المقررة فى الشرع الإسلامى والقانون العثمانى المعمول به فى الوقت الحاضر وكل ما جرى التعامل به منذ القدم وما لم يكن بحد ذاته غير قانونى، يترك على حاله حسب منطوق المادة ٦ من مجلة الأحكام العدلية . وهكذا جاء القرار مثبتاً حق المسلمين فى ملكية المكان وبحق اليهود التعبد فيه مع توسيع حق اليهود بإحضار الأدوات التى عجزوا عن تحقيقها سابقاً . وعلى كل حال فقد رضى بالتقرير كل من بريطانيا وعصبة الأمم ، مما أكسبه حق اعتباره من الوثائق الدولية . ومنذ سنة ١٩٣١ أدخل ضمن قوانين فلسطين . (انظر الملحق رقم ٤ مرسوم الحائط الغربى سنة ١٩٣١ وقد نشر كوثيقة رسمية تحت رقم س ٦٤٢٧ بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٣ .

ومع كل ذلك فإن يهود العالم ما لم يتوقفوا عند حد فبعد ثورة البراق سنة ١٩٢٩ أرسل رئيس حاخامى رومانيا ابراهام روزنباخ كتابا تاريخه ٢٠ تشرين الثانى سنة ١٩٣٠ إلى رئيس المجلس الإسلامى الأعلى الحاج أمين الحسينى يطلب فيه تسليم المسجد الأقصى لليهود، ليتمكنوا من ممارسة عبادتهم فيه . وكذلك أرسل هذا الحاخام كتاباً مماثلا إلى السكرتير العام لحكومة فلسطين .

لقد أعطى تقرير اللجنة الملكية حقا لليهود باستعمال حائط البراق ، فأخذوا يسيئون استعمال هذا الحق بالزيارات الجماعية التى أخذت تستفز شعور العرب ، ففى سنة ١٩٣٥ اغتنم اليهود فرصة ذكرى خراب الهيكل فى آب فجمعوا حشوداً جاءت من خارج القدس وسارت بشكل مظاهرات كانت تحمل السلاح تحت ملابسها. وهنا انفجرت عواطف العرب وهاجموا

هذه الجموع وأخرجوها بالقوة من القدس القديمة قبل أن يحضر البوليس البريطانى واستعد اليهود للعام القادم . وفى ذلك العام أضرب العرب أطول اضراب — فى التاريخ دام ستة أشهر (من نيسان إلى أيلول) ومنعوا اليهود من دخول المدينة القديمة . واستمر العرب متفوقين خلال السنين الثلاث التالية . .

استفاد اليهود من نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥)عندما بالغوا وهولوا فى ما أسموه المذابح النازية بين اليهود واستدروا عطف العالم الغربى للسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية ، وهنا اتضح الخطر الذى بات يهدد العرب من استمرار سيل الهجرة المتدفق، وبعد أن كان عدد المهاجرين فى أوائل الانتداب لا يزيد عن تسعة آلاف فى السنة ارتفع إلى اثنين وستين الفا سنة ١٩٣٥، وعلى هذا القياس فإن اليهود سيكونون الأكثرية خلال خمس عشرة سنة . وكان هذا دافعاً للعرب — بعد أن يئسوا من الطلب بالانصاف سلمياً إلى أن لجأوا إلى التسلح ومقاومة الخطر بالقوة ، مما أجبر بريطانيا على احضار فرقتين من جيشها لإخماد ثورة عرب فلسطين .

كان عطف تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وأمثاله من مؤيدى الصهيونية، كافياً لحمل الجندى البريطانى للتحيز نحو هذا اليهودى وتشجيعه على المواطن العربى . وزاد الطين بلة عندما ارتبطت الولايات المتحدة الأميركية بقضية فلسطين وأصبحت الثور الذى يجر عربة الصهيونية بدلا من الحصان البريطانى الذى استطاع الإفلات من هذا النير وربط غيره به . وتمادى الرئيس هارى ترومان إلى أبعد الحدود فى دعم الصهيونية .

وخطا اليهود خطوة أوسع عندما شكلوا لجانا فى كل من جنوب أفريقية وبريطانيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة للعمل على انقاذ قدس الأقداس من الاحتلال الإسلامي وإعادة بناء الهيكل فى مكان الأقصى وقامت بجمع

الأموال اللازمة لتنفيذ الفكرة حتى وصل بهم الغرور إلى تكليف عدد من أشهر مهندسيهم لوضع التصاميم ورسم المخططات لبناء الهيكل .

ولما أنس اليهود القوة فى أنفسهم وتنافس تشرشل وترومان لخدمتهم حاولوا عام ١٩٤٦ الوصول إلى ساحة الحرم للقيام بأعمال تخريبية ولكن كان العرب لهم بالمرصاد ، فردوهم على أعقابهم خاسرين ، ولقد أدى تبنى أمريكا للقضية الصهيونية إلى حمل هيئة الأمم المتحدة على أن تقرر سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين بين الطرفين العرب واليهود وعلى أن تبقى القدس وبيت لحم دولية . ولقد رفض التقسيم العرب واليهود ونشب القتال بين الطرفين المتنازعين . ولم يتوقع من كل منهما أن يكوى القدس بنيران الحرب بعكس ما فعل الترك عندما انسحبوا منها سنة ١٩١٧ وسلموها لأعدائهم الانكليز حتى يجنبوها ويلات الحرب . وأصر اليهود على أن تكون القدس عاصمتهم ، إذ لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل .

ولما أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب فى ربيع سنة ١٩٤٨ انفجرت الحرب بين العرب واليهود وحاول مجلس الأمن إلغاء قرار التقسيم وإعادة فلسطين واحدة تحت إدارة مجلس وصاية . هنا أسرع اليهود لقبول التقسيم مقابل الاعتراف بدولتهم . وهكذا أسرعت الولايات المتحدة للاعتراف بعد مضى دقائق من اعلان قيام دولة إسرائيل وتسابقت دول العالم للاعتراف بهذه الدولة التى لا تقنع بحدودها التى أعطاها لها مشروع التقسيم — وتبع ذلك أن أعلن اليهود أنهم لن يتخلوا عن القدس سواء أعطيت للعرب أو اعتبرت دوليـــة وأدخلوا إليها سبعمائة من الهاجاناه وغيرهم من العصابات المسلحة وقد رفض الملك عبد الله (رحمه الله) تدويل القدس وطلب من جيشه المتمركز فيها أن يبذلوا أرواحهم فى سبيل عروبة القدس ، فقاتلوا عن إيمان وعقيدة .

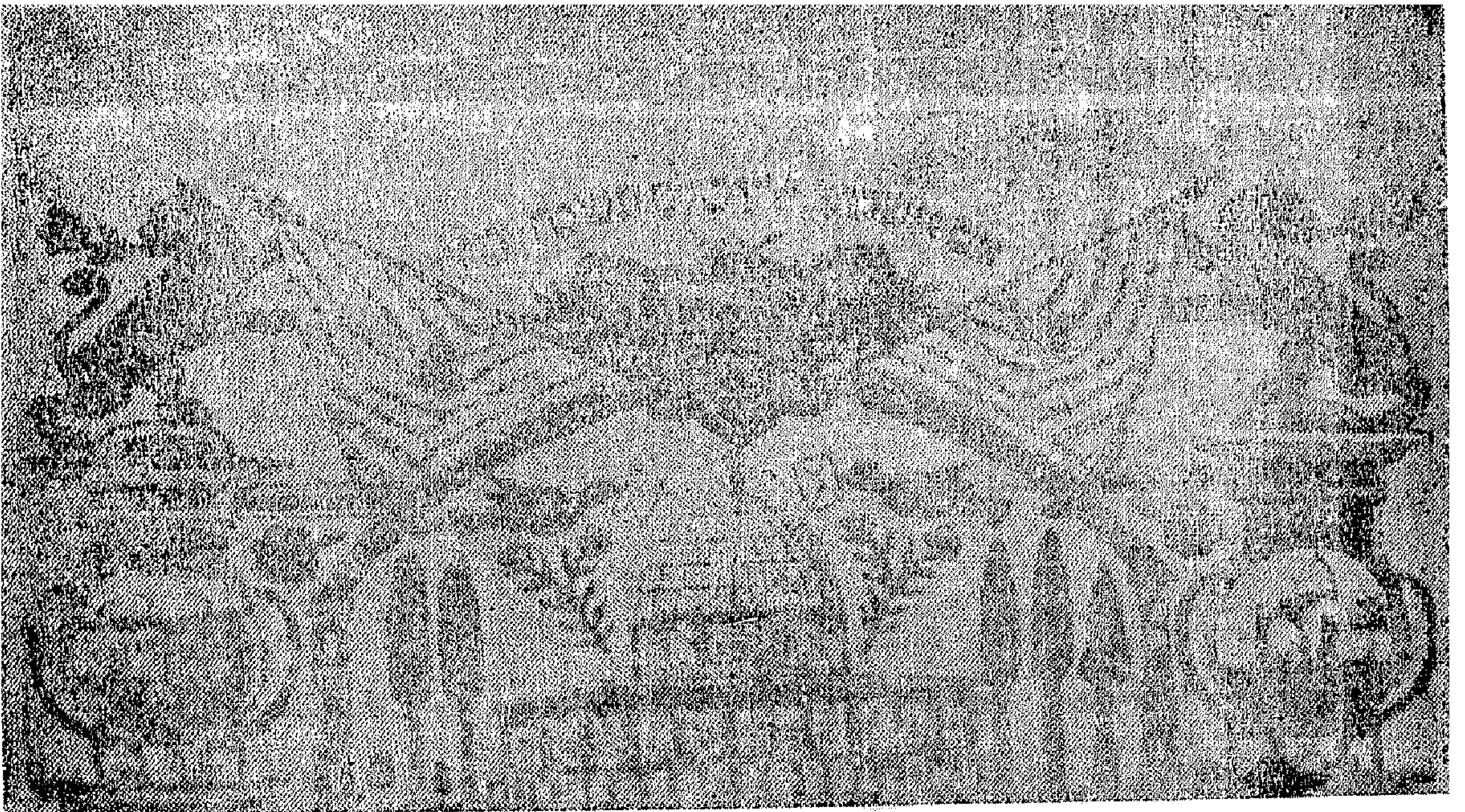
ولما انتهى الانتداب يوم الخامس عشر من أيار (مايو) عام ١٩٤٨ حاول اليهود الاستيلاء على القدس القديمة بتطويقها بقوات هائلة والهجوم عليها من الجهات الثلاث ، ولكن المناضلين العرب وجنود الجيش الأردنى صدوا الهجوم ، وكان اليهود قد سحبوا معظم المدنيين من حارتهم فى القدس وأدخلوا بدلا منهم سبع مئة من جنـــود الهاغانا ورجال العصابات الآخرين .

ولما تغلبت عليهم القوى العربيةاستسلموا .ولقد ذكرلى القائد عبد اللهالتل أنهم أسروا يوم ٤٨/٥/٢٧ عدداً كبيراً ممن كانوا فى حارة اليهود ولكنهم سلموهم بالحسنى للصليب الأحمر وساقوا الجنود الأسرى إلى عمان وكان عددهم حوالى(٣٥٠) أسيراً ظلوا فيها حتى جرى تبادل الأسرى. واكتشف بعد ذلك أن بعض محاربى اليهود اختفوا فى داخل كنيس وظهروا فجأة وأخذوا باطلاق النار . لذلك قصف الكنيس بالمدفعية حتى دمر على رؤوسهم .

استغلت الصهيونية العالمية هذا الحادث وحملت العرب مسئولية تخريب هـــذا الكنيس . وأرجو أن لا ينسى التاريخ أن البوليس البريطانى أثناء الانتداب كان قد اكتشف مستودع أسلحة فى أرضية الكنيس الكبير فى تل أبيب . وكثيراً ما كانوا يلجأون إلى معابدهم فى تخبئة الأسلحةواطلاق النار منها على العرب المسالمين .

تبع ذلك المذابح التى تعرضت لها القرى العربية من قبل المنظمات العسكرية اليهودية ، مما أدى إلى تسرب الفزع إلى قلوب العرب وحملهم على طلب النجاة بأنفسهم ، تاركين متاع الحياة خلفهم . ومن هنا نشأت مشكلة اللاجئين التى لم يكن لها سبب سوى الرعب المقصود الذى فرضه العدو على الشعب الأعزل لتفريغ الأرض من سكانها الشرعيين .

وهكذا وقبل أن ينتهى الانتداب الذى كان مفروضاً فيه حماية الأرواح والممتلكات ، فقد خلت القرى العربية التى كانت خارج القسم اليهودى بموجب تقسيم هيئة الأمم المتحدة . ولقد استطاع الصليب الأحمر اعتبار مدينة القدس القديمة كأنها مستشفى ، وبالفعل تحولت إلى مستشفى نتيجة لما جرح فيها من العرب المدنيين .



الشعار الصهيوني فوق المسجد الاقصى (الصورة) يظهر ان احراقه امس ليس الا جزءا من مخطط الصهيونية الدائم للاستيلاء على المسجد . ففي سنة ١٩٢٩ قال الزعيم الصهيوني غلوسنر « ان المسجد الاقصى في القدس يقع في مكان هيكل سليمان . وهذا المسجد ملك لنا » . واعلن الوزير البريطاني اليهودي اللورد ميلشيت في الثلاثينات « ان يوم اعادة بناء هيكل سليمان اقترب . وساصرف بقية حياتي في المسعي الى اعادة الهيكل محل المسجد الاقصى» .

حزيران الأسود(١) :

وأحدث شهادة وأشدها إيلاما كانت من رهبان وراهبات عاش معظمهم فى فلسطين المحتلة منذ أكثر من عشر سنوات ؛ فلم يروا غير حرب (النكسة)

---

(١) من إعداد شوقى البستانى فى ملحق جريدة النهار البيروتية تشرين الثانى سنة ١٩٦٧ .

وفظائعها لأنهم خلال حرب السويس لم يكونوا بعد جاءوا إلى فلسطين . وبناء على ما شاهدوا وشعروا به ألفوا كتيب (أورشليم ودم الفقراء) .

كتيب لكاهن اسمه بول غوتييه وراهبة تدعى الأخت مارى تيريز . كلاهما أسس رهبنة (رفاق يسوع) التى يعيش أفرادها بين الفقراء والتاعسين يقاسمونهم عذابهم وشقاءهم والقسم الأكبر عاش على الحدود الإسرائيلية الأردنية . بعضهم قضى كل أيامه فى إسرائيل ، وبعضهم لم يغادر الأردن . الراهبة المؤلفة قضت عشر سنوات فلما غادرتها إلا لتتفقد شؤون رهبنتها وكانت من القلائل الذين يسمح لهم بعبور بوابة مندلبوم . وهكذا الأب غوتييه الذى قضى معظم سنواته فى الأردن لا يغادرها .

وكتيب (أورشليم ودم الفقراء) فيه مذكرات يومية عن حرب ٥ حزيران للراهبة الأخت مارى تيريز ورسائل رسمية موجهة من المؤلفين وتقارير رسمية أرسلت إلى المعنيين الحكوميين . وأخيراً مقالتان عن : (أورشليم عاصمة الإنسانية) للأب غوتييه (ولكى تسود العدالة) للأخت مارى تيريز .

الأحد ٤ حزيران :

قالت الأخت : مساء الأحد ٤ حزيران نزلنا فى دير اعتدنا أن نحتفل فيه بعيد الفصح كل سنة مع الأب بول والأخ جيرار وبرناديت ومنى . وهذا العيد عيد الأمل ، أمل انبلاج نور التحرير للشعوب المستعبدة والمظلومة ، العالم الثالث الفقير والمستثمر .

الشعب الفيتنامى الذى تقصفه كل يوم أقوى قوة محاربة . . لكن عبارة (إبادة الشعوب) يجب أن تستعمل اليوم لهؤلاء اللاجئين العرب ضحية

---

(١) البوابة التى كانت تصل بين القسم العربى والقسم الإسرائيلى من القدس حتى الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧

الجميع ، كما استعملت لليهود . نحن نرفض أن نجعل الحقيقة ملك فريق دون آخر .

الإثنين ٥ حزيران :

استيقظت فى الخامسة صباحاً مع برناديت ومنى ، فودعتنا منى ومضت إلى بيت لحم . أما أنا فرحت مع برناديت ننتظر الأب بول ليأتى لنا بالإذن ، فنغادر الأردن ونعود إلى إسرائيل .

وفاجأنا الأب بول برجوعه دون استحصاله على إذن . وإذ ببعضهم يعلمنا (هجم اليهود منذ ساعة . وقعت الحرب) .

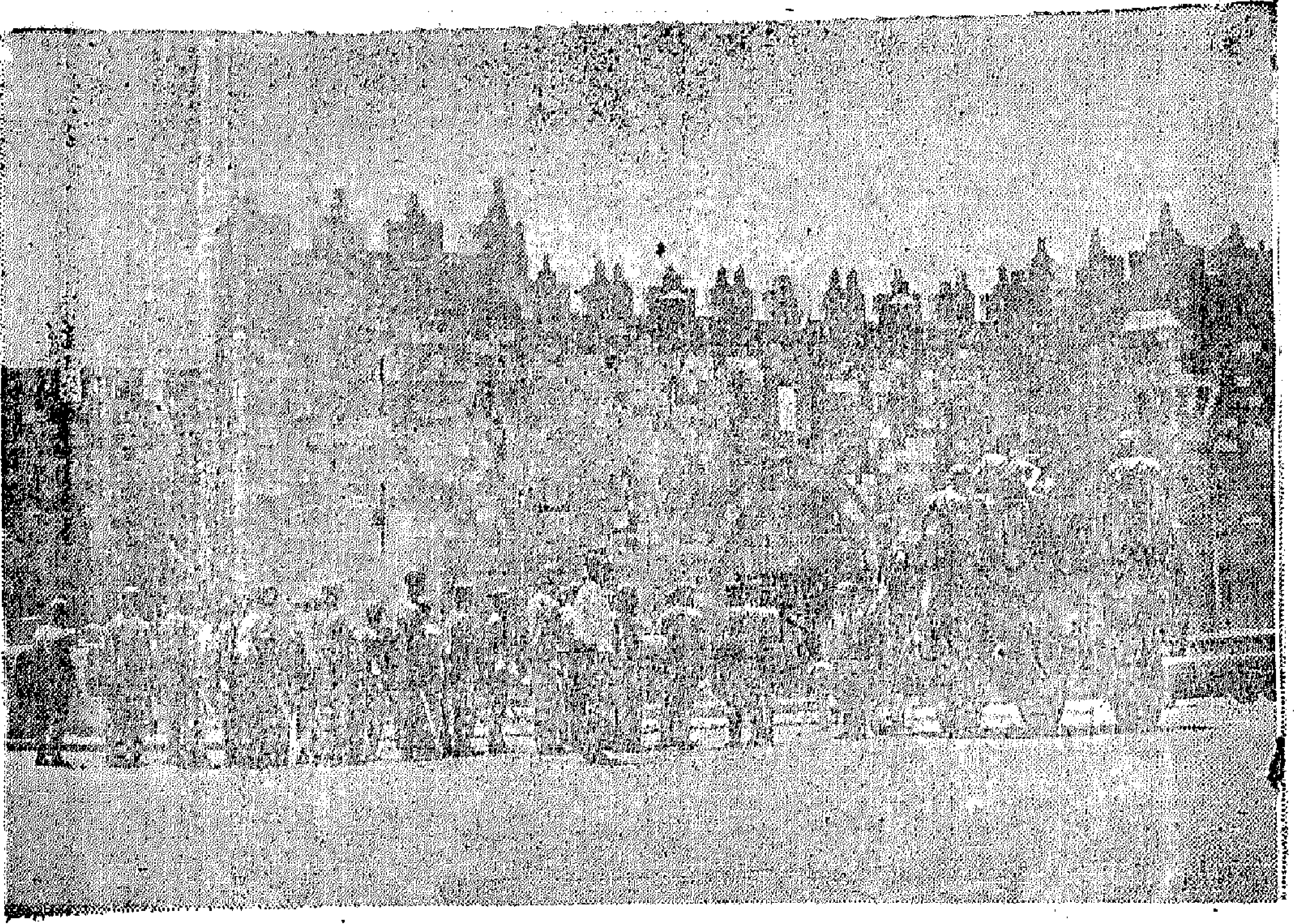
اعترانى الجزع والخوف . فكرت بترك البلاد والمضى إلى إسرائيل بواسطة طائرة من عمان عن طريق قبرص ، فلم أفلح وصممت على العودة إلى القدس حيث على أن أكون .

وبعد عذاب مرير تحت الرصاص وصوت المدافع وصلنا إلى الدير فى القدس بغية وضع أمتعتنا فيه واللحاق بجيرار إلى الأخوية . فرأيناه يقيم القداس فيما الرصاص والقنابل تهدر . وكانت الترانيم تتخللها تقاسيم رصاص وطائرات وقنابل .

ليلتى الأولى لم أنم . استفقنا فى الثالثة صباحا ولجأنا إلى الطبقة الأرضية . وقبل طلوع الفجر وصل الجريح الأول . كانت الراهبات حولن ديرهن إلى مركز إسعاف مرتبط بمستشفى قريب جداً منهن . كان الجريح شاباً فى العشرين ، فلم نلحق به ولم يتمكن الأب بول إلا من إقفال عينيه .

وكرت المسبحة ، وامتلأت الدار وبهو الاستقبال بجرحى مدنيين وعسكريين . وحميت المعركة شيئا فشيئا ، فقرر الأب بول عزل العسكريين

من سلاحهم . المعركة تدور رحاها قرب جبل الزيتون . رأيت طائرتين إسرائيليتين تحومان فوقنا ثم تهبطان بسرعة البرق على بيت لحم .



(١٦) صورة العدو الاسرائيلي يحشد قواته في باب العمود ليصد هجوم العرب

الأربعاء ٧ حزيران :

جلست بجوار كهل جريح أضمد جراحه وأواسيه . وإذا بي أتساءل فجأة هل علي أن أبقى في هذا المكان ؟ فقررت الانتقال إلى زاوية في الغرفة مع جريحي . وبعد برهة اهتز الدير بعنف لا يتصوره عقل بشرى ، فوقعت أرضاً وزحفت . قنبلة وقعت وسقطت ولله الحمد ، في خزان المياه .

اقتحم اليهود أبواب المدينة واندلعت حرب الشوارع . نزلت لأمد يد المساعدة لراهبة كانت تحاول وضع عـــلم أبيض وإشارة الصليب الأحمر .

فوجئت برجل مسود اللون حاملا طفلة بين يديه مبتورة الركبة ، وقد نتأت منها عظمة بيضاء لماعة . صرت أرتجف ولم أعد أطيق المنظر ، فكاد يغمى على .

ما أصعبه مشهداً وما آلمه ... وكنت أرى فيه هؤلاء الذين هدمت القنابل منازلهم يركضون صارخين . . . مساكين الأولاد يهرولون خلف أهاليهم قدر مستطاعهم . لجأ حوالى مئة شخص إلى الدير . فأمرهم الأب بول برمى أسلحتهم كلها : تقدم شخص واحد ليعطيه سكيناً صغيرة لا تصلح لتقشير الليمون .

ازداد الرصاص حولنا وإذ بنا ، وأنا مع الأب بول والطبيبين والمساعد — واقفون على المدخل مباشرة نسمع كلمات عبرية . (غيفريت كاديما) ، (تقدمى يا سيدتى) كانت كلمة السر التى يتناقلونها . ودخلوا الدير من المستشفى . كانوا إثنين من اليهود مسلحين يمشيان بحذر ، فلم يدخلا غرفتنا .

.. عندها قام الوالد ذو الإبنة المبتورة الركبة بالطلب من الأب بول ليجلب أولاده الخمسة الباقين تحت حطام منزله قبل أن يموتوا ، فاستدعى الأب بول ثلاثة مساعدين ولحقوا به بالحمالة وبقيت أنا وحدى ، فجأة وقفت سيارة جيب وخرج منها أربعة مسلحين اسرائيليين وصعدوا إلينا فاستبقتهم وخرجت رافعة يدى ، وقفوا . وقلت بالعبرية : هنا مستشفى ودير . أفهمتم فضحك أحدهم بسخرية وقال : أين تعلمت العبرية ؟ فلم أجبه . ورجعوا أدراجهم .

وعاد الأب بول مع ثلاثة أطفال على المحملة وهم بحالة النزاع ، بعدما وجد الحى الاسلامى وقد دمرته الطائرات الإسرائيلية . فلم يستطع والد الأطفال إلا رؤية الأم وأولادها الخمسة وهم ممزقون بقنبلة تمزيقاً شنيعاً —

وكان ثلاثة من أولاد الجيران ما زالوا يحتضرون ، فنقلوا إلى الدير .

بدأت أنزعج من الاسرائيليين . لست أدرى لم كان يتعمد كل جندى سؤالى عن هويتى ، كلما مررت حاملة الأطفال الجرحى والأموات . كانت رائحة تنبعث بقوة من محل ماء ، وما عدنا نستطيع شمها ، فتحت باباً كنت أمر قربه وإذ بى أتراجع صارخة : تلال الأموات من الأطفال وغيرهم تنبعث الرائحة من أجسادهم . فأقفلت الباب وجلست متعبة ومنهوكة الأعصاب والقوى .

أتى جندى ليدخل الدير فمنعته قائلة : هذا مستشفى ؟ ادخل وانظر عملكم الانسانى . تعال فترى ما يعجبك . فأجابنى : هم أرادوا الحرب فليأخذوها . ففتحت غرفة الأحداث وقلت : الأطفال هم الذين أرادوها ؟ أليس كذلك ؟

كانت الطائرات الاسرائيلية قد ضربت الأحياء الفقيرة فى القدس قرب باب الزاهرة . وحافظوا على حجارة الأماكن المقدسة أكثر منهم على أولاد باب حطة . ولكنهم هدموا كنيسة القديسة حنة .

وازددنا حماسة وسرعة فى نقل الجرحى . وبينما أنا راجعة إلى المستشفى إذ بى أرى ولداً متجهاً نحو دورية اسرائيلية رافعاً يديه فصرخت به الدورية باللغة العربية : عد من حيث أتيت . عد . عد . وتابع سيره فركضت نحوه . كان حافياً وقد اخترقت قدميه قطع زجاج . سألته من أين أتيت ؟ فأجاب : أين والدتى ؟ أين والدتى : وصار يصرخ هى أين ؟ عرفت أنه جن من فرط خوفه . فأخذته إلى المستشفى وما أن وصلنا حتى رأى مطرقة الباب التى لها شكل اليد والأصابع فتعلق بها وطفق يصرخ : يد الله ... يد الله ... إنها يد الله .



(٢٠) صورة المرأة العربية تتحدى قوى الاحتلال الصهيوني

عدت إلى الجرحى فرأيت الأب بول وجيرار وهما ينقلان على عربة شخصاً . فكشفت عليه . وإذ بي أجد امرأة صبية شاحبة اللون ميتة وجررت العربة معهما إلى المستشفى . فلاحظت أن ثقلها غير طبيعي في ظني أنها فارغة فصرخت عند عثوري على خمس جثث لأطفال ، منهم طفل لا يتعدى خمسة عشر يوماً من العمر . أولاد تلك المرأة . حملناهم ووضعناهم قرب والدتهم . بقي في العربة حذاء أحمر ، كحذاء اللعبة للطفل الصغير فأخذه الأب بول ووضعه في جيبه .

عدت إلى الدير وقد سجا الليل وكنت منهوكة ، لم أستطع التفكير بأكل أو بشرب . رفضت كل ما قدم لي . ونزلت إلى الكنيسة وبكيت .

الجمعة ٩ حزيران :

لم يعد لدينا ماء لغسل الأطفال وإروائهم ، صراخهم يملأ الدير . لم يعد لدينا خبز لاطعامهم وتأمين مأكلنا نحن . الاسرائيليون يمنعوننا من الخروج للتبضع . رائحة الموتى تخنقنا فاضطررنا إلى وضع الأقنعة . لا سيارة لدينا تنقل الموتى والجرحى والمرضى . أصبحنا ندور في أنحاء الدير ، نمر فوق الجثث ، نغرق في الدماء إلى كواحلنا ولا سيارة إسعاف لدينا ، ولا ماء ، ولا مأكل ، توسلنا (الفاتحين) واستعطفناهم ، ولا مجيب .

غلبنا على أمرنا وصرنا ننقل الموتى واحداً واحداً لندفنهم . مرة تفككت الجثة في أيدينا ولم يبق منها سوى اليد أو الكف أو الكتف أو الرجل . أما أنا فحملت مع ثلاثة مساعدين الأم وأطفالها الخمسة الذين أبى الموت أن يفرقهم . كنا نتقدم نحو المقبرة الاسلامية عندما مرت السلطات الاسرائيلية : دايان والقلوسة السوداء على رأسه برفقة ليفي أشكول .

علا تصفيق اليهود . ولدى مرورهم كشفت عن الجثث الست ، ورأتها



(٢١) صورة أقسم رجال الدين على رفض الإحتلال الصهيونى

بعض النسوة نخفمن وصرخن . ولم يعد أحد يأبه للموكب . حتى أن جندياً رأى المشهد فأغمض عينيه بيده وابتعد مشمئزاً . فجأة قفز جندى اسرائيلى شاب مهدداً برشاشه قائلا : أخفى المنظر ، قلت لك اخفيه . فنزلت عند رغبته ، لا احتراماً ، له بل للموتى وتلك الوجوه التى ذكرتنى بفظائع حرب سنة ١٩٤٠ .

وفى المقبرة رجل يدفن زوجته . أحد الأطفال الذى كنت أضعه فى الحفرة انفصل رأسه عن جسده وتلوث لباسى دماً طاهراً . على باب المقبرة كانت بعض الفتيات الاسرائيليات وهن يحملن مسدسات ينظرن إلى ويضحكن ضحكات الفاجرات ، وقد أسكرهن النصر . أى نصر ؟

وأحدهم يتقدم من الأب بول فيحييه ، لم يتعرف إليه المحترم فقال هو له : أنا صديقك ب . من حيفا ألم تعـــرفنى ؟ لا لم أتعرف إليك فأنت متعب وتغيرت ملامحك . لا يا محترم أنا مشمئز وقرفت من هؤلاء الطياح اليهود الذين نهبوا وسرقوا . وفى منطقة ج ، رأيت جنودنا يقاتلون امرأتين ليسرقوا جواهرهما ، لدى الكثير لأخبرك ، على الآن الذهاب مع هؤلاء ، وبينما هو سائر إلى سيارته عاجله أحدهم بقوله : ماذا ؟ ألم يرحل العرب بعد من هنا ؟

نزلت إلى بيت لحم فى سيارة يقودها ابن أحد كبار الزعماء السياسيين الإسرائيليين ، وقد سرقها من مستشفى أردنى . أوقفنا أمام محل عائد لعربى وكان اليهود ينهبونه . الفتيات اليهوديات يخرجن منه يتأبطن أغراضاً منزلية عديدة .

ترجل الأب بول واحتج لدى حاخام الجيش ، فأمر بإقفال المحل ، بعدما نهب .

فى بيت لحم الناس فى ذهول . الدبابات الإسرائيلية وقد أحاطت بالكاتدرائية ، والسيارات العسكرية تجوب الشوارع وتذيع للعرب بالعربية (لديكم ساعاتان لمغادرة منازلكم والهرب نحو عمان وأريحا وإلا سندمر بيوتكم) صممنا على أن نضع تقريراً للسلطات الإسرائيلية المسئولة . وفى القدس شبح الجوع يخيم .

عدنا إلى مكان سبق لنا أن رأينا فيه جثة امرأة عربية لندفنها. وجدناها وهى تحمل فى يديها رغيفى خبز ذهبت تشتريهما تحت الرصاص لتطعم أولادها ربما . دفناها فى حفرة مع خبزها . رجلان مسلمان أتيا لمساعدتنا فدفنت المرأة على ترداد الأذان :— الله أكبر ، الله أكبر ، — وركعنا نصلى معهما. ودعانا بقبلة المحبة وذهبنا .

الاثنين ١٢ ، الثلاثاء ١٣ ، الأربعاء ١٤ حزيران :

تصرف اليهود أصبح مزعجاً ،لايطاق . لامجال للتحدث عن اتفاق جنيف ولا غيره . الجوع رهيب ، لدهشتنا نرى جرحى من جراء قنابل النابالم التى انتقدت إسرائيل استعمالهـا فى فيتنام . منع التجول الشامل . موجة الجيش اليهودى الثانية مؤلفة على ما بدا لنا من طياح ونهابين وسراقين. أما الثالث فأخطر : طلائعها كانت تنفذ تعليمات الهدم الكامل للمدن العربية .

فى القدس طردت أربعون عائلة عربية دون أن تدرى أو تعلم إلى أين تمضى؟ماهو المستقبل ياترى ؟ ربحت إسرائيل الحرب . فهل تخسر السلم.

عدنا لنضع تقريراً . قدمناه فى اليوم التالى إلى الجنرال رابين قائد الجيش الأعلى . فوعدنا خيراً وأكد لنا أنه لايملك زمام الوضع بيديه .

الأيام التالية لم تتح لى النوم . فالضيق أطبق على صدرى والغصة تخنقنى.



(٢٢) صورة سيدات القدس يضعن أكاليل الزهر على قبور الشهداء

أحلم دائماً أنني أحمل بيدى الطفل المذبوح والذى انفصل رأسه عن جسده لما حملته . أفيق ليلا على مناظر مزعجة فاهتف : ماذنبي أنا حتى أتعذب ؟

السبت أول تموز :

قررنا الذهاب إلى قلقيلية . دخلناها رغم اشارات مانعة . المنازل الأولى كانت ممسوحة مسحاً والأهالى عادوا ليناموا تحت الدمار . لاماء ولا أكل قال لنا مختار البلدة : اليهود أتوا يوم الخميس ونفذوا أوامر بازالة البلدة بأكملها أمام البلدية التى وحدها لم تهدم ، وقف الناس بالصفوف الطويلة ليشتروا بعض الخبز . وفى هذه الأثناء كانت (إذاعة إسرائيل) تذيع أكاذيب عن أن أهالى قلقيلية رجعوا إليها وأن المساعدة تقدم إلى أصحاب المنازل المهدومة والحياة عادت إلى مجاريها .

الأحد ٢ تموز :

تجمع حول حائط المبكى . حوله حى بكامله ، يحتوى على ٤٠٠ منزل هدمه اليهود وأزالوه . صلاة وسكوت وتعبد أمام الحجارة . منذ رأيت الأطفال يموتون تحت القنابل لم أعد آبه للحجارة فى أورشليم ، حتى حجارة القبر المقدس ، حجارة حائط المبكى ، وحجارة الجوامع كلها ماعادت تعنى بالنسبة إلى شيئاً ، أمام عذاب صغار الأرض ، يهوداً كانوا أم مسلمين أم مسيحيين بوذيين أم شيوعيين ، بيضاً كانوا أم سوداً ، من الجنس الأصفر أو غيره من الألوان .

الصليب الأحمر أعلمنا أنه لم يسمح له بعدمساعدة المنكوبين.لم يرمندوبوه ماحصل فى قلقيلية واللطرون .

الثلاثاء ٤ تموز :

لن نتحرك بعد الآن . نريد الصلاة والتفكير والكتابة . ثلاثة أساتذة

أتوا انا مندوبين عن الأونسكو ، الأول يهودى والثانى مسيحى مؤمن والثالث ماركسى ، انتدبتهم الأونسكو لوضع دراسة عن المشكلة . المشكلة صعبة بالنسبة إلينا نحن الأوربيين . نحاول أن نوضح المسألة لنرى أين هى الحقيقه فى المشكلة العربية الإسرائيلية .

حدثناهم طويلا عما نعرف وعما رأينا خلال الأيام الماضية . ورجعنا عشر سنين إلى الوراء ، تاريخ وصولنا إلى هـــذه المنطقة . بحثنا فى أساس المشكلة بغية إيجاد الحل الصحيح ، فاللاجئون الذين كانوا أول الأمر يهوداً ضحية الحركات المعادية للسامية — خلال الحرب — أضحوا اليوم عربا ضحية الاستعمار المالى العالمى والخوف الأكبر من أن تصبح إسرائيل على الأمد الطويل تطالب باسم شعب، بمكاسب أرضية لمصلحة نخبة مختارة . لكن من هم الرجال ذوو القلوب القوية والمتحررة تحمل وطأة الحقيقة ؟ انتهى كلام الراهبة.

انتهى القتال بين العرب واليهود بفرض هدنة بين الطرفين وقسمت القدس بينهما ، فكان نصيب العرب المدينة القديمة داخل الأسوار بما فيها المقدسات. والأحياء العربية فى الشمال والشرق .

ولكن اليهود أخذوا يتحينون الفرص المناسبة للاستيلاء على القدس العربية وقد تحقق لهم ذلك فى حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ الذى قاست القدس فيه من فظائع الصهيونية ما سبق وصفه .

ولما وصل وزير الدفاع الإسرائيلى إلى المبكى فى السابع من حزيران أعاد الصيحة الصهيونية بقوله « الحائط لنا » وبعد أيام قرأت لوحة كتبت على الجدار أنه بيت كنيست أى أصبح معبداً . وهكذا أدخلت القدس كلها تحت الحكم الإسرائيلى وفى الرابع من تموز ناشدت هيئة الأمم حكومة إسرائيل أن لا تحدث أي تغيير في القدس يغاير نظام بقاء القديم على قدمه .

وكان التصويت ٩٩ ٪ ولكن إسرائيل تجاهلت كل ذلك واستمرت فى خطواتها لتوحيد قسمى القدس متجاهلة اجماع الأصوات (حتى صوت أميركا) الذى لم يكن مع إسرائيل — كما لم يكن مع العرب ومتجاهلة مقررات الهيئة العامة ومجلس الأمن العام . وقد أعيدت ذات المقررات فى ٢١ أيار سنة ١٩٦٨ .

وهكذا فرضت إسرائيل بقوة السلاح سيطرتها على المقدسات الإسلامية المسيحية وأذاعت وسائل الاعلام أن القرار السابق المعترف للمسلمين بملكية الحائط الغربى ، فوق ما للمسلمين من مقدسات فى المدينة وكذلك للمسيحيين ، يبقى اليهود وحدهم ولا معابد لهم فيها ، وكان اندفاع حاخام الجيش نحو الحرم وإقامة صلاة يهودية ليس فى المبكى بل فى داخل ساحة الحرم .

إحراق الأقصى :

يردد اليهود دائما قول زعمائهم « لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل » لقد ضموا القدس إلى دولتهم اسرائيل . وبقى أن يقيموا الهيكل فى مكانه القديم .

يدعى اليهود أن جميع منطقة الحرم التى تشغل سدس مساحة المدينة القديمة الواقعة ضمن الأسوار هى ما يسمونه جبل البيت وأنه ليس للمسلمين هناك سوى قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، مع أنهما مقامان على مكان الهيكل القديم .

إن احتلال اسرائيل للجزء الأردنى من القدس أتاح لهم الصلاة بجوار حائط المبكى الذى يشكل البقية الباقية من الهيكل كما يزعمون . وأخذوا يستعيدون ما قاله موسى بن ميمون الذى عاش فى القرون الوسطى أن كل



(٢٣) صورة اللهب يتصاعد من المسجد الأقصى عندما أحرقه اليهود
يوم ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩

جيل جديد من اليهود مفروض عليه أن يعيد بناء الهيكل إذا كان قد استولى على موقعه .

أما العقبة الكبرى فى إعادة بناء الهيكل فهى وجود هذه الأبنية الاسلامية فى الحرم . ولما سئل المؤرخ اليهودى « إسرائيل إلداد » ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة فى حالة الإقدام على بناء الهيكل ؟ أجاب قائلا : من يدرى فلعل زلزالا يقع فيدمر مسجد المسلمين .

فى السابع من حزيران سنة ١٩٦٧ كان حاخام القوات المسلحة شلوموغورين أول من وصل إلى حائط المبكى . وبعد أن نفخ بالبوق وجه رسالة إلى القوات المسلحة قال فيها : أخاطبكم من حائط المبكى آخر أثر لهيكلنا . هذا هو اليوم الذى طالما تقنا إليه . . دعونا نفرح ونبتهج . وفى مطلع آب من تلك السنة وجه دعوة إلى المؤمنين الإسرائيليين لكى يحضروا إلى مدينة القدس ويقيموا الصلاة فى صحن الحرم الشريف .

جاء فى جريدة هاأراتس اليهودية الصادرة بتاريخ ٦/١٠/١٩٦٨ — أن فريقاً مكوناً من ١٦ جندياً ، غالبيتهم من رجال الحاخامية الإسرائيلية العسكرية — وعلى رأسهم ضابط هو مدير مكتب الحاخام شلوموغورين — أقاموا الصلوات فى يوم عيد الغفران على جبل البيت (ساحة الحرم) وقالوا أنها أول صلاة منذ ألفى سنة .

أصدر الحاخام الأكبر فى إسرائيل نداء صباح يوم ٢٢ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٩ طالب فيه المحافظة على أحكام الحداد العام فى ٩ آب (أغسطس) وهو يوم خراب الهيكل . ودعا فيه اليهود إلى التوجه إلى القدس القديمة ومواصلة قراءة تهاليل التاسع من آب التى تعيد إلى الأذهان خراب المدينة والبيت المقدس وبالوقوف أمام حائط المبكى . يجب الاحتفاظ بهذا اليوم رغم وجود الهيكل بأيدى أعداء اليهود . . وعلى أرضه ما زالت هذه الآثار باقية . وأشار بيده إلى المسجد

الأقصى . وأكد الحاخام ضرورة الاحتفاظ بأحكام الحداد ومتابعة التقاليد المتبعة منذ أيام موسى إلى خراب الهيكل ، إلى أن يتمكنوا من إعادة بناء الهيكل هذا . وأشار بيده إلى المسجد الأقصى ، يجب أن نستمر على الصوم والتهاليل حتى نسترجع الهيكل من أعدائنا ونعيد بناءه . ولن نمتنع عن ذلك حتى نسمع نغمات أطفال اليهود فى أزقة المدينة القديمة وأغانى السبت من خلال نوافذ البيوت . ونؤدى الصلاة فى هيكل سليمان الذى يجب أن نعيد بناءه .

وبعد ١١ يوماً من ذكرى التاسع من آب أقدم شاب يدعى روهان على إحراق المسجد الأقصى . وقد اشتعلت النار فى الجناح الجنوبى الشرقى من المسجد الأقصى فى الأعالى . وشب حريق ثان فى المنبر الأثرى الذى لا مثيل له . كان ذلك فى صباح ٢١ من شهر آب سنة ١٩٦٩ وأثبتت كل الدلائل على أنه من صنع إسرائيلى ولم تسمح السلطات الإسرائيلية لوكالة الأنباء بإذاعة خبر الحريق إلا بعد ساعة وثلث الساعة من نشوبه. وقالت الأنباء أن أعمدة الدخان قد ارتفعت مئات الأقدام فوق مدينة القدس . نتيجة لهذا الحريق . وكانت تشاهد من مسافات طويلة . ونتج عن ذلك حرق معظم السجاد . كما حرق معظم الخشب الموجود فى السقف.وأدى الحريق إلى انصهار الرصاص الذى يغطى القبة ، ولم ينقذ باقى المسجد من الدمار غير سكان القدس الذين أقاموا من أنفسهم جداراً بشرياً فى محاولة حصر النار وعاونتهم إطفائيتا الخليل ورام الله . وفى أثناء الحريق كانت سلطات الاحتلال تقف موقف المتفرج . ولقد اشترك فى عملية الإطفاء مئات من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ . وكانوا يطلقون صيحات التكبير والاستغاثة والعويل والبكاء فى الوقت الذى كان فيه الإسرائيليون يطلقون الزغاريد ويدقون الطبول فى ساحة المبكى.ووقف الألوف منهم على السور يتفرجون على الحريق.وبنفس الوقت قامت بعض طائرات الهليوكبتر بالتحليق فوق المسجد والتقاط الصور

للهب المتصاعد من الحريق ، كما قامت سلطات العدو بقطع الماء عن الحرم أثناء الحريق — الأمر الذى أجبر المواطنين العرب أن يقوموا بنشل الماء من الآبار . وقد ألقى حراس المسجد الأقصى القبض على أحد اليهود عندما اندلعت النار أثناء خروجه من الحرم ، وتمكنوا من خلع بعض ملابسه الخارجية وقد ساعده جنود إسرائيل على الافلات، وفرضت سلطات إسرائيل نظام منع التجول فى القدس العربية وحاصرت قوات الأمن مداخل المدينة لمنع تدفق عرب الضفة الغربية. وأطلقت قوات الأمن النار فى الهواء لتفريق الجماهير التى كانت تحمل الآيات القرآنية التى أنقذت من الحريق. وكانت النساء تدعو الرجال للقتال .

وقدم روهان المسيحى الاسترالى إلى المحاكمة الصورية التى قررت بأنه مصاب فى عقله وأنه قام بجريمته مدفوعاً بعاطفة دينية شخصية .

الصدام بين العرب واليهود فى الحرم(١) :

أوردت وكالة أنباء عيتم الاسرائيلية تفاصيل عن الصدام الذى وقع بين شباب من العرب وعدد كبير من اليهود فى ساحة الحرم الشريف بالقدس . فقال مراسل الوكالة بالحرف الواحد :

إن مجموعة من طلاب الجامعة العبرية من أعضاء حزب جاحال وفروعه هوجموا من قبل جماعة من العرب فى المدينة القديمة ، بعد أن أحبط الشباب العرب محاولتهم لاقامة صلاة فى الحرم . ولقد أصيب خلال الاشتباك شاب يهودى وامرأة عربية بجروح طفيفة لم تستلزم إدخالهما المستشفى ، بل نقلا ومعهما عدد آخر من المشاغبين المتشاجرين إلى مركز الشرطة فى القشلاق للتحقيق معهم. كما اعتقل فى جملة الذين اعتقلوا الشابان العربيان اللذان تعرضا

(١) الدفاع ١٥/٣/١٩٧١

لليهود الذين حاولوا إقامة الصلاة . وذكرت عيتم أن جرشون سلومون عضو إدارة بلدية القدس عن كتلة جاحال كان بين الراغبين فى إقامة الصلاة فى الحرم وفوق الصخرة . وقد صرح لمراسل الوكالة قائلا : نعم كنت ضمن القادمين للصلاة وقد حضرت العراك الذى حدث . وقال إنا نطالب باثبات استقلال حرية التعبد لليهود فى قلب (البيت) وخصوصاً فى ذكرى تتويج الملكة استير.

وقال إن فى استطاعتنا التغلب على الشباب العرب . ولكن الشرطة تدخلت ومنعتنا من إقامة الصلاة ، مما جعل اليهود يثورون حماسة وغضباً ويهتفون وهم ينشدون نشيد الهاتكفا (النشيد القومى الاسرائيلى) ولقد قمنا بتسجيل هذه الهتافات المعبرة عن مطالب اليهود وإليك فاسمعها : لا تستعملوا أيديكم ضد الشرطة . إن الشرطة ليست الهدف . اضربوا هؤلاء الكلاب العرب واطردوهم من أرض البيت الذى هدموه . . هذه الأرض هى أرض إسرائيل وها نحن قد عدنا من الغربة إليها وعادت لنا .

تهويد القدس

احتلت إسرائيل الجزء العربي من مدينة القدس فى ٧ حزيران سنة ١٩٦٧ بعد انسحاب القوات الأردنية وعرضت المدينة لأعمال القتل والاعتقال والتدمير والنهب ، مما أدى إلى نزوح حوالى خمسة آلاف من المدنيين معظمهم من اللاجئين سابقاً (١) .

وكان الاجراء الثانى لتسهيل عملية التهويد سلسلة من أعمال الهدم والنسف لأملاك عربية داخل السور وخارجه بدأت فى ١١/٦/١٩٦٧ أى بعد إلا الاحتلال بأربعة أيام فقط . وفى أقل من أسبوع أزيل من الوجود العربى ١٣٥ داراً فى حى المغاربة يسكنها ٦٥٠ شخصياً ومسجدان فى ذات الحى ومصنع للبلاستيك .قرب حى الأرمن ، كان يعمل فيه مئتاً عامل وعاملة يضاف إلى ذلك ما يقارب مئتى منزل ومخز فى المناطق الحرام ، كما نسف الجيش الإسرائيلى ٢٤ دار بحجة الانتقام من أعمال المقاومة ، يضاف إلى ذلك ١٤ داراً أزيلت بحجة توسيع وكشف امتداد الحائط الغربى للحرم الشريف الذى يسمونه المبكى . وكان من نتيجة عمليات الهدم والنسف تشريد مايقارب ألف شخص آخرين من سكان القدس .

ضم القدس :

فى ٢٧/٦/١٩٦٧ أصدر البرلمان الإسرائيلى قراراً على شكل إضافة فقرة إلى قانون إسرائيلى اسمه (قانون الادارة والنظام لسنة ١٩٤٨ وقد خولت تلك الفقرة حكومة إسرائيل ضم القدس إلى أرض إسرائيل) .

---

(١) تهويد القدس — السيد روحى الخطيب — أمين القدس

وفى ثانى يوم أصدر سكرتير حكومة اسرائيل أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧ . أعلن فيه أن مساحة أرض اسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر هى خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الاسرائيلية ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس التى تقع تحت الحكم الادارى العربى . وهى تقع ما بين المطار وقرية قلنديه شمالا وحدود الهدنة غرباً وقرى صور باهر وبيت صفافا جنوباً ، وقرى الطور والعيسوية وعناتا والرام شرقا . ويقطنها حوالى مئة ألف من السكان العرب .

وفى ثالث يوم أصدر جيش الدفاع الإسرائيلى أمراً يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربى المنتخب من سكان القدس وبطرد أمين القدس السيد روحى الخطيب من عمله وبالحاق موظفى وعمال أمانة القدس ببلدية القسم المحتل من المدينة .

وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة ، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية وأثاثها وأجهزتها وسجلاتها وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الاسرائيلية ثم ألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الاسرائيلية وفرضت بالقوة جهازاً عسكرياً إسرائيلياً وأخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروته . (انظر ملحق ٥ وملحق ٦) .

اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الاجراءات وأوصلوا شكاواهم إلى هيئة الأمم فأصدرت الهيئة قرارات بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ و١٩٦٧/٧/١٤ اعتبرت بموجبها جميع اجراءات إسرائيل باطلة وطالبتها بالغائها والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير الوضع فى القدس . (ملحق ٧ — تغيير الحالة فى القدس) .

قانون أموال الغائبين :

بعد اجراء الاحصاء سارعت سلطات إسرائيل المحتلة إلى تطبيق قانون أموال الغائبين على جميع أموال الغائبين العرب عن القسم المحتل الجديد ، وفتحت مكاتب حكومية لها بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التى تخص أولئك الغائبين . وبموجب هذه العملية الجديدة وضعت سلطات إسرائيل يدها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من أراضى وأملاك، كما حجزت ماوصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم شركات تخص أولئك الغائبين . وتحول كل ذلك إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل .

تهويد التعليم :

سارعت سلطات الاحتلال بوضع أيديها على جميع المدارس الحكومية ومكاتب مديرية التربية والتعليم فى المدينة وأعلنت عن اخضاعها التعليم فى جميع المدارس الحكومية لبرامج التعليم التى تطبقها على المدارس العربية فى المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . كما أعلنت إلغاء برامج التعليم الأردنية وإلغاء جميع الكتب المدرسية وطلبت من مدير التعليم الأردنى وموظفى مكتبه وجميع مديرى ومديرات مدارس القدس الأردنية العربية الالتحاق بأجهزة التعليم الخاضعة لوزارة التربية والتعليم الإسرائيلية .

وقد رفض مدير التربية والتعليم ومساعدوه وجميع موظفى مكتبه والجهاز التعليمى مبدئياً التعاون . كما رفضوا الانضمام إلى أجهزة السلطات المحتلة، رغم الاغراءات المالية التى عرضت عليهم . وكانت حجتهم فى ذلك أنهم يرون فى تنفيذ وتطبيق برامج التعليم الإسرائيلية التفسير بقبولهم عملية ضم القدس لإسرائيل . وكان رد سلطات الاحتلال على هذا الموقف اعتقال المدير ومساعديه وسجن كل منهم ثلاثة أشهر .

عزل القدس :

ولأحكام عمليتي الضم والتهويد أقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي منذ الأيام الأولى لهذا الاحتلال عدداً من مراكز الحدود العسكرية والبوليسية والجمركية على الطرق والمنافذ التي تربط بين القدس والمدن والقرى العربية اللاصقة لها واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى يقتضى الدخول اليها والخروج منها إلى بتصريح عسكرى .

تهويد الاقتصاد العربى :

أغلقت إسرائيل البنوك العربية التى كانت فى المدينة وصادرت أموالها واستبدلت العملة الأردنية بالعملة الاسرائيلية ومنعت ادخال أى إنتاج زراعى أو صناعى عربى إلى القدس الا برسوم جمركية وأباحت أسواقها للإنتاج الاسرائيلى وادى هذا الترتيب التعسفى إلى سوء الحالة الاقتصادية لدى سكانها .

هويات إسرائيلية :

فى ١٩٦٧/٧/٢٥ قامت سلطات إسرائيل باجراء إحصاء عام لسكان القدس — سجلت خلاله جميع الموجودين فيها من مواطنين وأجبرتهم خلال ثلاثة أشهر على الحصول على بطاقات هوية إسرائيلية (وهـــذه الهويات لاتفرض على حاملها الجنسية الاسرائيلية) واعتبرت غير الموجودين منهم أثناء الاحصاء غائبين ومنعتهم من حق الرجوع والسكن فى المدينة . ويقدر هؤلاء مع عائلتهم بما لايقل عن مئة ألف عربى . وقد قضت عملية التهويد والاحتلال والاحصاء بالغاء حقهم الدولى فى الانتساب للقدس ، بينما منح هذا الحق لكل يهودى فى العالم .

وكان فى القدس أثناء الاحتلال ثلاثون مدرسة للذكور والاناث و ١٤ مدرسة طائفية وأهلية ، يدرس فيها حوالى خمسة عشر ألف طالب وطالبة .

فتحت المدارس الحكومية بالقوة والتحق بها بعض المعلمين والمعلمات وامتنع كثيرون . ولقد تحول عدد كبير من طلاب المدارس الحكومية إلى المدارس الأهلية التى لاتجبر على تطبيق المنهج الإسرائيلى ، وهنا أصدرت سلطات الاحتلال قانون الإشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩ الذى استهدف الإشـــراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية ويفرض عليها الحصول على تراخيص إسرائيلية تجيز لها الاستمرار بالعمل فى التعليم . كما أصبح لها الإشراف على البرامج والتمويل .

وبرامج التعليم الإسرائيلى تستبعد كل ما ينمى الروح القومية العربية — والابتعاد عن الثقافة العربية ليسهل صهرهم فى البوتقة الإسرائيلية .

تهويد القضاء :

أغلقت سلطات الاحتلال جميع المحاكم النظامية فى المدينة واتخذت الاجراءات التالية :

١ — نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى رام الله .

٢ — أدمجت محاكم الصلح والبداية بالمحاكم الإسرائيلية المماثلة والقائمة فى الطرف المحتل من المدينة سابقاً .

٣ — طلبت من القضاة والموظفين تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الاسرائيلية .

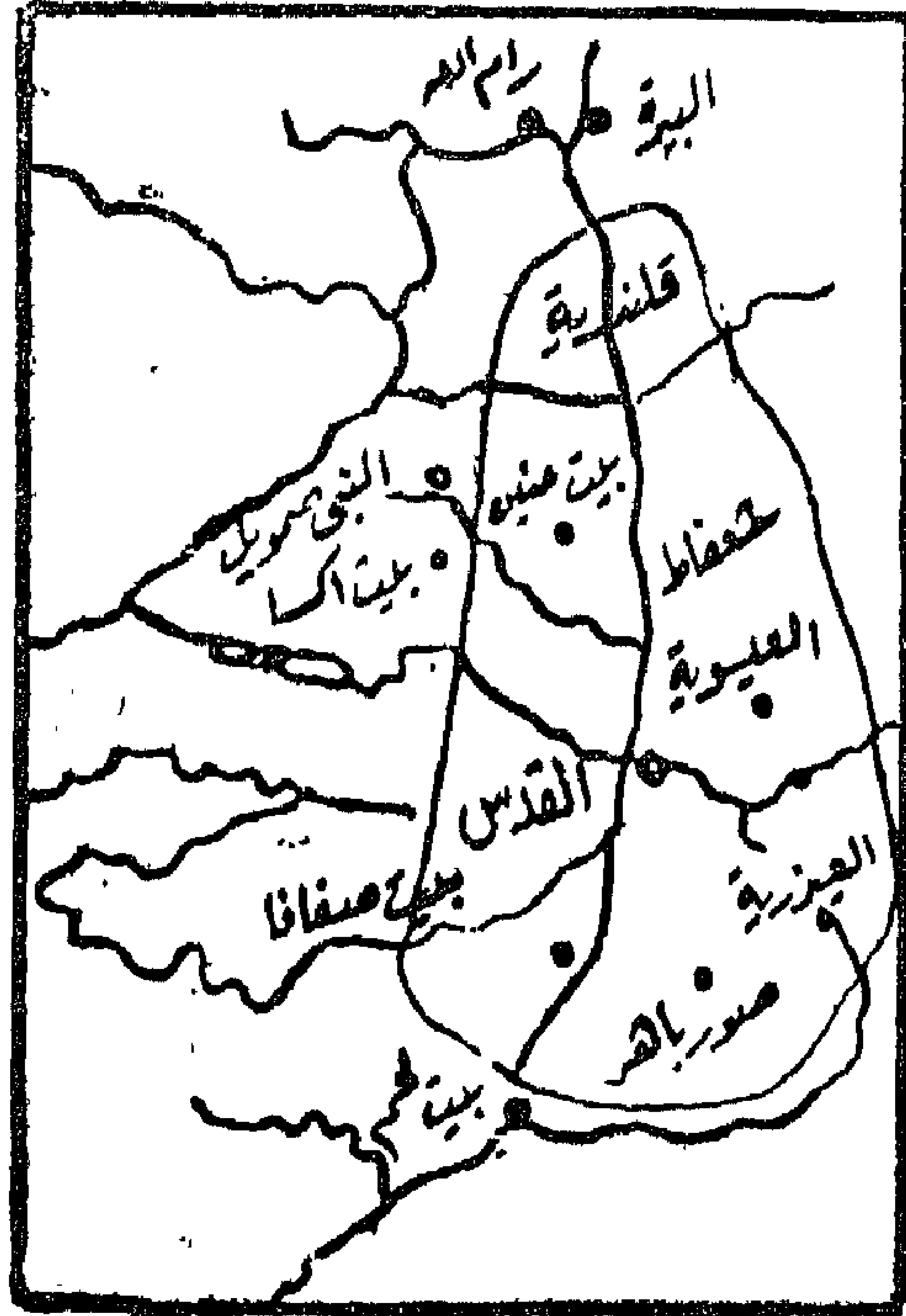
٤ — فصلت القضاء النظامى القائم بالقدس عن شئون الضفة الغربية والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلى .

رفض الجهاز القضائي العربي هـــذه الإجراءات وامتنع عن التعاون والعمل مع سلطات الاحتلال . ورغماً عن مرور هذه الأعوام الأربعة فإن الأغلبية منهم لا تزال ممتنعة عن مثل هـذا التعاون . وقد شارك المحامون فى القدس والضفة الغربيـة الأسرة القضائية برفض التعاون ورفض الظهور أمام المحاكم الإسرائيلية ، معلنين تضـامنهم مع إخوانهم القضاة فى رفض الاعتراف بضم القدس لاسرائيل وفصـل قضائها عن قضاء الضـفة الغربية . ولما رفض القضاء الشرعى الاسلامى الانصـياع لأوامر الاحتلال بادرت إسرائيل إلى إخراج رئيس الهيئة العلمية الاسـلامية سماحة الشيخ عبد الحميد السائح من القدس لترهب مرؤوسيه وتحملهم على التعاون. ولـكنهم استمروا على موقفهم . فامتنعت سلطات الاحتلال عن تنفيذ أى حكم للمحاكم الاسـلامية . كما تجاهلت كلياً الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق وكل شهادة ولادة تنشـأ عن زواج جديد وما يتعلق بالارث والوصـاية والوقف وغيرها مما له علاقة يومية بالأحوال الشخصية للسكان ، ورغم كل ما نشأ عن تعقيدات فقـد تحمل المقادسة هذه المتاعب بصبر ، مما أقلق سلطـات الاحتلال ، لذلك ربطت القضاء الشرعى بقاضى يافا المعين من قبلها قبل حرب سنة ١٩٦٧ ولـكنهم لم يلجأوا إليه بقضية واحدة ، بل أصروا على موقفهم وشكلوا هيئة علمية إسلامية تشرف على شئون أوقافهم ومقدساتهم .

الانتخابات البلدية :

فى مطلع عام ١٩٦٩ أقر البرلمان الاسرائيلى ضم السـكان العرب لسجل الناخبين الاسرائيلى ، ليتمكنوا من الاشتراك فى انتخابات البلدية . وأتمت تجهيز القوائم بأسماء النـاخبين العرب الذين يقطنون فى المناطق التى تشمل القدس القـديمة وما حولها من الأحياء والقرى العربيـة ، كوادى الجوز والثورى وسلوان والطور والعيسـوية وبيت حنينا وشعفاط وقلندية وبيت صفافا (شرقى) وشرفات وصور باهر وجبل المـكبر .

وزاد عدد أعضاء المجلس البلدى من ٢١ عضواً إلى ٣١ عضواً ، نتيجة لزيادة السكان فيها بعد ضم السكان العرب . ولما شعرت سلطات الاحتلال بعزم العرب على مقاطعة الانتخابات البلدية أخذت تهدد كل من لم يشترك فيها بالطرد من الوظيفة ومنعه من العمل والخروج الى عمان . ولما انقضى



(٢٤) صورة القدس الكبرى حسب مخططات اليهود

ظهر يوم الانتخابات فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٦٩ أخذت سيارات البوليس تجمع الناس من المقاهى والطرقات والبيوت وتحملهم تحت التهديد الى مراكز الاقتراع . ولقد أدت كل هذه الجهود الى اجبار أربعة آلاف عربى من مجموع ٣٧ ألفاً لهم حق التصويت أى أن النسبة لم تزد كثيراً عن ١٠٪ ولقد صرح الحاخام مناحيم فروش أن العرب عندما صوتوا فى الانتخابات البلدية لم يثبتوا بذلك اعترافهم بتوحيد القدس . انهم انما قاموا بذلك لخوفهم من عدم تمكنهم من رؤية ذويهم وأقاربهم فى عمان ولخوفهم من عدم استطاعتهم

الحصول على عمل فى القدس . ورغماً عن الاجراءات والتهديدات التى وجهتها سلطات الاحتلال ، فإنها لم تستطع كسب أى عربى لترشيح نفسه لعضوية البلدية وان مقاطعة السكان لهذه الخطوة بالذات لدليل على فشل السياسة الاسرائيلية بين عرب القدس .

إبعاد المواطنين :

لجأت سلطات الاحتلال الى إبعاد المواطنين الى الضفة الشرقية للتخلص من عدد من القادة السياسيين والشعبيين وإضعاف روح المقاومة عند المواطنين بشكل عام وتخفيف الضغط الذى تعانيه سجون اسرائيل بعد أن امتلأت بأحرار البلاد . يضاف الى ذلك أن عائلات كثيرة من المبعدين تضطر للالتحاق بهم لأسباب مادية ونفسية قاهرة . وكان بين المبعدين أمين القدس ورئيس الهيئة العلمية الاسلامية ولقد تفرغ كل منهما فى عمان لمواصلة جهاده فى خدمة بلده بمختلف وسائل الاعلام. ومنهم الوزير والنائب والطبيب والمحامى والمدرس والتاجر والطالب والعامل وغيرهم .

وهى تقوم بهذا العمل التعسفى مستندة الى قانون الدفاع الذى وضعه موظف يهودى لفلسطين تحت الانتداب البريطانى ، نكاية بالعرب وخدمة لمصلحة قومه . وفشلت جهود المنظمات الدولية فى اخطار اسرائيل فى مخالفاتها للاتفاقية الرابعة من ميثاق جنيف التى تنص على أن النقل الاجبارى للأشخاص المحميين من أراض محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه كما يخالف قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٧ الذى ينص على ضرورة تفادى الحاق الضرر بالمدنيين وأسرى الحرب ورعاية حقوق الانسان والتقيد بميثاق جنيف ورغماً عن كل الجهود الدولية التى بذلت فإن اسرائيل لم توقف أعمال التعسف هذه بل زادت عليها بأنها أصبحت تطرد كل من تشتبه بأن له علاقة بالمقاومة. وهى بذلك تهدف الى تفريغ المدينة من عربها لاسكان يهود بدلا منهم .

التوسع فى الاستملاكات للأراضى العربية :

صادرت اسرائيل منذ حزيران ١٩٦٧ أكثر من ألف ومئة هكتار من الأراضى التى يملكها العرب فى الجزء الشرقى من القدس والمناطق المحيطة بها لاقامة هذه المبانى البشعة التى تخفى وراءها دوافع سياسية محضة .

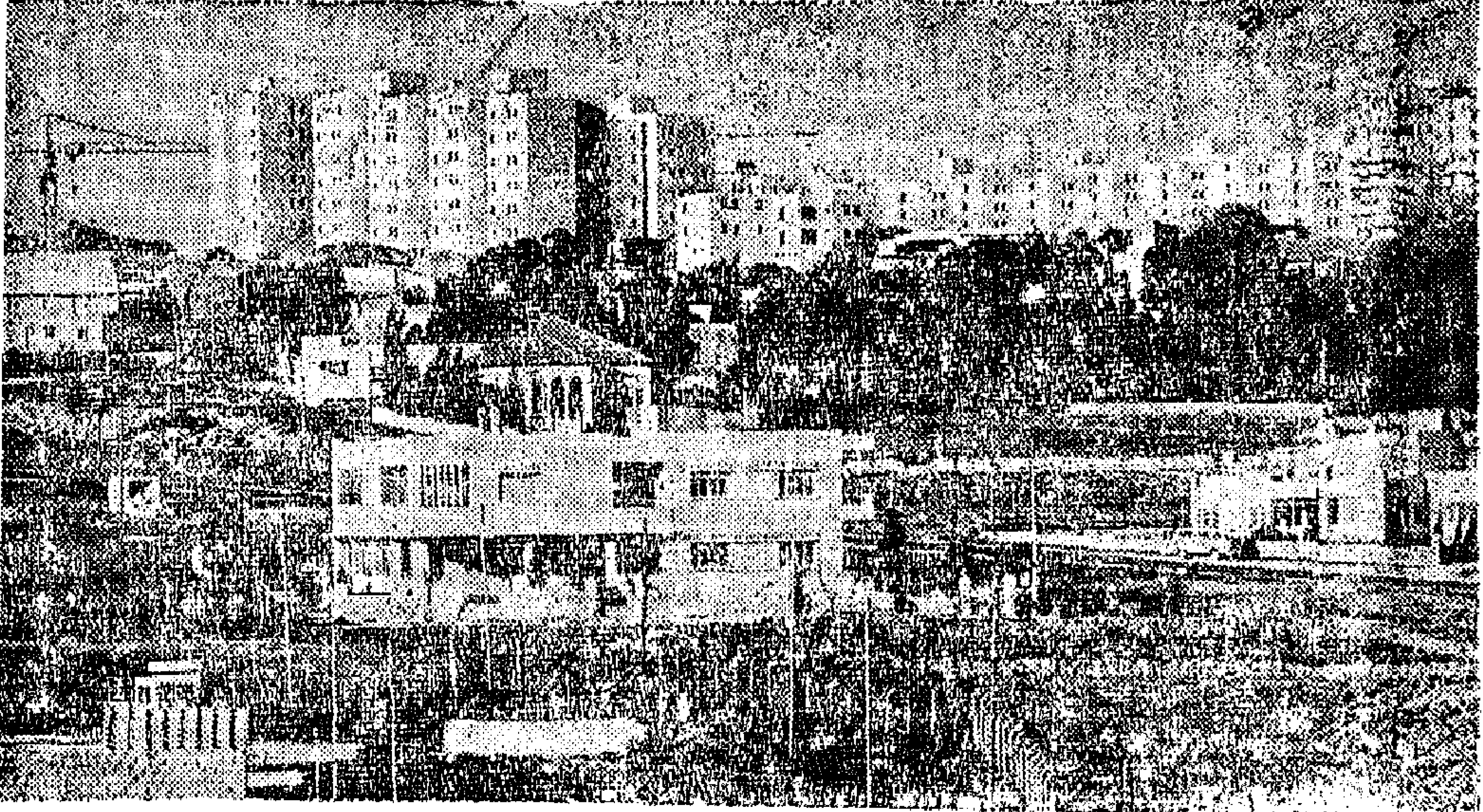
فى سنة ١٩٦٨ استملكت اسرائيل أربعة آلاف دونم خارج سور القدس وحوالى ١١٦ دونماً فى داخلها ، كان عليها ٥٩٥ عقاراً عربياً .

وعلى الرغم من أن اليهود يملكون جزءاً من أراضى مدينة القدس الجديدة ، فإنهم لا يملكون شيئاً من الأراضى فى القدس القديمة والمناطق المحيطة بها ، وان مجموع ملكيتهم فى القدس بأكملها لا تتجاوز اثنين بالمئة .

أصدرت سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠ أمراً باستملاك ١١٦٨٠ دونماً من الأراضى العربية الواقعة فى شمال وجنوب القدس وحول أسوارها . وهذه الحلقة الجديدة من الاستملاكات تستهدف تطويق المدينة شمالا وجنوباً — بما فى ذلك الحرم والأسوار .

التوسع فى الانشاءات على الأراضى العربية المصادرة. وقد نشرت جريدة ها آراتس الاسرائيلية فى عددها الصادر فى ١٩٧٠/١١/٢٤ خبراً جاء فيه تقوم وزارة الاسكان الاسرائيلية حالياً ببناء ثلاثة آلاف وحدة سكن فى شرقى القدس كما تقوم شركات تجارية أخرى ببناء خمسمئة وحدة اضافية فى مناطق مختلفة من المدينة . وقد فرغت بنهاية عام ١٩٧٠ من بناء ٦٩٨ وحدة سكن أخرى فى ضاحية رامات أشكول وهى الضاحية التى أقامتها سلطات الاحتلال عام ١٩٦٩ على الأراضى العربية المصادرة قبلا والواقعة ما بين حي الشيخ جراح وشعفاط في شمال القدس .

كما جرى بناء ١٥٠ وحدة سكن أخرى على جبل سكويس (المشارف) و ١٢ عمارة متعددة الطوابق فى كوم لويز . وكلا المنطقتين ضمن تنظيم مدينة القدس .



(٢٥) صورة الأبنية الجديدة فى كرم لويز شمال شرق القدس

وأوردت نفس الجريدة فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٥ — خبراً آخر عن الاسكان والانشاء داخل أسوار القدس هذا نصه :

تفيد مصادر اللجنة المشرفة على اسكان الحى اليهودى داخل البلدة القديمة بالقدس أن ١٧٢ وحدة سكن كانت فى دور البناء ويؤمل أن يفرغ من بنائها خلال الشهور الستة القادمة . وتم ذلك. وهناك مخططات لبناء وحدات سكن ومدارس .

وبتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت نفس الجريدة خبراً آخر قالت فيه :

تعمل فى البلدة القديمة وحـــدة خاصة مهمتها تخلية عقارات الحى من

السكان العرب . ولم يبق منهم حتى الآن ســـوى ٢٥٠ عائلة تبذل الجهود لاخلائهم . وقد تم مؤخراً اخلاء خمسين حانوتاً .

التخطيط لانشاء ٣٣ ألف وحدة سكن جديدة على الأراضى المستملكة والمصادرة حديثاً .

نشرت جريدة معاريف الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١ الخبر التالى :

إن ٣٣ ألف وحدة سكن سيتم بناؤها خـــلال ١٩٧١ فوق الأراضى العربية المصادرة فى ضواحى القدس . وإن أعمال البناء هذه تحتاج إلى ما بين ثمانية إلى عشرة آلاف من المهندسين .

نشرت جريدة معاريف فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/١١ الخبر التـالى :

ستقوم حكومة إسرائيل ببناء ثلاث عمارات فوق جبل الزيتون شرقى القدس لوزارات الأشغال العامة والاسكان والزراعة .

وبعد ثلاثة أيام نشرت هذه الجريدة مقالا تحت عنوان (عملية البناء المستعجلة للقدس الموسعة) جاء فيه : — يمكن أن يكون مفاجأة للجمهور الاسرائيلى بأنه فى الوقت الذى استجبنا فيه لمحادثات يارنغ على مبادرة السلام الأميريكية تجرأت حكومتنا — إسرائيل — وصادرت ١٤ ألف دونم جديدة فى ضواحى القدس الشرقية لمصلحة التوطين . لو كنا نخشى الردود العربية أو أية ردود أخرى لهذه الخطوة الهامة فى مواصلة العمل لتوحيد شطرى القدس لما أقدمنا على مصادرة هذه الأراضى . وهذه المساحة الجديدة هى أراضى جوهرية من الناحية العسكرية للقدس الكبرى وبدون هذه المنـاطق لا فائدة للقدس الكاملة .

وهناك مخططات لانشاء ١٣ فندقاً إسرائيلياً فى القدس تضم ٤٢٠٠ غرفة يقام أكثرها على أراضى عربية .

وإنشاء ضاحيتين صناعيتين يهوديتين الأولى فى منطقة شعفاط والثانية فى منطقة المطار .

تنفيذ مشروع هيكلى جديد للقدس :

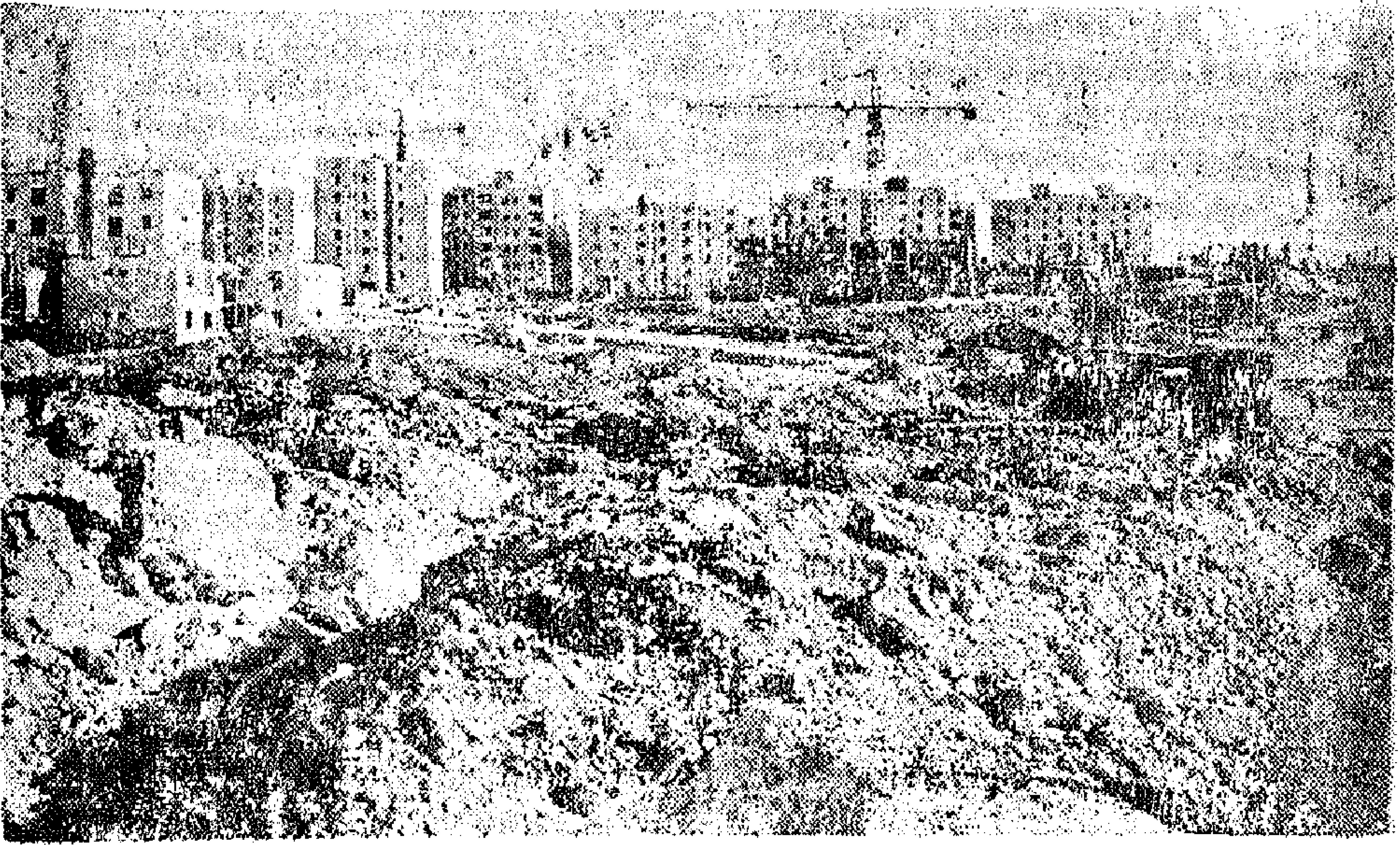
أعدت وزارة الداخلية الاسرائيلية وبلدية الاحتلال بالقدس مشروعاً هيكلياً جديداً لتنظيم مدينة القدس ونشرت مجلة الايكونوميست الانكليزية تعليقاً عنه فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٢ تحت عنوان القدس غابة مسلحة من الأسمنت جاء فيه مايلى :— فى اجتماع دام ثلاثة أيام قبل عيد الميلاد دعا إليه تدى كوليك رئيس بلدية القدس المحتلة وضم لجنة عالية للمهندسين ومنظمى المدن وخبراء فنيين، تقرر فيه عدم صلاحية مخطط إسرائيل لمشروع القدس الكبرى . وقد أكد المجتمعون أن هذا المشروع سيفقد القدس جمالها ويحولها إلى مدينة بشعة وغير مناسبة أو ملائمة للعيش .

ولم يشاء المجتمعون أن يتدخلوا من الناحية السياسية التى ستجرد الأردن من مناطق واسعة من الضفة الغربية وذلك باقتطاع مدينتى رام الله وبيت لحم وما بينهما وضمها للقسم المحتل من القدس بحيث يوسع مساحة المدينة إلى ثمانية أضعاف ما هى عليه الآن .

وقد نشرت جريدة معاريف اليهودية الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٢١ مقالا خطيراً حول هذا المشروع تحت عنوان انتحار مشترك نتيجة الفشل للمشروع الهيكلى لبناء القدس جاء فيه :

زعزعت يوم أمس عاصفة من الضجيج اجتماع اللجنة الثنائية لتخطيط المدن التابعة للجنة القدس ، فقد انتقد أعضاء اللجنة ، ومن بينهم مهندسون

ومخططون معروفون فى أنحاء العالم — انتقدوا بشدة المشروع الهيكلى للقدس وتخطيط الحى اليهودى ومعظم أبنيته عربية فى البلدة القديمة وتخطيط المركز التجارى. ووصف البروفسور برونسفى من كبار المهندسين الإيطاليين — الأعمال التى تمت فى بناء القدس بأنها انتحار جماعى نتيجة الفشل الذريع .



(٢٦) صورة المبانى الضخمة التى تشرف على القدس وتتحكم فى مداخلها

وكان ما قاله المهندس لتيدى كوليك : لماذا دعوتنا ؟ فإذا كنت تعتزم الحصول على مصادقة المشروع الهيكلى للقدس الذى كما يبدو لنا أنه سىء جداً فإنك دعوت أشخاصاً غير لائقين لهذه المصادقة ، لأن بينهم رجالا من كبار الخبراء فى العالم ، وهم غير مستعدين للتوقيع لكم بشكل أعمى على مشروع كهذا يهـــدد مدينة القدس ... إن الموضوع مؤلم لى بصفتى يهودياً مخلصاً لإسرائيل وأنى غير مستعد أن أقف إزاء ما يجرى بالقدس. ولا يحق لكم أن تعملوا ما عملتم ... إن هذا المشروع مستند تاريخى وهو سلاح يمكن أن يستخدمه العرب .

يحرك الإسرائيليون آلياتهم للوصول إلى سيطرة دائمة على القدس فوق صخور وأرض أردنية. وذلك قبل التوصل إلى أية مفاوضات للسلام. وما من شك فى أن مثل هذا التصرف يعقب نتائج سياسية خطيرة . ولقد احتجت الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٦٧ مرتين على أعمال ضم إسرائيل لأراضى الغير فى القدس. وقد عاد يوثانت مرة أخرى الآن للشكوى من نفس التصرفات . ولقد وصفت الولايات المتحدة التى تحتفظ بتمثيلها السياسى فى تل أبيب شأنها فى ذلك شأن اثنتين وثلاثين دولة أخرى، هذه الأعمال الإسرائيلية بأنها غير مقبولة .

إن قرار إسرائيل بالسير قدماً فى مشاريع الإسكان الجديدة بالقدس يضعف من تأكيداتها بحسن النية حيال محادثات يارينغ .

كتب (اريك مارسدن) فى عدد الصنذى تايمز البريطانية الصادر فى شباط ١٩٧١ (١) : من داخل القدس يرى قصة الهجوم المسدد من كل مكان لمخطط الحكومة الإسرائيلية لتغيير معالم المدينة . وهو يقول : تسلق جبل سكوبس فى صبيحة يوم باكر وأدر رأسك حيثما اتجه بك النظر إلى الجهات الأربع، فإنك مطل على أروع مشاهد التاريخ الباقيه على أديم الأرض وأحفلها بذكريات الإنسانية ومواطن أحداث القداسة فى عهود الأنبياء .

ومن خلفك من ناحية المشرق البحر الميت ومن خلفه جبال موآب تطل فى مشهد لم تتغير معالمه الأصلية منذ العهود التى حكت قصتها مخطوطات قران ثم أدر رأسك فى بطء لتقع عيناك على جبل الزيتون ثم على أسوار المدينة العتيقة ، ذات الجلال، حيث ترى قباب الصخرة والأقصى غارقة فى هالة من قدسية ماض عظيم. وغير بعيـــد من المنائر الخالدة والقباب التاريخية تشاهد

---

(١) جريدة الدستور فى ١٩٧١/٣/٥

مراكز ديانات السماء العظمى الثلاث، بما فيها الأرض التى عرج بمحمد (ﷺ) منها إلى السماء ثم طريق الآلام التى درجت عليها قدما المسيح وهو يحتمل أقسى وأشرف عذاب .

وحين تهبط من جبل الزيتون لتدخل البلدة القديمة يختفى المنظر الجمالى الرائع الذى تكون شاهدته من الأعالى وتواجهك بيوت ما تزال تحمل آثار الدمار من أيام القتال ثم ترتطم بأكوام الأتربة والحفائر والأنقاض مما تعمل فيه يد اليهود على عجل ، لتغيير معالم كل شىء . وهم يعملون فى سرعة وفوضى معجلين ، كمن يريد أن ينهب شيئاً ليحصل منه على أكبر قدر ممكن قبل أن تصحو عليها عينا صاحب البيت الغافلتان .

إن عملية الاعمار والتخطيط فى مثل هذه المدينة التاريخية ذات الخطورة والأهمية ليس مما يتم فى ارتجال أو استعجال . بل هو أمر شاق حتى فى أكثر الظروف الاعتيادية .

لكن القدس ليست كسائر المدن الأخرى فى أى بلاد من الدنيا — إنها محط أنظار ألوف الملايين من البشر فى كل مكان من الأرض . وهى محور محاور الصراعات الحساسة المتناهية الخطورة فى هذا العالم . ومع ذلك فإن السلطات الإسرائيلية تعمل لإنشاء ثلاثة مجمعات سكنية ضخمة فى مناطق القدس العربية ، لاستيعاب الألوف من اليهود المجلوبين للمدينة المقدسة فى سياسة معجلة ارتجالية، تسعى لفرض واقع مناقض لمشاعر ألوف الملايين من البشر لذى يتمنى أن تحتفظ بشخصيتها مهما يحدث فى المسرح السياسى . وبحيث يظل اتصال القدس بالضفة الغربية مأموناً . وكان واضعو المخطط يهدفون إلى الحفاظ على صبغة القدس كمدينة للحجاج بالحيلولة دون بناء العمائر العالية بمقربة من المدينة المقدسة، والاحتفاظ بحزامات خضراء حول أقدس الأماكن

التاريخية والحيلولة دون تكديس البيوت على طريق بيت لحم، بحيث لا تضيع صورة المدينة أو طابعها الذاتى الذى يقترن بهالة قداستها .

وفى نفس الوقت وضع المخططون حساباً لأربعين سنة إلى الأمام يصبح فيها عدد السكان ستمائة ألف نسمة عام ١٩٨٥ وتسع مئة ألف عام ٢٠١٠ .

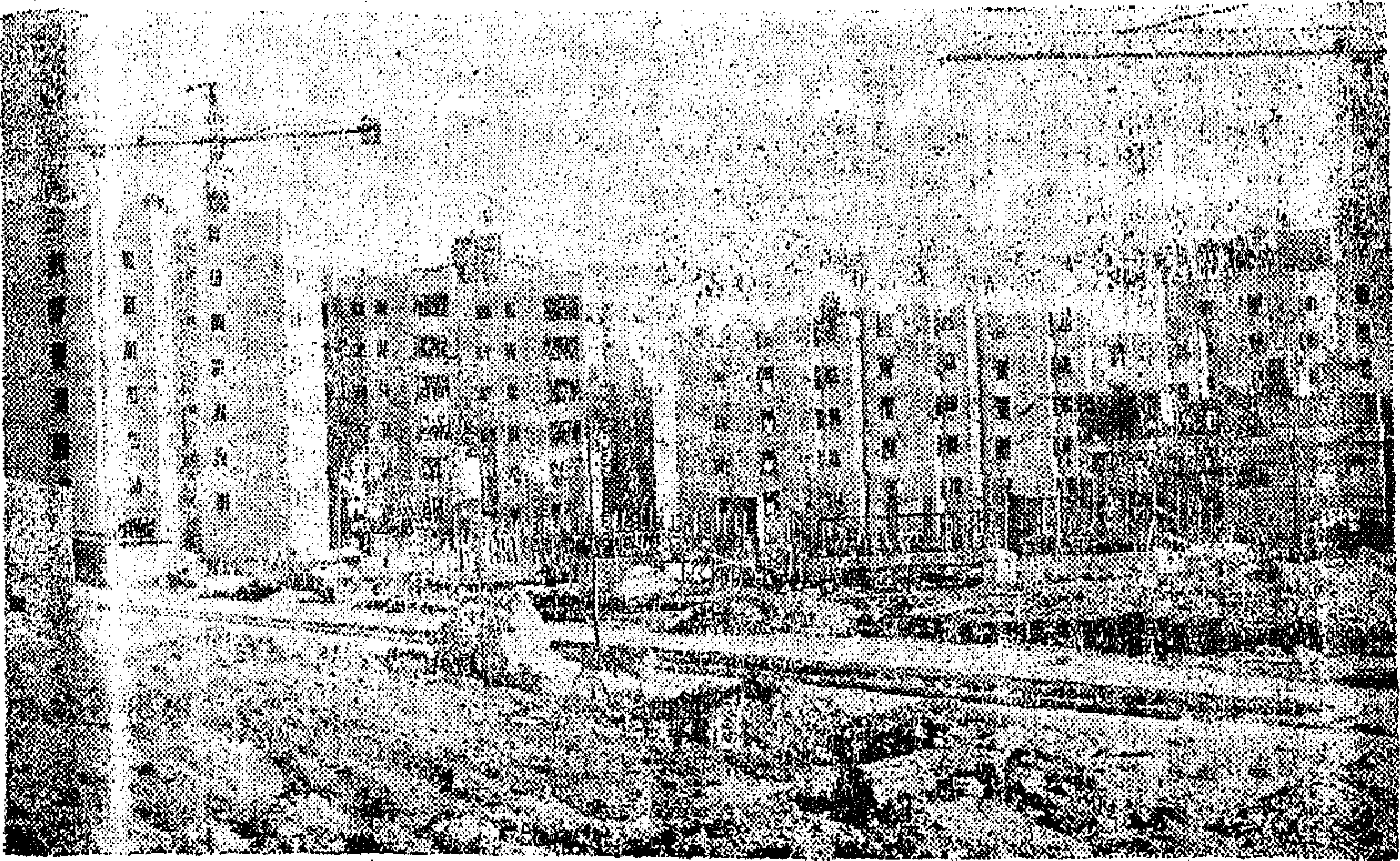
وحين انتهى الانتداب البريطانى عن فلسطين لم يكن فى المدينة سوى ٨٨ ألفاً من اليهود فى مقابل حوالى مائة ألف من العرب. أما اليوم فإن حوالى خمسة وسبعين ألفاً من العرب يواجهون فى المدينة مائتى ألف يهودى . والحقيقة أن التقسيم الجغرافى للمدينة ، حيث اليهود غرباً والعرب شرقاً هو تقسيم يلائم كلا الطرفين .

وبعد حرب الأيام الستة قام اليهود بإنشاء حى أشكول على طريق جبل سكوبس واضعين فيه عشرة آلاف منهم . لكن اليهود لا ينتهون عند حد بالنسبة للقدس وهم يعملون عمــــلا حثيثا على إخضاع المدينة وعمرانها لمقاصدهم السياسية .

ومع أن أشواق بعض القدامى والجدد من اليهود للمجىء إلى القدس أو سكناها أمر معروف ، فإن حكومة إسرائيل تريد أن تبتلع المدينة بتكديس اليهود فيها بكل أسلوب وطريقة. وهذا أمر يثير اعتراضا عالمى النطاق ـــ حتى أنه ليشمل الكثيرين من اليهود المتدينين ممن ستنهار فى مخيلاتهم صورة القدس المنشودة لتصبح مدينة علمانية مكدسة، ليس فيها ما يميزها من أى تجمع بشرى صناعى ملوث الهواء والأرض على السواء .

وقد تساءل ممفورد الأميركى قائلا : لماذا ؟ لماذا لا بد من الإصرار على تحويل القدس إلى شكل الوحش الممدد ـــ طالما أن التاريخ فرض لها شكلا معينا وسمتا مستقلا .

وجادل ممفورد — وهو من لجنة القدس ويدعى لويس ممفورد وينظر إليه بأنه فيلسوف القدس — بأن القول بوصول المدينة إلى مرحلة التوحيد دينيا وثقافيا . هو قول باطل كما أن النواحى السياسية والاقتصادية فى المدينة لا تحمل طابع القابلية للتوحيد .



(٢٧) صورة مبانى رامات أشكول التى تطوق القدس من الشمال

إن هذه هى الحقيقة التى يرفض اليهود قبولها بسبب حماستهم لما يسمونه استعادة مجد القدس .

إن الجانب المأساوى الساخر فى الأمر كله هـو أن اليهود يمثلون فى القدس كغزاة منتصرين . ومهما يبدو منهم فى احتلالهم من مظاهر رقة — فهم — قساة شرسون مع الذين يعملون على مقاومة احتلالهم . وهم لا يستطيعون أن يزعموا أن عدداً معتبراً من العرب يتعاطف مع تصرفاتهم . ويعمل اليهود إلى استجلاب مودة الطبقة الفقيرة من السكان العرب ببعض التدابير المادية . ومع أن بعض العرب ازداد كسبهم فى عهد الاحتلال الراهن إلا أن أحداً من العرب لا يشعر بغير وجوده فى ظل احتلال لا يمثله فيه أحد على مستوى السلطة أو المجلس البلدى .

والعرب لا يقتصرون على مقاطعة الانتخابات بل هم يتجاهلون كل دعوة توجه لهم لشهود المناقشات السياسية حتى من النوع غير الرسمى — والأمر كله فى القدس أمر مخاوف وشكوك وعداء وكبرياء وحقد .

وأكثر العرب حماسة للخلاص من ربقة الاحتلال هم الشبان من السكان لأنهم يريدون استرداد رجولتهم التى تضاءلت فى ظل المحتلين البغيض . أما زعماء العرب فهم على يقين من أن خطط اليهود كلها ترمى إلى احداث انشقاق بينهم وبين جماهير شعبهم، لاسيما الفقراء منهم .وهم على غيظ كالجمر من خطط الإسرائيليين لانتزاع وجودهم وبلدهم .

وإذا شئت مثلا على كراهية العرب وحنقهم فلن تجد أوضح مما حصل فى قرية العيسوية التى انكشفت فيها خلية واسعة للمقاومة ، بالرغم من كل ما أفاده فقراؤها من العمل الذى اضطروا له سداً للقمة العيش فى أشغال بناء حى أشكول القريب من قريتهم. وقد عمد اليهود إلى نسف بيوت سائر المشتبه بهم فى تلك الخلية .

ولقد انتهت مؤخراً محاولات الاعتدال التى تلبسها كوليك طوال المدة الماضية حينما سحبت حكومة إسرائيل البساط من تحت أقدامها،فهذه الحكومة تريد أن تنشىء ثلاثة مجمعات سكنية أكبرها فى النبى صمئيل ومجموع عددها خمسة وثلاثون ألف وحدة سكنية، يطل قسم منها على القدس من ناحية الشمال حيث كان الصليبيون قد شاهدوا المدينة من هناك لأول مرة .

أما المجمعان الآخران فالمقرر لهما أن يكونا فى شرفات وحول مقر المندوب السامى فى عهد الانتداب ومقر لجنة الرقابة الدولية حالياً . وجدير بالذكر أن جبل المكبر هو المكان الذى أشرف منه الخليفة العادل عمر بن الخطاب على مدينة القدس لأول مرة حين دخلها يحمل رسالة التسامح والعدل والإنسانية الواسعة.

لقد أدت مصادرة أراضى محدودة لبناء رامات أشكول إلى توليد شحنات قوية من المرارة والحقد — فقد قال أحد العرب المعروفين الذى خسر فدانين من الأرض فى تلك المصادرة، أنه لا يمر بقرب الحى الذى بنى فى أرضه إلا ويتملكه الغضب الثائر والحنق المضطرم، إذ يرى الغرباء يستجلبون ليعيشوا على أرض كان يدخرها لبناء بيت يقضى فيه أخريات عمره هادئاً فى بلده، أى سلام يرتجى بعد هذا الظلم ؟ وأى قلب يقر لذلك التشتيت والاستهتار بكل القيم .

القدس غابة مسلحة من الأسمنت :

أقيمت عمارات ضخمة ذات شقق من الأسمنت المسلح، كما انتشرت تلك العمارات على جميع تلال القدس خلف المدينة القديمة، وقد لاحظ سكان القدس العرب بأنهم محاطون بما يمكن أن يسمى بالضواحى الإسرائيلية الجديدة والخطة على أية حال قد أخذ بها بناء على قرار من الحكومة الاسرائيلية لتحديد ماطلبت به دائماً فى القدس العربية إلى بناء مسلح بالأسمنت رغماً عما يقوله الخبراء الأجانب بأن القدس ستصبح إذا نفذ هذا المشروع بشعة أو غير مناسبة أو ملائمة للعيش فيها، كما أصبحت معظم المدن الكبرى فى العالم اليوم، أن سرعة العمل أعطت لهم حرية التصرف على حساب فقدان الجمال وهم يطمعون فى أن تمتص القدس مقداراً عظيما من الضفة الغربية يشمل بيت لحم ورام الله وينتهى بمساحة أكبر ثمانى مرات من ساحة البلدية الحالية .

التعويض :

أصدرت إسرائيل قانوناً للتعويض عن أملاك المواطنين العرب فى القدس فلقى الاعلان صدى واسعاً لدى المتتبعين للمخططات الاسرائيلية الرامية إلى تهويد القدس وتكريس الاحتلال . وإذا كانت أبعاد المشروع وأهدافه من الناحية والقومية الدولية واضحة باعتباره حلقة من سلسلة التآمر المستمر والسلب

والاستيلاء ، فإن الجوانب الاقتصادية والقانونية للمشروع ظلت إلى الآن غير واضحة ولن تناقش.ومعروف أن الجانب القومى فى الموضوع لايفسح مجالات لأى اعتبارات أخرى إلا أن الثوب القانونىوالاقتصادىالذىألبسه الاعلام الاسرائيلى لهذا المشروع يقتضى منا أن نتفحصه باللغة نفسها التى يتكلم بها واضعو المخطط الجديد .

الهدف من مشروع التعويض هو تكريس الاستيلاء على الأملاك العربية واعطائه الصفة الشرعية.ولكنه غلف هذه الظاهرة الخطرة بمظاهر كاذبة. وكأنها تتجاوب مع مقررات الأمم المتحدة بالتعويض عن ممتلكات العرب وتساوى المواطنين العرب بالاسرائيليين فى الحقوق فى جزء من المنطقة المحتلة . هو القدس بالذات ، واظهار اسرائيل بمظهر المتمسك بالقانون والحق بدفع تعويضات مادية عادلة . وكل ذلك لإيهام الرأى العام العالمى بشرعية الخطوات الاسرائيلية وحرص سلطات الاحتلال على احترام مبادىء العدالة .

والمشروع مرفوض من أساسه لأنه لم يمنح العرب حق الاختيار بين الاحتفاظ بأملاكهم والتصرف الحر بها واستغلالها بالطريقة التى يرونها مناسبة وبين البيع على الأسس التى حددتها سلطة الاحتلال . والغريب أن المصادرة لاتتم من تاريخه وإنما بأثر رجعى يعود إلى عام ١٩٤٨ لأن التعويض على أساس القيمة فى عام ١٩٤٨ يفيد التاريخ الرجعى للمصادرة، يضاف إلى ذلك أن مشروع القانون اقتصر على أملاك المواطنين الموجودين حالياً فى القدس واستبعد الغائبين . أى أنه استبعد أكثرية المالكين ، كما أهمل التعويض عن الممتلكات من غير العقارات . وأخيراً أغفل المشروع التقدير العادل لقيمة الممتلكات عن طريق المحاكم إذا لم يكن عادلا .

وقد قدرت الأسعار كما كانت عام ١٩٤٨ مع اضافة ٢٥ بالمئة مقابل ربح المبلغ المقدر . والظلم واضح إذ لو فرضنا ربحاً معتدلا هو ٦٪ لأصبح خلال ٢٢ سنة أكثر من الضعفين والنصف .

يضاف إلى ذلك الغبن اللاحق من جراء انخفاض الليرة الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ فهم يتناسون هذا الفرق.ويحسبون الدينار الأردنى بـ ٨ر٤ ليرات بينما الدينار الأردنى الآن يساوى ١٤ ليرة .

وغبن آخر ناتج عن أن الدفع يتم خلال عشرين سنة وبسندات لا تقبل التداول التى قد لاتساوى قيمة قصاصات من الورق نتيجة للتخفيض المستمر فى قيمة الليرة الاسرائيلية . وتقدر قيمة الممتلكات التى سيدفع عنها التعويض بمئة مليون دولار . والغبن من ذلك استيفاء الضرائب المتراكمة والتكاليف الأخرى خلال هذه الثلاث والعشرين من الأعوام ، التى قد تجعل المالك العربى مديناً فوق ثمنه . مع أن المالك العربى لم يسمح له باستغلال ملكه طوال هذه السنين .

وهكذا يعتقد المشرع الاسرائيلى أن ليس هناك عربى يتقدم ليطالب بهذا التعويض المصبوغ بالخداع العالمى .

قانون التنظيمات القانونية والادارية لسنة ١٩٦٨ :

إن هذا القانون يشكل حلقة جديدة من الاجراءات الرامية إلى إزالة عروبة القدس باشتراط تسجيل الشركات والجمعيات التعاونية وأصحاب المهن وأرباب الحرف ، والمحامين والأطباء والصيادلة والمهندسين، حسب القوانين الإسرائيلية . وهو رغم مخالفته للقوانين والاتفاقات الدولية التى توجب الحفاظ على القوانين والأنظمة المرعية فى البلاد المحتلة وتحديه لقرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى التى رفضت قرار اسرائيل بضم القدس إليها وطلبت منها الرجوع عن ذلك القرار وايقاف كافة اجراءات الضم ، فإنه يعنى من الناحية العملية ، فرض أمر واقع على المدينة المقدسة تزعم معه اسرائيل قبول العرب بالتعامل مع السلطات المحتلة ، على أساس القوانين الاسرائيلية ، وبالتالى التسليم بإجراءات الضم .

إن القانون المذكور خطر على عروبة القدس ومصالحها وصالح أهلها . ولقد أدرك المواطنون فى القدس ذلك الخطر ، فأعلنوا أكثر من مرة وبشتى الوسائل رفضهم له وتصميمهم على عدم تنفيذه .

وأقره برلمانهم فى ١٩٦٨/٨/٢٣ .

كان مجلس الأمن قد اتخذ فى ١٩٦٨/٥/٢١ قراراً يقضى بعدم اعترافه بضم القدس وبمطالبته بإلغاء جميع الإجراءات غير القانونية التى نفذتها اسرائيل (ملحق ٩) .

وكان بالفعل أن قرر عرب القدس الإضراب يوم ١٩٦٩/٢/٢٢ وهو اليوم المعين لتنفيذ القانون .

لقد أزيلت المناطق الأثرية والتاريخية الجميلة من المدينة لإقامة المبانى السكنية الضخمة وذلك لكى تتمكن اسرائيل من ترسيخ وجودها متجاهلة الاحتجاجات الدولية وتوصيات الأمم المتحدة .

إن الأرض التى تقام عليها هذه المستوطنات يجب أن لا تمس لأنه بموجب القانون الدولى لا يحق للدولة الغازية المحتلة أن تمس سيادة الإقليم المحتل أوضم الأراضى المحتلة. وأنه من الواضح أن إقامة مثل هذه المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة يعد خرقاً للقانون الدولى .

وبالإضافة إلى ذلك فإن اسرائيل بتحديها ذلك إنما تتجاهل ميثاق جنيف الرابع لعام ١٩٤٩ الذى هى طرف فيه . وهذا الميثاق يحرم القوة المحتلة من نقل جزء من مواطنيها إلى الأقاليم المحتلة .

لقد ازدادت نسبة الصبغة اليهودية فى القدس بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ وكانت القدس العربية التى تضم المقدسات هى المكان الوحيد الذى أخضع للقانون الاسرائيلى دون سائر مناطق الاحتلال الأخرى .

لقد وقع وزير الاسكان اليهودى خططاً تهدف إلى اسكان مئة ألف يهودى فى ثلاث ضواح من المدينة المقدسة كما أعلن بصراحة وبساطة أن المقصود هو تأكيد يهودية المدينة المقدسة .

تغيير أسماء المواقع(١) :

هناك خطة جديدة وضعتها سلطات الاحتلال العسكرى الصهيونى لتهويد القدس تشمل تغيير أسماء الساحات والشوارع والطرق العربية والتاريخية واستبدالها بأخرى يهودية ، كجزء من خطة تستهدف إزالة معالم الحضارة العربية والاسلامية عن المدينة المقدسة ، منها ما ذكرته جريدة ها آراتس فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٦/٢٤ جاء فيه أن مجهولين قاموا قبل يومين بتغطية الكتابات العربية والانكليزية من على يافطات أسماء الشوارع فى الحى اليهودى داخل القدس القديمة بالدهان الأحمر فى أسواق الحصر والمجاهدين ودرجة الطابونة . وأكد منشور وزعته جماعة تعرف باسم مواطنى القدس الذى يعنيهم الأمر أن الأسماء غير اليهودية ستشطب إذا لم تجد بلدية القدس — أى بلدية الاحتلال — الترجمة الصحيحة لهذه الشوارع .

وقد نشرت جريدة معاريف اليهودية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٥/١٦ خبراً جاء فيه قررت لجنة تسمية الشوارع فى بلدية القدس تسمية الساحة المقابلة لباب الخليل باسم ميدان عودة صهيون واستبدال اسم مأمن الله باسم شارع عودة صهيون ، وتسمية العقبة المؤدية من حائط المبكى إلى الحى اليهودى داخل البلدة القديمة بالقدس باسم الشاعر (يهودا هاليفى) .

وقد سبقت هذه التغييرات تغييرات أخرى لأسماء طرق وشوارع منذ حزيران سنة ١٩٦٧ منها أسم طريق سليمان خارج السور والمعنى هنا هو

---

(١) روحى الخطيب — أمين القدس فى الدستور ١٩٧١/٧/١٨

السلطان سليمان القانونى بأنى سور القدس — وهى الممتدة من باب العمود حتى ساحة النبي غرباً واستبدل باسم شارع المظليين . واسم تل الشرفة خارج السور وتضم القسم الشرقى من هضبة الشيخ جراح واستبدل باسم جبعات همفتار . كما استبدل اسم باب المغاربة باسم « رحوب بيتى محسى » ولا يخفى أن لكل أسم من الأسماء المستبدلة دلالة وتاريخاً ترتبط كلها بتاريخ العرب والأسلام فى المدينة المقدسة. ولذا فإنها تعتبر أعتداء بالغا على الحضارة وتاريخ القدس .

القدس تحت وطأة الاحتلال(١)

هبطت إلى الدنيا عشرة مقاييس للجمال . . أخذت القدس منها تسعة وتركت واحداً لبقية العالم . . وهناك عشرة مقاييس للمعاناة فى هذا العالم . تسعة منها فى القدس وواحد فى سائر البلدان .

هذه الكلمات موضوعة فى مكان بارز من مدخل أحد ملاجىء الأيتام فى القطاع العربى من القدس . والجمال والمعاناة مازالا موجودين. أما العوامل التى تتصارع وراءهما فإنها لم تظهر أبداً بطريقة أكثر وضوحاً مما ظهرت عليه فى الأيام الأخيرة فمنذ حريق المسجد الأقصى وما ترتب عليه من مظاهرات السخط والاضراب العام عن العمل فى هذه المدينة المحتلة وفى الضفة الغربية المحتلة كلها ... برزت القدس على المسرح العالمى مظهراً حياً للنزاع العربى الاسرائيلى .

ولقد كانت القدس أيضاً موضع اهتمام العالم من قبل ،فإن حادث احراق المسجد الأقصى لم يخلق انفعالا جديداً وانما عمق انفعالا موجوداً بالفعل فلم تكن هذه هى المرة الأولى التى تنصب فيها اسرائيل مدافعها وتخرج بالجنود المدججين بالسلاح إلى المدينة العربية . . ولكن ها هى تفعل ذلك مرة أخرى بطريقة صارخة. وحالة السخط العام كانت موجودة وظلت تتبلور

---

(١) جريدة الأهرام ١٩٦٩/٩/١٩ عن مجلة الأوبزرفر .

وتعنف منذ عام ١٩٦٧ ومعنى ذلك أنه اذا حدث وأدانت احدى المحاكم الاسرائيلية الاسترالى دينيس روهان بتهمة اشعال الحريق ... فإن مثل هذا الحكم سيصبح محل شك جماهير العرب ، يفوق كثيراً جميع الشكوك التى راودت الأمريكيين بشأن اتهام لى هارفى أوزوالد باغتيال الرئيس كيندى .

ولا يمكننا أن نقول ببساطة أن أسباب الخطر الغربى هى أسباب دينية فحسب فهى فى جوهرها أسباب سياسة تنبع من الاحتلال وتنمو مع استمراره . والاحتلال الاسرائيلى للقدس العربية الذى استمر سنتين حتى الآن — يمثل شيئاً واحداً هو : أكبر عقبة سياسية فى طريق الوصول إلى حل سياسى لمشكلة الشرق الأوسط : وليس هناك شىء على الإطلاق مما يفعله الاسرائيليون فى القدس العربية يمكن أن يقنع العرب بأن هؤلاء المحتلين يحملون أية نوايا طيبة ... إنها مأساة كبرى .

ولكن هل هى غير قابلة للحل . إن الحل السياسى غير ممكن ، بدون أن تتخلى اسرائيل عن مطامعها التوسعية فى القدس . وقبل ذلك فإن المهم أن نحلل المعنى الحقيقى للقدس فى نفوس العرب ... إن اسم القدس وحده كاف لاثارة المشاعر وتحريك العواطف . فكلمة القدس تبعث فى الخيال رؤى لمدينة كبيرة مسورة تذخر بالكنائس والمساجد والأضرحة ... مدينة مقدسة هكذا كانت ، ولكنها لم تعد الآن كذلك ، فهى فى الحقيقة تتألف من ثلاثة أجزاء متميزة بعضها عن بعض .

فالقطاع الغربى من القدس سقط تحت الاحتلال الاسرائيلى عام ١٩٤٨ وهو الآن خليط غريب من المبانى الحكومية والعمارات السكنية والضواحى الآخذة فى الاتساع ، والشوارع المزدحمة . ومبانى الجامعة . وهى الآن ليست موضع خلاف مباشر فى صراع الشرق الأوسط .

والقطاع الشرقى من القدس هو القطاع العربى المحتل ويتألف من جزئين : أولهما المدينة القديمة المسورة التى تضم حائط المبكى ، فضلا عن بيوت

العبادة الاسلامية والمسيحية . ومن بينها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، فالجانب الأكبر منها هو أماكن مقدسة لاحدى الديانات الثلاث .

أما الجزء الثانى من القدس العربية فإن له أهمية سياحية عظمى ، فهو صغير ونظيف ومرتب ، ومعظمه مناطق سكنية ، وهو يضم الكاتدرائيـــة الإنجيلية وجبل الزيتون والبنوك والفنادق الحديثة ومقر محافظة القدس العربية (الذى أصبح الآن مقراً للقيادة العسكرية الإسرائيلية) .

ولا يوجد شىء ذو قدسية خاصة فى هذا الجزء من المدينة . ولكن أهاليه عرب وأرضه عربية . والأهالى هنا ، وكذلك الأهالى العرب بالمدينة المسورة يمتلئون بالسخط ولكنهم يتباهون بقوميتهم العربية .

وبعد حرب ١٩٦٧ لجأ الإسرائيليون — لأسباب مفهومة — إلى هدم الأسوار التى كانت تقسم مدينة القدس إلى قطاع عربى وقطاع اسرائيلى .

ولقد تصور الإسرائيليون أن الأهالى العرب مضطرون إلى التزام الهدوء حيالهم ، من أجل تصريف مصالحهم وتغطية احتياجاتهم اليومية هم وأسرهم .. إلى أن جاء حادث حريق المسجد الأقصى الذى أثار الجراح القديمة وفجر موجة هائلة من السخط والاحتجاج .

ويبدى العرب السخط والامتعاض عندما يدخلون إلى نواديهم وفنادقهم فيجدون الجنود الاسرائيليين الذين يلبسون (الشورت) يلوحون بالمدافع الرشاشة فى وجوههم وهم يفتشونهم ، خلال مرورهم بقاعة الاستقبال .

هذه بعض الأشياء (الصغيرة) التى تجعل الاحتلال الإسرائيلى أمراً غير محتمل بالنسبة للأهالى العرب . وهى تتراكم وتترسب فى نفوسهم يوما بعد يوم وتضاعف الإحساس بالسخط والتحدى عندهم .

وعندما يدخل أى غريب إلى محل تجارى فإن الحديث يتوقف فوراً بين العرب الموجودين داخل المحل .

ويرمق العرب بعين حذرة السيارات التي تحمل أرقاما اسرائيلية . وحتى الأجانب غير الإسرائيليين أصبحت شكوك العرب تحوم حولهم ، خشية أن يكونوا مجندين لنقل الأخبار إلى الإسرائيليين .. إن القدس العربية هى الآن مدينة الحذر ، بل هى أشبه ما تكون بمكان سرى .

وفضلا عما سبق من الظواهر (الصغيرة) فإن هناك أسباباً أكبر تدعو إلى المزيد من السخط . فالقوانين الإسرائيلية تطبق على القدس العربية بالذات ، رغم أنها لا تطبق على سائر مدن ومناطق الضفة الغربية .

واحتجاجا على نقل محكمة الاستئناف الخاصة بالعرب من القطاع العربى من القدس إلى مدينة رام الله بالضفة الغربية ، توقف المحامون العرب عن العمل واعتبروا هذا الإجراء خرقا للقانون الدولى ولقرار مجلس الأمن الصادر فى عام ١٩٦٧ والخاص بمدينة القدس .

ومنذ عامين دعت السلطات الإسرائيلية كبار الشخصيات الفلسطينيـــة للانضمام إلى المجلس البلدى اليهودى ولكنها مازالت تقابل بالتجاهل حتى الآن .

والأهم من ذلك كله هو مصادرة السلطات الإسرائيلية للأراضى العربية فى القدس . فقد استولت على ٨٣٦ فدانا فى المنطقة الشمالية الشرقية للمدينة .

وفى نفس الوقت فإنها تجرى تنفيذ مشروع عاجل لاقامة عمارات سكنية ضخمة فى القدس العربية لكى تنقل نحو (٢٥) الف اسرائيلى للاقامة بها . وبذلك تجعل ضم القدس العربية إليها أمراً واقعاً .

وأحدث مستشفى عربى فى القدس أصبح الآن مقراً لرئاسة البوليس الاسرائيلى . وهناك وزارة واحدة على الأقل — هى وزارة العدل — نقلت

مقرها إلى القدس العربية . وهناك وزارات أخرى ستفعل نفس الشيء . ومن جهة أخرى فقد أقيمت مدينة جامعية لسكنى طلبة الجامعة العبرية على سفح جبل سكوبس .

وهناك مساحات أخرى فى جنوب المدينة قد أدخلت فى برامج مماثلة من أجل توطين الاسرائيليين فيها . وفى داخل المدينة المسورة فإن المساكن التى يقطنها الطلبة العرب قد انتزعت منهم أو هدمت . وقد رفض أصحاب هذه المساكن — بازدراء — أخذ أى تعويضات عنها . وليس هناك من شك فى أن هدف السلطات الاسرائيلية من ذلك كله هو مواجهة العالم بالأمر الواقع . .

وأخيراً جرت مسرحية محاكمة المتهم روهان لدى المحاكم الاسرائيلية ، وعلمه محاميه التظاهر بالعته والخبل ، وتأجلت المحاكمة لاحضار شهود وتقارير طبية تثبت جنونه .

القدس المدينة المهددة(١)

لا حاجة بى أن أؤكد بأن مدينة القدس هى نسيج وحدها وأن هذه الميزة التى تتميز بها القدس تصدق عليها فى جمالها الطبيعى وفى مكانتها الروحية معاً .

وكل من يتسنى له أن يزور القدس سواء كسائح أو حاج أو متعبد أو كسائر وراء الجمال الطبيعى فإنه سيجد فى هذه المدينة الخالدة مالا يمكن أن يجده فى أية مدينة أخرى فى العالم كله — لأن القدس هى وبالاضافة إلى جمالها الطبيعى الفذ هى تراث للانسانية جميعها .

---

(١) مايكل ادمز فى جريدة الدستور ١٩٧١/٩/١٠

ومأساة القدس اليوم تتلخص فى أن السادة الحاكمين فيها المتصرفين بمصائرها يحاولون أن يجعلوا منها مدينة يهودية — كل اليهودية وأن يسلبوها تراثها الإنسانى الذى يقدره ويقدسه العالم بأسره — قديمه ومتوسطه وحديثه .

والحكم الإسرائيلى الراهن يصر على أن تكون القدس مدينة يهودية مئة بالمئة،فإن وجد فيها أناس غير يهود فإنهم مطالبون بأن يعيشوا فيها عيشة قوامها — منحة — من اسرائيل ، لا حق من حقوق أصحاب الحق فيها . كما أنهم مطالبون كذلك بأن لا يجادلوا فى حق اليهود بالسيادة التامة فيها . ومن جادل فى هذه السيادة التامة المطلقة لليهود ، فما يأمن أن يطرد وأن يحرم حق الإقامة ،ولو كان من أبنائها أباً عن جد وجداً عن جد ، إلى ألف عام مضت . واسرائيل ترفض عبارة ضم القدس العربية إلى القسم اليهودى وتقتصر على عبارة استرداد وتوحيد المدينة . ولكن عبارة توحيد القدس التى ترددها اسرائيل هى تضليل فى تضليل ، ففى الحق أن القدس اليوم وهى تحت حكم اسرائيل منقسمة انقساماً ومعزولة عزلة لم تعرفها من قبل ، حيث كانت مقسمة إلى قسمين الواحد اسرائيلى والثانى عزبى ، يفصل أحدهما عن الآخر أرض حرام وخنادق وجند وسور .

والسلطات الإسرائيلية تقوم بحملة واسعة بين سكان مدينة القدس والمقيمين فيها من عرب وأجانب لإقناعهم بأن هدف اسرائيل هو تهويد القدس مئة بالمئة وأن كل معارضة لذلك ستقاوم بقوة السلاح . وأبرز مظاهر هذه الحملة هو برنامج الإسكان الذى استولت بموجبه على أراضى وأملاك العرب وغير العـــرب وتركت المالكين أن يحتجوا وأن يطالبوا بالتعويض . فاحتجوا ما وسعهم الاحتجاج ولكن الغرب لم ينشر كلمة عن تلك الاحتجاجات — كأنما كان عدوان اسرائيلى على الأرض والأملاك حقاً شرعياً .

ومما يزيد من بشاعة عدوان اليهود برنامج الإسكان والعمار لإيواء المهاجرين اليهود ووضع اعتبارات إيواء المهاجرين وتوفير أسباب الرزق لهم فوق كل اعتبار آخر ، فتغاضت اسرائيل عن مقتضيات جمال القدس الطبيعي وعن — مقتضيات احترام قدسيتها ومكانتها العالمية وضحت بكل هذا فى سبيل الإسكان والإعمار ، فشوهت جمال القدس الطبيعي ودنست قداستها وأساءت إلى مكانتها الإنسانية العالمية وأقدمت اسرائيل على كل هذا العـــدوان متحدية بذلك :

١ — حقوق الإنسان للسكان العرب .

٢ — شعور العالم كله الذى يقدس القدس .

٣ — قرارات هيئة الأمم .

ومع ذلك فإن اسرائيل ماضية فى عدوانها ، سادرة فى تحديها دون أن يردعها رادع لأن الدول الكبرى تحمى عدوانها وتحديها .

وأنا أريد أن أذكر هنا مثلا من أمثلة تحديات اسرائيل وعدوانها مع سكوت الدول الكبرى على ذلك وصمت صحف الغرب المريب أمام هذه الجرائم .

أرسلت اسرائيل جنوداً طوقوا قرية النبى صموئيل فى القدس — وهى قرية عربية مئة بالمئة . وطرد الجند السكان العرب ثم نسفوا منازلهم ليقيموا مكانها مساكن للمهاجرين اليهود ، كتتمة لبرنامج الإسكان والتعمير فى المدينة المقدسة وكانت سلطات اسرائيل قد عوضت مبلغ (١١٥) جنيها لأصحاب المنازل العرب فرفضوا .

وقد أثارت جريمة اسرائيل ضمائر مندوبى الصليب الأحمر ومندوبى الدول الأجنبية فى القدس . ولكن لم تتحرك دولة منها ولم تنشر صحيفة

فى بريطانيا أو أميركا كلمة عن تلك المأساة . وضاعت احتجاجات روحى الخطيب أمين القدس العربية وضاعت معها الاحتجاجات التى نشرتها صحف الفاتيكان .

وتقتضى الأمانة أن أقول هنا : أن أميركا تعلن حرصها على سيادة وحقوق جميع الدول فى المنطقة ، ولكن أعمال أميركا وتغاضيها عن عدوان إسرائيل تثبت أن أميركا تقول مالا تفعل ، وانها تحابى إسرائيل على حساب العرب ولست أدرى ؟ أترانى جاداً فيما أرجو من مجىء اليوم الذى عسى أن تنشر صحف أميركا أسراراً خفية عن سياسة الحكومة الأميركية فى منطقة الشرق الأوسط ، تفضح حكام أميركا كما فضحت صحيفة نيويورك تايمز خفايا سياسة الرئيس جونسون فى حرب فيتنام، بما نشرت من أسرار وفضائح تلك السياسة .

التعدى على الأماكن المسيحية المقدسة :

فى يوم ١٩٧١/١/٢٤ دخل يهودى أميركى كنيسة القيامة متظاهراً بالزيارة وأخذ يطوف فى أرجائها واغتنم فرصة خلو القبر المقدس من الزوار، فاقدم بكل حقد وبتصميم وبسرعة جنونية على تحطيم قناديل الزيت والشموع المقامة على القبر المقدس وداسها برجليه . ولقد لفت صوت تحطيم القناديل انتباه أحد الرهبان المنوط بهم الاشراف على الكنيسة فتوجه نحو الصوت وقد صعق حين مارأى رجلا غريباً معتلياً ظهر القبر المقدس ودائساً عليه بقدميه بشدة وعزم ينمان عن حقد دفين . فسارع ليوقفه ويمنعه . وعندما رأى الرجل المعتدى الراهب قادماً نحوه أخذ يضربه بقبضة يديه وهو يحاول الفرار من المكان ، فاستنجد الراهب باخوانه المتواجدين فى الكنيسة للحراسة . وبعد مطاردة قصيرة ألقوا القبض على المعتدى وسلموه للبوليس للتحقيق ، وتقول جريدة ها آراتس اليهودية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٣/٣١ أن التحقيقات

الأولية كشفت للسلطات أن الرجل الغريب هو يهودي أميركي وقد أحالته على المحكمة فأصدرت الأخيرة أمراً بتوقيفه مدة (١٥) يوماً رهناً للتحقيق .

ولكننا نخشى أن يصدر تصريح رسمي يقول أن الرجل مصاب بالجنون — تماماً كما أعلنوا عن الشخص الذي أحرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ .

لاتقترفوا أخطاء الصليبيين(١)

في سنة ١٩٥٥ وجه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي في مجلة (فرونت بيج) إلى الشعب اليهودي في إسرائيل باسم التاريخ ، تحت عنوان (لاتقترفوا أخطاء الصليبيين) ينصح فيه بدراسة تاريخ البلاد المقدسة في فترة الحملات الصليبية والتشابه الكبير بين تلك الأوضاع والظروف الحالية التي تعيشها المنطقة . وفيما يلي انذار توينبي و نصيحته :

أن العبرة في ما آلت إليه قلة من الصليبيين التي استوطنت هذه البلاد وتحدثت بلغة أهلها واقتبست تراثهم وسالمتهم وتآخت معهم وربطت مصيرها بمصيرهم . فكان لها كريم العيش على أرضهم . بينما الأكثرية الساحقة من الصليبيين تعالوا عن الاندماج واستمروا في عليائهم ، فوجدوا أنفسهم في يوم بعد معركة حطين غير قادرين على الاستمرار على العيش فوق ترابها .. فخرجوا . . .

وكان التخلف والتفسخ والفوضى والفساد تجثم على صدور العرب .. فصال الصليبيون وجالوا وانتصروا في عشرات من المعارك وهددوا واستفزوا

---

(١) الدفاع ١٠/٣/١٩٧١ .

ماشاء لهم زهوهم وخيلاؤهم — معتقدين أنهم قادرون على طرد العرب وطمس معالم العروبة فى هذه البلاد بحد السيف ، تماماً كما اعتقد حكام إسرائيل بعد كل جولة منذ عام ١٩٤٨ — وما يزالون يعتقدون بأنهم قادرون على فرض شروطهم للتعايش مع العرب من موقف القوى . غير أن انكسارات العرب المتتالية فى عهد الصليبيين قد فتحت عيونهم على عيوبهم ، فعرفوا أن سر قوتهم فى وحدتهم وتفانيهم ... ووراء صلاح الدين ساروا فقطفوا ، ثمار النصر يوم ٣ تموز سنة ١١٨٧م فى حطين . لقد كسب الصليبيون على العرب فى مدة تسعين عاماً تقريباً فترة حكمهم فى المنطقة كثيراً من المعارك ، إنما خسارتهم لمعركة واحدة فقط خسرتهم الحرب ، فتبخرت أحلامهم وآمالهم ولذا لم يروا سبيلاً سوى ركوب البحر والعودة إلى أوطانهم الأصلية .

وكما ذاق الأجداد الهزيمة جرعة جرعة ، فكذلك يذوق الأحفاد مرها وبالقدر الذى كانت تتعمق به مدارك الأجداد بحثاً عن أسباب ذلك ، يدرك الأحفاد اليوم عوامل وابعاد هوانهم ، فلما عقد الأجداد العزم تحقق لهم النصر . وعندما يتمكن الأحفاد من اقتفاء آثار أجدادهم فلن تستطيع قوة مهما تآمرت وبطشت من الوقوف أمامهم لنيل حقهم كاملا . . وما أشبه الليلة بالبارحة . . »

وهنا تكمن أهمية نصيحة توينبي وعمقها . فخيلاء حكام إسرائيل فى عام ١٩٦٧ وقصر نظرهم تشبه عنجهية أمراء الصليبيين وغباءهم بعد كل انتصار عسكرى على أجدادنا . وكما أسكرت تلك الجولات الأكثرية الساحقة من الصليبيين فإنها تسكر اليوم حكام إسرائيل ومن يدور فى فلكهم الصهيونى . وكم من نشوة خطفت عقولا .

يطالب توينبي الأكثرية الساحقة من الاسرائيليين أن تسير على نهج الأقلية الصليبية وعلى خطاها . . فهو طريق الأمن والاستقرار والسلام والرخاء »

وفى اعتقاده أن الطريق مازال مفتوحاً والجسر قائماً للوصول إلى هذه الغاية المثلى . إنما على أصحاب النفوس الكبيرة الرزينة فى إسرائيل العمل بسرعة وبتصميم وتفان من أجل تحقيق المطالب التالية :

١ — إخلاء القوات الإسرائيلية للمناطق التى احتلتها مؤخراً بدون قيد أو شرط .

٢ — تعويض حكومة إسرائيل للبلدان العربية عن جميع الخسائر المادية التى تكبدتها ونتجت بفعل العدوان .

٣ — إعادة اللاجئين الفلسطينيين وفقاً لقرارات الأمم المتحدة .

٤ — التزام حكومة إسرائيل بحل القضية الفلسطينية من منطلق قرارات التقسيم سنة ١٩٤٧ .

٥ — حل وثائق الحلف الدنس وإلى الأبد بين حكام إسرائيل وبين الاستعمار والامبريالية .

٦ — العمل المخلص الأمين لمحو صورة إسرائيل كحارس للاستغلال الاستعمارى فى منطقة الشرق الأوسط وكمؤدب لطلاب الحرية والاشتراكية والوحدة فى العالم العربى .

لقد نصح توينبي — على لسان التاريخ وأنذر فليفهم أولو الألباب .

انتهاك حرمة القدس(١) :

أصدرت اسرائيل القانون رقم ١٠ / ٦٧ (قانون المحافظة على الأماكن المقدسة) وهو يقضى بأن من حق كل شخص من أبناء الطوائف أن يصل

(١) ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى للشيخ عبد الحميد السائح ص ٦٠ — ٧٠

الى الأماكن المقدسة بالنسبة اليـه دون المساس بأحاسيسه ومشاعره بالنسبة لتلك الأماكن .

ان اصدار القوانين والأنظمة المشـــار اليها أتاحت المجال لبعض الاسرائيليين بإقامة الدعاوى ٢٢ / ٦٧ لدى محكمة العدل العليا الاسرائيلية طلب فيها اصدار القرار بأن الاشراف على جبل البيت — أى على جميع الأراضى التى يقوم عليها الحرم القدسى الشريف — يجب أن يكون فى أيدى أناس يهتمون بحراسته كمكان مقدس لأبناء الطائفة اليهودية . والدعوى المشار اليها تقوم على الزعم بأن المكان الذى يسمى جبل البيت هو مكان مقدس يهودى وليس اسلامياً .

والدخول فى صلب الدعوى واعتبار المكان بأنه مقدس لأبناء الطائفة اليهودية يعنى الاستيلاء على أرض الحرم الشريف وازالة الأبنية الاسلامية والمسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة وجميع الأبنية الأخرى .

بتاريخ ١٩٦٧/١٢/٦ نشرت جريدة معاريف نبـــأ زيارة لجنة وزارية خاصة بالأماكن المقدسـة وقد قررت شق ممر من ساحة المبكى الى الأحياء القريبة من البلدية القديمة وتوسيع الحائط فوراً وهدم المنازل الواقعة فى ذلك المكان ، كما سبق أن هدموا حارة المغاربة والمسجدين الموجودين هناك من أملاك الأوقاف الاسلامية الخيرية .

بتاريخ ١٩٦٧/٨/١ عقد اجتماع فى قاعة هيكل سليمان بالقدس الجديدة بدعوة من حزب مزراحى العالمى، وقد تمثلت فيه الجاليات اليهودية فى بريطانيا وكندا وفرنسا وأميركا وقد تكلم فيه حاخام نيويورك وزعيم الصهيونية فيها . كما تـكلم وزير الأديان وحاخام بريطانيا الأكبر . ومما جاء فى كلمة وزير الأديان أن تحرير القدس وضع جميع المقدسات المسيحية وقسما مهماً من

المقدسات الاسلامية تحت سلطة اسرائيل، وأعاد الى اليهود جميع مقدساتهم فيها . ولكن لاسرائيل مقدسات أخرى فى شرق الأردن .

الحرم القدسى هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود ولايزال مقدساً لديهم لكنه لا يزال مقدساً لدى ديانة أخرى-يعنى الاسلام. ثم قال ونحن لا نفكر فى بناء الهيكل ومن الجميل دفن هذه الفكرة فى الأيام الحاضرة لكن هذا لا يعنى أن نمتنع عن القيام بعمل ما نستطيع الخ . .

وقد انتهت الدعوى بأن الوقت لم يحن للسماح لليهود بالصلاة فى الحرم مما حمل عضو الكنيست صموئيل تامر والمحامى يعقوب حيروتى وموشه الياس على تقديم طلب بتاريخ ١٩٦٩/٤/٢١ الى محكمة العدل العليا الاسرائيلية بالقدس ضد وزارة الشرطة لبيان الأسباب التى تحول دون اعطاء اليهود حرية الصلاة فى الحرم القدسى، كما ذكرت جريدة يديعوت بتاريخ ١٩٦٩/٤/١ .

فى ١٩٦٩/٤/١١ نشرت جريدة يديعوت تحت عنوان «حث على الصلاة فى الحرم القدسى» مقالا جاء فيه : لماذا يحظر علينا الصلاة فى الحرم القدسى؟ ألم تعط الأوامر فى اليوم الذى يحرر فيه الحرم القدسى" لاقامة الهيكل فيه من جديد . ومن أجل اقامة هذا الهيكل يجب توضيح جميع التفسيرات التى تراكمت خلال الألفى سنة من التشريد والنفى من أجل اعادة بناء الشعب الذى عاد الى وطنه .. ومن الغريب علينا أن نكون متعصبين للدين المحمدى أكثر من تعصبنا لديننا ومعتقداتنا ، ونوافق على الأمر الواقع الذى تم أثناء غيابنا عن أرض الوطن عندما اغتصب المسلمون الحرم القدسى وشيدوا عليه أماكن مقدسة لهم .

بتاريخ ١٩٦٩/٩/٢ وفد جماعة من البيتار التابعة لحزب حيروت وأدوا الصلاة فى الحرم القدسى وتلوا أناشيد من المزامير والنشيد المميز للبيتار . وقد دخلوا ساحة الحرم من باب المغاربة وقال مرشد الجماعة باللغة الفرنسية أنهم الآن يقفون فى أقدس بقعة للشعب اليهودى وأن الهيكل الذى استولى عليه الأجانب على أرضه سيبنى من جديد .

لا سلام بدون القدس(١) :

... ولكن قمة المأساة فى الشرق الأوسط وصورتها البارزة هى مأساة القدس . ومن الطبيعى أن تحل المآسى بالأفراد والجماعات ، ولكن الأفراد والجماعات على السواء هى مخلوقات عابرة وذات أجل وتنتهى مآسيها بزوالها عن مسرح الحياة . ولكن هذا الشىء لا ينطبق على المدن التاريخية والتى تشكل أبنيتها وحجارتها وأزقتها وأماكنها المقدسة وذكرياتها والارتباط بها، رمزاً وروحاً أزلياً لا يمكن قهره .

وإن عذاب هذه الأرواح أبدىّ لا يزول ، مهما كان حجم وضخامة التدنيس الذى لحق بها . وهذا هو حال القدس الخالدة والتى كتب عليها أن تقاسى الآلام العظيمة الموازية لمجدها الخالد . انها لمدينة جميلة حزينة وقورة ، ترك التاريخ معالم عبئه الثقيل عليها وعلى شعبها ، والمتمثل بكوارث الماضى وعدم استقرار حاضرها وتخوفها المرعب من المستقبل .

ما هو حال القدس اليوم ؟

إن عملية تغيير معالمها وتفكيك أوصالها قائمة بشكل مستمر حتى كادت لا تعرف ، ويجرى تطويق المدينة من جميع الجهات بأبنية من الأسمنت البشعة ، مخالفين بذلك أبسط القواعد التى تنظم أوضاع المدن القديمة ذات الطابع التاريخى . ويجرى ابتلاع المدينة المحتلة بشكل قاس ومحكم من قبل الدولة الإسرائيلية . وان سكانها العرب الذين عاشـــوا فيها قروناً عديدة يجرى اغراقهم بسيل من الإسرائيليين المستوردين ، قاضين بذلك على الطابع السكانى والثقافى والحضارى والقومى لهذه المدينة .

---

(١) من خطاب السيد عبد الله صلاح وزير خارجية الأردن الذى ألقاه يوم ٤/١٠/١٩٧١ فى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ومن خلال التشريعات والتنظيمات الإدارية ونقل السكان وأعمال العنف والإرهاب تقوم السلطات الاسرائيلية بتخطيط مدروس للإجهاز على المدينة العربية المحتلة .

يسمى الإسرائيليون ضمهم للمدينة توحيداً لها . ولا يمكن أن يكون هناك توحيد عندما تستعبد مجموعة مجموعات أخرى وتدوس على كرامتها الانسانية وروحها وأرضها .

ويدعى الاسرائيليون أن القدس لم تكن يوماً عاصمة لأية أمة . هل ينكر الاسرائيليون أن القدس كانت خلال التاريخ موضع احترام وتقديس وأمل لملايين المسلمين والمسيحيين فى العالم .

اننا يا سيادة الرئيس ، كنا وبكل فخر ولمدة ألف وأربعمائة سنة حماة القدس . وقبل ذلك بقرون حتى قبل أيام ابراهيم — أنشأ أجدادنا المدينة واستوطنوها والمناطق المحيطة بها .

ان جذور تاريخنا وديننا تربطنا بالقدس . ولا يمكن أن نسمح بأى شكل من الأشكال أن يقتطع منا بالرغم من احتلال المدينة المقدسة حالياً من قبل القوى الاسرائيلية السياسية والعسكرية .

وبالرغم من احتجاجات القادة والشعوب فى جميع أنحاء العالم والتى ذهبت أدراج الرياح، بالرغم من التوبيخ العلنى لاسرائيل من قبل أعز صديق ومساند لها ، فإن اسرائيل قد مضت قدماً فى تدنيس المدينة المقدسة واغتصاب أراضى الملاك العرب واشادة أبنية شاهقة بشعة ليسكن بها الاسرائيليون .

ان الأبنية بحد ذاتها تشوه المدينة التى كانت فى السابق جميلة ، ولكن

طرد السكان مسلمين ومسيحيين من المدينة المقدسة جريمة لا تغتفر بحق إله المسيحيين والمسلمين واليهود .

والهدف الاسرائيلى مرسوم بوضوح ، بغرض قتل الروح فى بقايا المدينة العربية وبقايا سكانها العرب . وحقيقة الأمر أن الهدف الحقيقى لما يسمى بخطة التطوير الاسرائيلية ترمى الى عزل القدس العربية كلية عن بقية الضفة الغربية للأردن والعالم العربى ، بمسلميه ومسيحييه ، بإقامة ستار من الأبنية ، التى تحيلها الى (غيتو) آملين أن يذوبوا فيه على مر السنين .

إننا نعلنها بأعلى الأصوات ، لا سلام بدون القدس .

الحفريات الأثرية

رأى الجمهور البريطانى بعض التماثيل الضخمة للثيران والمسوخ المجلوبة من العراق والتى عندما عرضها العالم ليارد فى المعرض الكبير عام ١٨٥١ اعتقد هذا الجمهور أن الأراضى المقدسة تخبىء مثل هذه العجائب وذلك بسبب الشوق الذى كان يتزايد بما جاء فى التوراة عن المواقع التاريخية فى فلسطين .

ولقد أظهرت رحلة العالمين الأميركيين ادورد روبنسون وايلى سميث كثيراً من أسماء القرى العربية التى لا تزال تلفظ كما وردت فى التوراة(١). وزاد فى أهمية ذلك مقالات وثيقة المعلومات نشرها جورج غروف .

لهذه الأسباب نشأت رغبة أكيدة لدى كثيرمن الانكليز لزيارة الأراضى المقدسة والعمل على خدمتها . من ذلك اندفاع المحسنة أنجيلا بوردت كوتس لتقديم عون مالى لتحسين موارد الماء فى القدس ، فقام السير شارل وارن S.warren بمسح تمهيدى لتحقيق هذا المشروع الخيرى .

وهنا قدم القنصل البريطانى فى القدس اقتراحاً يوحد جهود الأفراد فى شكل من الأشكال المنظمة — وتلبية لهـــذا الاقتراح أسست فى لندن فى ٢٢ حزيران سنة ١٨٦٥ مؤسسة التنقيب الفلسطينية The Palestine Exploratin Fund فكانت أول جمعية علمية ، تقوم بالتقيبات واحتلت مكانة خاصة كرائدة فى دراسة الآثار .

---

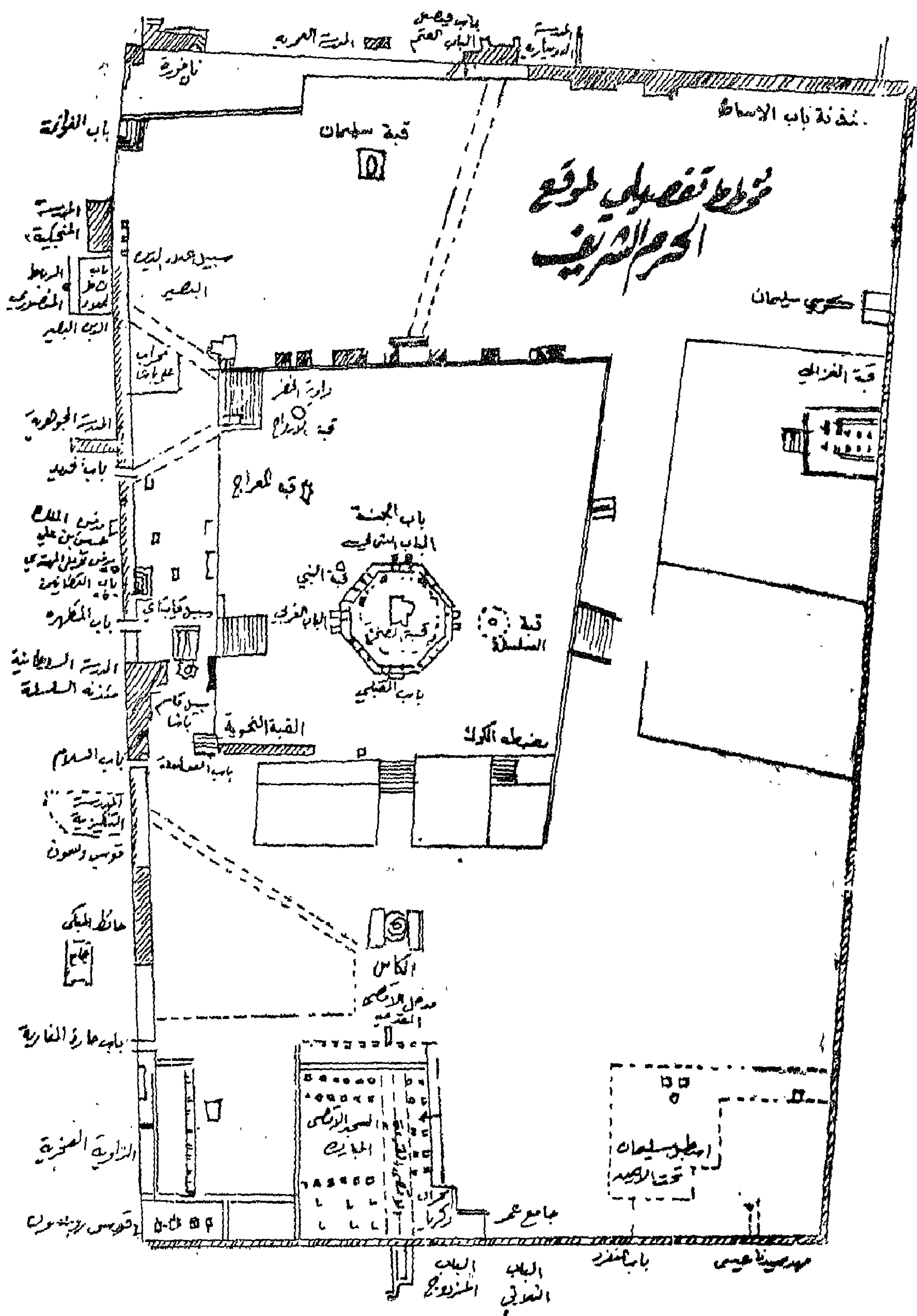
(١) معظم الأسماء المذكورة فى التوراة من أصل كنعانى .

ركزت هذه الجمعية أعمالها على القدس — لما لها من المكانة الدينية ولذلك وضع المهندسان شارل ولسون وشارل وارن الأسس لدراسة طبوغرافية القدس ومعرفة تاريخها .

وفى الوقت ذاته كان شاب موظف فى القنصلية الفرنسية بالقدس اسمه كليرمونت غانو Clearmont Ganuea يزاول هوايته فى اكتشافات أثرية خاصة وقد وفق لاكتشاف آنية مزدانة برسوم خرافية بديعة النقوش وجدها فى قبر على طريق الآلام . ورأت المؤسسة أن تضم جهوده إلى أعمالها لتستفيد من مؤهلاته وفى سنة ١٨٧٤ اكتشف تماثيل جوبتر وفينوس فى المجارى تحت المحكمة الشرعية (قرب باب السلسلة) ثم نزع بلاطاً من ساحة الجنوبى ، فلم يجد أكثر من الآثار الإسلامية .

وكان هناك مهندس سويسرى يقوم بمهمة تبشيرية اسمه كونراد شيك وقد اكتسب خبرة ممتازة فى التعرف على تاريخ المدينة ، وقد ركز بنوع خاص على دراسة التضاريس الصخرية التى تقوم عليها أبنية القدس الحالية وعلى رسم الخطة لإعادة بناء الهيكل على جبل مريا ، حيث شرع ابراهيم يضحى بابنه . وهو يظن أنه كان حيث يقوم الآن مسجد الصخرة .

وفى سنة ١٨٧٦ أصدر المهندس كتشنر مجموعتين من رسوم عن مشروع مسح فلسطين الغربية ، وكان صندوق اكتشاف فلسطين الذى أنشأه البريطانيون عام ١٨٦٥ هو الذى جعل أحباء صهيون يفكرون فى فلسطين الكبرى ، كما أن هذا الصندوق يدل على أن البريطانيين أبدوا اهتماماً بفلسطين واكتشاف مناطقها وصنع الخرائط لها فى وقت مبكر يسبق احتلالهم لها بوقت طويل . وقد وضع صندوق اكتشاف فلسطين بين يدى أحباء صهيون خريطة جديدة لفلسطين عام ١٨٩٠ تحتوى على جميع المعلومات التى حصل عليها من أعمال المساحة والتنقيب التى قام بها . وتصل حدود فلسطين فى هذه



مخطط تفصيلي لموقع الحرم الشريف
قبة سليمان
مئذنة باب الأسباط
كرسي سليمان
قبة الغزالي
باب الغوانمة
المدرسة المنجكية
الرباط المنصوري
باب الناظر
سبيل علاء الدين البصير
المدرسة الجوهرية
باب الحديد
باب القطانين
باب المطهرة
المدرسة السلطانية
مئذنة السلسلة
باب السلام
المدرسة التنكزية
قوس ولسون
حائط البراق
باب حارة المغاربة
الزاوية الفخرية
قبة المعراج
باب الجنة
الباب الشمالي
قبة النبي
الباب الغربي
قبة الصخرة
قبة السلسلة
الباب القبلي
القبة النحوية
مصطبة الكرك
سبيل قايتباي
سبيل قاسم باشا
الكاس
المسجد الأقصى المبارك
جامع عمر
اصطبلات سليمان
الباب المزدوج
الباب الثلاثي
باب مفرد
مهد سيدنا عيسى

الخريطة حتى بعلبك شمالا وتشمل ضفتي الأردن ، أي المنطقة التي اصطلح رجال الصندوق على تسميتها فلسطين الغربية وفلسطين الشرقية(١) .

ولقد كان أهم أهداف هذه المؤسسة خدمة اليهود فقد ذكر الجنرال شارل وارن في كتابه « أرض الميعاد » عام ١٨٧٥ أنه في الاستطاعة اسكان خمسة ملايين يهودي في أرض فلسطين والنقب إذا توفرت المياه اللازمة من الشمال من نهر الأردن .

قام وارن بحفريات سنة ١٨٦٧ باسم مؤسسة التنقيب الفلسطينية خلف أسوار الحرم في الجنوب الشرقي واكتشف سوراً قديماً يبدأ من الزاوية الجنوبية الشرقية ، تحت السور الحالي يستمر محاذياً لقمة أوفيل الشرقية حتى يقطع وادي هنوم — تربيون ثم ينعطف حول وادي هنوم ويستمر في سيره حتى يلتقي بالزاوية الجنوبية الغربية للمدينة الحالية. وحسب أن هذا هو السور القديم الذي دافع عن يبوس الكنعانية في وجه جيش داود .

حفر وارن في حاكورة الإمام سنة ١٨٦٧ وفي ثاني سنة ادعى أنه عثر على مصرف للدماء الذي كان في الهيكل. وحتى سنة ١٨٧١ اكتشف أقبية تحت شارع باب السلسلة المؤدي إلى الحرم ، بنيت على صف أو صفين أو ثلاثة من الأعمدة ، عقودها نصف دائرية ، وهو يعتبر هذه العقود استمراراً لقوس ولسون الآتي ذكره . وهناك ممر طويل يسمى الممر السري تحت سطح مستوى الطريق بـ ٣٥ قدماً . وهو لا يمكن إرجاعه إلى ما هو أقدم من العهد الروماني أو البزنطي، بدلالة طراز البناء والفخار الذي يوجد هناك .

كما اكتشف وارن الباب الذهبي في السور الشرقي للحرم . وهو بناء روماني من عهد هدريان . أما السائح بدكر فيذكر أنه من بناء هرقل في

---

(١) دكتور محمود السمرة . في مجلة العربي عدد ١٥٠ الصادر في شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٧١ .

القرن السابع وأغلقه صلاح الدين سنة ١١٨٧ م . وقبـــله ذكره حاج بوردو سنة ٣٣٣ م .

عثر وارن على كتابة باللغـة اللاتينية محفورة على حجرين من حجارة الأقصى التحتا الضخمة وقد وضعت مقلوبة على قاعدة تمثال من عهد الأنطونيين (أنطونيوس بيوس وأنطونيوس أوريلوس) ، ولا يزال معظم الحروف مقروءة ، وهى تذكر خلفاء هدريان بالتبنى . وهذا يدل على أن الحائط بنى بعد الانطونين .

عثر وارن على طريق مرصوفة تحاذى السور من الغرب والجنوب على عمق ٢١ قدماً حفرت بين القرنين ٣ — ٥ م وتحاذى قوس ولسون ، وقد تكون هذه الطريق هى القناة التى ذكرها يويسيفوس فى الغرب من مدينة داود ، خلف الجدار الغربى للحرم محاذية للسور . والحق أن ما عناه يوسفوس هو قناة حزقيا(١) التى تجرى من نبع جيحون فى سلوان إلى عين أم الدرج حفرها حزقيال سنة ٧١١ ق.م بعد حصار سنحاريب الآشورى .

اكتشف جنوب قنطرة ولسون بقايا عقود على عمق كبير وتحتها مجرى على عمق ٤٢ قدماً ، ثم والى الحفر حتى وصل إلى عمق ٥١ قـدماً . وهناك وجد الصخر الذى بنيت عليه أسوار الحرم من الغرب وقد تكون هى التى وصفها يوسيفوس والتى تستمر حتى تلتق بقـوس روبنسون فى الزاوية الغربية الجنوبية . واستعان بضوء الشموع على العمل عندما هبط به الحفر إلى عمق ٨٠ قدماً حول قنطرة روبنسون . وعلى مقربة منها وجد بقايا جسر تحته قناة ماء تمتد عبر الوادى بين التلال الشرقية والغربية . ويعتقد أن هرودس الكبير بنى هذا الجسر لينتقل عليه من القلعة فى باب الخليل إلى الهيكل أو بين ما كان يسمى التلة الغربية والتلة الشرقية .

ثم دار حول السور الجنوبى إلى أن جاء إلى الباب المزدوج الذى كان

---

(١) حزقيا ملك يهوذا . أما حزقيال فانه أحد أنبيائهم .

يفتح على الأقصى التحتا وهو من عصر جوستنيان من القرن السادس بعد الميلاد . وواصل سيره إلى البوابة الثلاثية وهى من الطراز البزنطى ثم واصل سيره إلى أن جاء إلى الباب المنفرد — وهو قوس إسلامى أو بزنطى — لا صلة له بزمان بناء الهيكل . وتنتهى هذه الواجهة من السور بما يسمى مهد عيسى .

يقول المؤرخ بروكوبيوس — وهو أسقف القسطنطينية سنة ٦٥٠ — أن الأقصى التحتا واسطبلات سليمان ومهد عيسى من أبنية جوستنيان ، أخذ حجارتها من محاجر القدس المعروفة بمغارة سليمان بين باب العمود والساهرة . كان ينقلها على عجلات يجر الواحدة منها أربعون ثوراً . وذلك لضخامة هذه الحجارة ، ويؤكد المهندس المبشر كونراد شيك الذى عاش فى القدس ١٨٢٢ — ١٩٠٠ أنها من عصر جوستيان — من طراز أقواسها ونوع دق أحجارها .

ثم يدور وارن حول الزاوية الجنوبية الشرقية ويمشى مع السور الشرقى ويختبر مقدار إرتفاع الأنقاض فى هذا المكان حيث نزل به الحفر إلى عمق ثمانين قدماً حتى يصل إلى الباب الذهبى الذى يرتفع نحو ٤٠ قدماً هو من بناء العصر البزنطى . والعرب يسمونه باب الدهرية . ويتألف من مدخلين تسمى الفتحة الأولى باب الرحمة والثانية باب التوبة . وكان يمر منه موكب أحد الشعانين حتى أغلقه صلاح الدين أو سليمان القانونى فيما بعد .

أغرى وارن خدم الحرم فسمحوا له بدخول الغار الشريف تحت قبة الصخرة . وادعى أنه اكتشف غطاء وأزاحه . وإذا هو يهبط نحو المتر فنزل فيه فوجده يخترق الغار من الجنوب إلى الشمال بقناة ، فسرها بأنها القناة التى كانت تجرى فيها دماء الضحايا أيام الهيكل . وإنها كانت مغطاة بحجارة غشيمة .

بنى حكمه على ما ذكره التلمود من أن الصخرة كانت هى المذبح ، وكان عليها مجرى تسيل منه دماء الذبائح إلى الغار . وفى الغار قناة تجرى فيها الدماء حتى تغور فى الأرض . ولكنه نسى أن المذبح كان فى زمن سليمان وخلفائه من بعده مصنوعاً من المعدن . ولو فرضنا أنه نصب فوق الصخرة فإن آثاره قد إنمحت ولم يبق منها شىء من حفر أو بناء .

قنطرة ويلسون :

يقوم باب السلسلة على قنطرة كبيرة بنيت على جسر اكتشفها توبلر Tobler وسماها على إسم ولسون مدير المساحة فى انكلترة . على هذه القنطرة وعلى غيرها من القناطر أقيم الطريق الذى كان يوصل القسم العلوى من المدينة على جبل صهيون بالقسم الشرقى الذى كان يقوم على جبل المريا فوق وادى تريبون العميق الذى كان ينخفض كثيراً عما هو عليه الآن . علو قنطرة ولسون الباقية حتى الآن ٢١ قدماً واتساعها ٢٤ قدماً وطراز بنائها إسلامى أو بزنطى وحجارتها ليست بضخامة حجارة الأسوار . وكانت نهاية شارع يمتد من باب الخليل غرباً إلى موقع الحرم شرقاً . وقد بنيت الطريق فوق أقواس ونصبت قناطر فوق الردم لتقلل من الهبوط . وفوق قنطرة ولسون بنى الأمير تنكيز سنة ١٣٢٠ م مدرسة تعرف باسمه وكانت تشغلها المحكمة الشرعية .

حول قنطرة ولسون أقواس قال عنها يوسيفوس أنها كانت مجلس اليهود أيام المكابيين — محكمة الحشمناى — فى القرن الثانى قبل الميلاد . ولما كشفت عنها سلطات الاحتلال بعد سنة ١٩٦٧ حولتها إلى معبد، وقد يكون هو بيت الماسونية المبنى على الطراز الرومانى . وتحت هذا الجسر كان شارع قديم ومن أحد هذه الأقواس دخلت سلطات الاحتلال سرباً يوازى

جدار الحرم الغربي وامتد شمالا حتى مر من تحت باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد ، على امتداد مئتي متر . وقد سقف بعقد برميلي وقد بني السرب ليقي المارة ضربات الثـــوار المتربصين للجيش الروماني أو ليتقي به الذاهبون إلى الهيكل من ضرب الجيش الروماني في أثناء الثورة اليهودية .

قوس روبنسون :

عندما كان العالم الأثري روبنسون يقوم بمسح أثري حول الحرم ١٧٩٤ — ١٨٦٤ عثر على قوس في زاوية الحرم الغربية الجنوبية وعلى بعد ١٣ قدماً من الزاوية الفخرية — زاوية آل أبي السعود — وافترض روبنسون أنها نهاية الجسر الذي كان يصل المدينة العليا على جبل صهيون غرباً بالمدينة السفلى على جبل المريا شرقاً . وقال إنها بنيت في القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد ، ويبلغ اتساعها ٥٠ قدماً وارتفاعها ٢١ قدماً وبنيت من حجارة ضخمة تتراوح أطوال حجارتها بين ١٩—٢٦ قدماً . وقد يكون هذا الجسر من أيام هرودس الكبير .

وللجنوب من القنطرة حجارة كبيرة مطمورة بأنقاض ترتفع ٣٥ — ٥٥ قدماً أي أنها تنخفض عن مستوى أرض الحرم بهذه الأقدام . وفيها حجاره ضخمة منحوتة ملساء تكون واجهة بارزة في الوسط ومحفورة على الجوانب بمايشبه السهام أو الحزوز. وهي أهم ما يراه الزائر اليوم من حفريات اليهود الحالية .

وعلى عمق ٢١ قدما كانت سوق مبلطة . وبعد ازالة الردم على عمق ٤٤ قدما وصل المكتشفون إلى الصخر في الغرب والجنوب من حفريات اليهود الجديدة ، كسور هرودس المدفون تحت الأنقاض ويمتد غرباً حتى باب المغاربة (من أبواب المدينة) الذي لم يبق منه فوق سطح الأرض أكثر

من عشرة أقدام والباقى مدفون . ويمتد سور هرودس إلى الشرق حتى يلتقى بالزاوية الجنوبية الشرقية ليكون السور الحالى لساحة الحرم من الشرق، عثر على قوس هدم عند خراب القدس وعلى طريق مرصوف من العصر الرومانى تسير موازية لباب البراق (باب باركلى) .

حفريات باركر :

قام الكابتن باركر سنة ١٩٠٩ — ١٩١١ بالبحث عن كنوز سليمان وقد سمحت له السلطات العثمانية بذلك لشدة حاجتها إلى المال . حفر فى سلوان شمالى عين أم الدرج وكشف الأسراب اليبوسية التى كان الماء يجرى فيها من المنبع فى عين جيحون شرقاً إلى داخل المدينة فى عين أم الدرج غرباً وكان يعتقد أن يؤاب قائد جيش الملك داود دخل منها وفتح المدينة اليبوسية .

ثم حول نشاطه إلى الجهة الجنوبية وبحث عن مداخل سرية توصله إلى الأقصى التحتا ، فلم يجد إلا الصخر على عمق بضع سنتيمترات ، ووجد قنوات الماء التى يجرى فيها ماء المطر الساقط عن أسطحة الأقصى ليتسرب إلى الصهاريج القريبة والتى كانت تسد شيئاً من الحاجة إلى المياه فى أواخر السنة وهو ما أدت إليه الحفريات الحالية وخابت الآمال فى إيجاد مداخل إلى الأقصى .

ولما رشا الحرس مكنوه من دخول اسطبلات سليمان . ولما لم يجد شيئاً زاد فى الرشوة حتى مكنوه من دخول الغار تحت قبة الصخرة ، واقتلع البلاط فوجده راكباً فوق الصخرة مباشرة وليس تحته أى فراغ أو قناة — كما زعم سلفه وارن قبل أربعين سنة ، فليس هناك قناة لمجرى دماء الضحايا . كما أنه لم يجد بير الأرواح الذى كانت تروى الأساطير إنه فى الغار ، عندما تزعم

الرواية اليهودية أن كبير الكهنة كان يناجي الأرواح منه بعد موت أصحابها . ولم يجد أثراً لدماء الذبائح فوق الصخر ورجع إلى ماجاء عن مذبح هيكل هرودس الذى كان يبعد عن قدس الأقداس فى الكهف ٢٢ ذراعاً وأنه بنى من حجارة غشيمة ، وكانت مساحته ٣٠ ذراعاً مربعاً . وكان يرتفع عن الأرض ذراعاً واحداً . أى أنه كان خارج الهيكل .

كل هذا حمله على أن يبحث عن مدينة داود وسليمان خارج هذا المكان ، ربما فى حاكورة الإمام فى الجنوب من خارج الأقصى ، تصديقاً للرواية التى تقول إن مدينة داود لم تتعد وادى صادوك الفاصل بين أوفيل والمريا التى تقوم عليها الصخرة ، واستدل من الفخار الذى جمعه أن مدينة القدس — بدأت حياتها المدنية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة . وليس بألف وخمسماية سنة كما كان يظن .

سرقة الحرم :

وقد جاء فى مقتطف سبتمبر سنة ١٩١١ ، «كان جماعة من الإنكليز ينقبون فى القدس عن الآثار القديمة فسولت لهم نفوسهم أن يحتفروا فى الحرم الشريف ، فأغروا كبير حراسه بالمال وأتموا عملهم ليلا ، فلما نهض الأهلون فى الصباح وعرفوا بالحادثة ثارت ثائرتهم ورفعوا الاحتجاجات والشكاوى إلى المراجع العليا فى الآستانة ، فاهتمت بهذا النبأ وألفت لجنة للتحقيق فى المسألة ، رئيسها عزمى بك متصرف طرابلس الشام وأعضاؤها الفريق هاشم بك ومرعى باشا مدير أوقاف حلب . وشاع أن المحتفرين عثروا على خزائن سليمان وتاجه وصولجانه وتابوت العهد وألواح حجرية ، إلى غير ذلك مما يظن وجوده فى الحرم الشريف . غير أن نتيجة التحقيق لم تظهر بعد .

واللجنة توالى البحث والتنقيب لتجلو الحقيقة . ويخفر محل اجتماعها نفر من الجند شاكي السلاح . وقد دعت إلى استجواب نحو خمسين شخصاً .

وكادت هذه الحادثة تفضى إلى عاقبة سيئة ، فقد هاج الأهلون وحنقوا على المتداخلين فى هذه الحادثة حتى ساد الاضطراب وعم الرعب وتوقع الناس حدوث فتنة واتفق فى بعض الأيام أن تخاصم اثنان من القرويين فذاع الخبر بحدوث فتنة . فأقفلت الأسواق والمخازن وتسارع الناس إلى بيوتهم مضطربين ، جازعين غير أن الحكومة المحلية سكنت روعهم وخففت مخاوفهم فعادوا إلى أعمالهم فى اليوم الثانى .

وترى الأهلين هناك متجمهرين متشوقين إلى إدراك النتيجة وانجلاء الحقيقة ومعرفة ما عثر عليه الإنجليز فى تنقيبهم من العاديات الثمينة .

باب البراق أو باب باركلى :

تحت باب المغاربة المؤدى إلى الحرم من الغرب الجنوبى وفى نهاية حائط المبكى من الجنوب، باب يسمى باب البراق كما سماه المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) وقد غطى جزءا منه الأنقاض فجاء المبشر الأميركى باركلى فكشف عنه سنة ١٨٣٩ فى أبحاثه عن حدود الهيكل (لذا فإن بعض الاجانب يسميه باب باركلى) ولهذا الباب عتبة ضخمة .وفى شمال العتبة أربعة من حجارة ضخمة وتدل على أن الباب من بناء رومانى . وتحت هذا الباب حنية فى الواجهة حولت إلى محراب ذكرى لربط النبى (ﷺ) براقه فى أحد مرابطه التى تشبه مرابط الاسطبل . وعلى هذا المحراب بنى مسجد البراق الذى هدمه اليهود فى حفرياتهم الأخيرة وهم يوسعون امتداد المبكى.وهو يظن (باركلى) أنه أحد أبواب الهيكل الأربعة التى ذكرها يوسيفوس . وتحت الباب درج منحوت من الصخر يصعد من الأرض الواطئة إلى مستوى أرض الحرم .

وفى ١٨٠٠ درس الأب فنسنت سلسلة المداخل المؤدية للحرم والأنفاق المؤدية إلى نبع الماء التى كانت محفورة فى الصخر . وكان أهمها نفق سلوان وطولها ٥١٧ متراً وكان المؤرخون يفترضون أن جيش الملك داود دخل من هذا النفق إلى داخل مدينة اليبوسيين . والآن ينكر علماء الآثار هذا الزعم ويرفضونه لأن مخرج عين أم الدرج كان خارج السور . وفى ١٩٠٩ اكتشف للشرق من عين جيحون دعامة ضخمة لبرج يبوسى كان من تحصينات المدينة التى فتحها داود . وفيما بعد اكتشف كروفوت بوابة غربية لهذه التحصينات من أسوار يبوس التى هدمها الملك داود .

إن شدة حاجة اليبوسيين للماء وكثرة أطماع الأعداء فى مدينتهم حملهم على حفر سرداب سرى يسهل وصول السقاة من المدينة إلى العين . وهى التى اكتشفها وارن لأول مرة سنة ١٨٦٧ .

وفى موسم ١٩٢٣ — ١٩٢٤ كشف مكلستر برجا على تل أوفيل خارج الأسوار وظنه كروفوت فى حفرياته التى قام بها ٢٦ — ١٩٢٨ من عهد داود وسليمان ولكن الدكتورة كنيون أعادته إلى عهد اليونان والمكابيين من القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد .

ولقد اكتشف مكلستر سنة ١٩٢٤ المذبح العالى لليبوسيين وراء السور الغربى فى خندق أوفيل . وفى سنة ١٩٢٦ أكتشف كروفورت سوراً جنوبى السور الحالى ، قال إنه سور سليمان ولكن كنيون قالت أنه لا يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد .

وفى سنة ١٩٣٧ كشف كروفوت فى أسوار مدينة داود البوابة التى كان اتساعها ثلاثة أمتار ونصف وارتفاعها ستة أمتار ، بنيت من حجارة غشيمة . .

السرب أو الممر السرى :

فى حكم اليونان بنى اليهود سرباً سرياً يحمى الذين ينزلون من المدينـــة العالية للصلاة فى الهيكل من رماة اليونان الذين كانوا يتمركزون على تلة أكرا . وقد اكتشف بلس Bliss هذا الممر ســنة ١٨٩٨ وادعى وارن أنه اكتشفه سنة١٨٦٨ .

الجدار الجنوبى :

حجارة السور الجنوبى مدقوقة ناعمة من الطراز البزنطى من عهـد جوستنيان .

بنى جوستنيان كنيسة مارى الجديدة (ولا نعرف مكانها بالتحقيق) على عقود بزنطية مستديرة طرفها الأول على الصخر والطرف الآخر معلق فى الهواء وكانت الحجارة ضخمة ولكنها ملساء .

القدس اليبوسية :

لقد وقفت قلعة القدس اليبوسية فى وجه الغزو الإسرائيلى ، فاصلا بين ما اغتصبوه فى الشمال والجنوب منها ، وبعد أن أمضى داود سبع سنين فى حبرون استطاع أن يفتح القلعة اليبوسية ، وأن يجعلها عاصمة له ، كما بنى فيها ابنه سليمان الهيكل المشهور ، ولكن أين كانت المدينة التى فتحها داود وأين كانت أسوارها وذكرياتهـــا ؟ هذه مشاكل بقيت صعبة الحل حتى قام علماء الآثار يحاولون حلها ففى سنة ١٨٦٧ رأينا كيف أجرى وارن warren حفريات خارج السور الجنوبى الشرقى من الحرم الشريف . وبعد ثلاثين سنة قام بلس Bliss وديكى Dicki بحملة أخرى فى نفس المكان . وبعد ثلاثين سنة أخرى قام مكلستر Macalister بتنقيبات ثالثة . وانتهت هـذه الحفريات بوضع مخططات ظهرت فيهـا ما كان

يسمى حلا لتلك المشاكل ولكن الآنسة كتلن كينيون Kethleen kenyon ما كادت تنتهى من حفرياتها فى أريحا سنة١٩٥٨حتى عزمت على إعادة الحفر فى المكان المذكور . بوسائل علم الآثار الحديثة لأنها كانت تشك فى النتائج التى توصلت إليها البعثات السابقة ، وما كادت تعلن عن عزمها باسم المدرسة البريطانية لعلوم الآثار فى القدس حتى انضمت إليها المدارس الافرنسية والأميركية فى القدس . وهكذا بدأت موسمها الأول سنة ١٩٦٠ .

على هذا السفح الذى ينحدر إلى وادى سلوان حتى عين أم الدرج قامت بحفر عدة خنادق أظهر لها العلوى منها أن ماظنته الحملات السابقة سور المدينة اليبوسية التى استولى عليها داوود حوالى ١٠٠٠ قبل الميلاد ماهو إلا السور الرومانى الذى قام على أسس هيلانية لاتتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد وهناك عثرت على الآبار والصهاريج التى تعود إلى المدينة الرومانية التى بناها هدريان سنة ١٣٥ م باسم إيليا كابيتولينا وكلما توسعت فى الحفر نحو الشمال كانت تقترب من التحصينات القديمة حتى وصلت إلى سور يمكن ارجاعه إلى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد . وقد جدد ورمم بعد حوادث طرأت عليه حوالى سنة ١٤٠٠ ق . م وهو السور اليبوسى الذى وقف فى وجه الغزو الاسرائيل ثم رمم مرة ثانية واستمر حاميا للمدينة اليبوسية التى احتلها الأشوريون حتى سنة ٧٠٠ ق . م وقد لاحظت الدكتورة كينيون أن اليبوسيين كانوا يبنون أسواراً استنادية يملأونها بالحجارة والأنقاض حتى حتى يوفروا بسطة واسعة تقام عليها الأبنية فوق هذا السفح .

وفى الموسم الثانى سنة ١٩٦٢ كشفت كينيون أن هذه الأسوار هدمت أربع مرات فى التاريخ وأعيد بناؤها أربع مرات ، كان آخرها سنة ٥٨٧ عندما هدمتها بابل ودمرت واختفت معالم المدينة اليبوسية، بعد أن خدمت نحو ٨٠٠ سنة ..

وعندما عاد نحميا من السبي البابلي سمح له الفرس بإعادة بناء الأسوار ولكن على مقياس أضيق ، وهنالك ولا سيما في الشمال ظهر السور الذي بناه هيرودس ومن بعده أغريبا Agrippa ٤٠ — ٤٤ م وقد اضطر تيطس لهدمه عند عصيان اليهود ومهاجمة الهيكل سنة ٧٠ م. وقد أدى الحفر هنا إلى إظهار شارع مبلط من القرن الميلادي الأول. وفي الموسم الأخير الذي جرى سنة ١٩٦٤ كادت النتائج تقنع الدكتورة كينيون أن المدينة اليبوسية كانت شرقي أسوار الحرم وعلى هذا السفح المنحدر إلى وادي قدرون . ولم تكن المدينة على جبل المريا حيث يقوم الحرم الشريف اليوم . ولهذه النتائج أهمية خطيرة في تاريخ المدينة المقدسة .

ولقد قامت حملة الموسم الثاني بحفريات اختبارية داخل باب المغاربة فكشفت عن سور وأبنية من أيام الخليفة الفاطمي العزيز بالله في القرن العاشر كما كشفت عن أسوار السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر . وهي أسوار القدس التي نشاهدها في هذه الأيام . كما أجرت حفراً تجريبياً في أملاك دير الأرمن ، فعثرت على شارع أو سوق من أيام المماليك من القرن الرابع عشر . وقد انهارت أبنيته بالسحل أو التآكل . وما زالت مديرة هذه الحفريات ترغب في الازدياد من هذه النتائج .

حفريات للكشف عن الهيكل :

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان اليهود يقرأون تقارير حفريات المدرسة البريطانية ، فيغتاظون منها ، لأنها لم تأت على هواهم ، عندما كانت تذكر أن الحفريات التي أجرتها على أحدث الأصول العلمية ، لم تتوصل إلى تعيين مكان الهيكل .

لذلك كان في طليعة ما بادروا للقيام به بعد احتلالهم القدس سنة ١٩٦٧ هو الإسراع في القيام بأعمال الحفر والتنقيب للوصول إلى أهداف سياسية

بعيدة عن الحق والعلم مهما كانت النتيجة.. وبعد أن فرغوا من أعمال الجرافة في إزالة الأبنية الإسلامية والأوقاف الخيرية والزوايا والمدارس التاريخية الواقعة في منطقة المبكى أسرعوا في هدم الأبنية الملاصقة لزيادة إمتداد الجدار شمالا وجنوباً .

وفي ١٢ نيسان قال البروفسور بنيامين مازار الأستاذ في الجامعة العبرية إن حفريات الآثار عند حائط المبكى في القدس القديمة تهدف إلى الكشف عن الطبقات الدنيا للهيكل الذي بناه هناك الملك سليمان .

وقال البروفسور مازار الذي بدأ الحفريات قبل خمسة أسابيع أن العمل في الموقع الذي يجاور المسجد الأقصى سيستغرق ست سنوات .

ويبلغ طول منطقة الحفريات ٧٠ متراً وعرضها عشرة أمتار . وقال مازار أن علماء الآثار وصلوا حتى الآن إلى الطبقة الرابعة عشرة من الحجارة من أعلى الحائط وإن قطع فخار ونقوداً ذهبية تعود للعصر الفارسي وجدت في الحفريات .

حول المسجد الأقصى :

ركز الصهاينة شرهم على الحرم الشريف ، بما فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، فاستولوا على مفاتيح باب المغاربة وسمحوا لجميع اليهود بالدخول منه دون رقابة . وأضافوا إلى شرورهم أن قاموا بحفريات واسعة تحت الجدارين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى بحجة اكتشاف آثار الهيكل .

في ٣ آذار سنة ١٩٦٨ أعلن البروفسور بنيامين مازار الذي تولى الاشراف على الحفر باسم الجامعة العبرية أنهم وجدوا في الجدار الجنوبي قطعة من وعاء حجري كتب عليه كلمة قربان باللغة العبرية .

وتقول التقارير الرسمية أنه اكتشف مؤخراً خمس درجات مقابلة وموازية للسور الجنوبى القائم حول الهيكل القديم فى المدينة ، وتوصل هذه الدرجات من ساحة هرودس الواقعة جنوب السور نحو بوابة خلدة . وقد اكتشفت الدرجات الخمس على مسافة ثمانية أمتار شرقى الزاوية الجنوبية الغربية. وهذا التقرير أفضى به البروفسور بنيامين مازار فى منزل رئيس الدولة خلال الاجتماع الذى عقدته دائرة أبحاث فلسطين وآثارها .

وقال مازار أن الحفريات الجارية فى المنطقة الجنوبية من سور الحرم تبلغ مساحتها ١٥ × ٧٠ متراً وقد جرت الحفريات على طول السور الجنوبى.

وما لبثت الجدران أن أصبحت بحاجة ماسة لوضع دعامات من جراء الحفريات. وأوصى تقرير الخبراء بعدم الاستمرار فى الحفريات الواسعة فى تلك المنطقة بعد أن أصبح وضع الحجارة فى القسم الغربى من الجدار الجنوبى متداعياً ، وبشكل خاص حجارة حائط المتحف الإسلامى فى الجدار الجنوبى وظهر شقان فى الحائط الغربى للمتحف الإسلامى بالقرب من الزاوية الجنوبية. وهذه الشقوق ناتجة عن ترييح البناء وأن قسما منه فى وضع سىء ينذر بخطر سقوط بعض الحجارة إذا استمرت عمليات الحفر . ويبلغ عمق الحفريات أمام الجدار الغربى عشرين متراً وهذا العمق ينذر بالخطر على سلامة الجدار الجنوبى .

وحتى ١٤ تموز كانت أعمال الحفر مستمرة بجوار الحائط الجنوبى للحرم .

احتجاج الهيئة الاسلامية بالقدس :

فى ١٩٦٩/٧/١١ رفع الشيخ حلمى المحتسب رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس مذكرة احتجاج إلى ليفى أشكول رئيس حكومة إسرائيل هذا نصها :

إن هذه الحفريات تجرى على مشهد من المسلمين وبشكل استفزازى مؤلم . وفى كل ذلك اعتداء صارخ على حقوق المسلمين وقدسية أماكنهم الدينية .

ولقد سبق أن أعلن المسلمون رأيهم بهذا الأمر وهو لايتعدى ماقررته اللجنة الدولية وأشير إليه فى عدة كتابات وتصريحات بأن ملكية الجدار الغربى وما يحيط به من أبنية هى وقف إسلامى وتعود للمسلمين وحدهم وليس لليهود أى حق فيها إلا الزيارة فقط (ملحق ٤) .

إن استمرار هذه الحفريات فى أرض تملكها الأوقاف الاسلامية واستمرار هذا الهدم للأملاك الاسلامية ومواصلة العمل تحت سور الحرم الشريف بالاستناد إلى القوة وسلطة الحكم يعتبر استمراراً للاعتداء على قدسية هذا المكان وتحدياً مثيراً لشعور المسلمين وعدم المبالاة بحقوقهم منذ أقدم العصور .

لهذا فإنى أعود وأقدم هذا الاحتجاج بكل شدة ، معلناً أن المسلمين يحتجون على هذه التصرفات ولا يقبلون بها . آملا أن يوضع حد لها وأن وأن تكونوا عنــــد تصريحاتكم بالمحافظة على الأماكن المقدسة وعدم المساس بها .

قيم دولى على الآثار فى البلاد العربية :

عينت منظمة اليونسكو الدكتور كارل برونر قيما على الآثار والمخلفات الثقافية فى البلاد العربية ليضع حداً لتعديات إسرائيل على الآثار فى الأجزاء التى احتلتها إسرائيل فى حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

وفى ١٢/١٢/١٩٦٧، حضر برونر إلى عمان وأخذ يستمع إلى الشكايات التى قدمتها دائرة الآثار الأردنية ودائرة الأوقاف وأمانة القدس العربية .

وبعد أن أمضى أربعة أيام فى عمان اهتم فيها بالاعتداءات الاسرائيلية باستملاك خمسة مساجد هى مساجد عثمان بن عثمان والمسجد العمرى (الصغير) ومسجد الخانقاة الفخرية ومسجد الشيخ عمر المجرد . وكذلك امتلاك خمس مدارس هى : المدرسة الطيبارية التى بناها الأمير طشتمر عام ١٣٨٦م وفيها قبر الأمير محمد وولده ابراهيم . ودار الحديث التى أوقفها الأمير شرف الدين عام ١٣٧٦م ودار القراء وزاوية أبى مدين الغوث وفيها مسجد ومقام الشيخ عمر المجرد ومدرسة الخانقاة الفخرية التى أوقفها القاضى فخر الدين سنة ١٣٣١ م .

وتعتبر هذه المساجد والمدارس والزوايا وباقى العقارات من أملاك الأوقاف الاسلامية وفيها ١٠٣٨ مسكناً يعيش فيها خمسة عشر ألفاً من العرب .

ويذكر أن الهيئة الاسلامية فى القدس كانت قد قدمت مذكرة فى شهر آيار سنة ١٩٦٨ إلى سلطات الاحتلال احتجت فيها بشدة على قرار وزير مالية سلطات الاحتلال الاسرائيلية المنشور فى العدد ١٤٤٣ من جريدتهم الرسمية والقاضى باستيلاء إسرائيل الفورى على هـــذه المساجد والمدارس والعقارات والأراضى من الأوقاف الاسلامية .

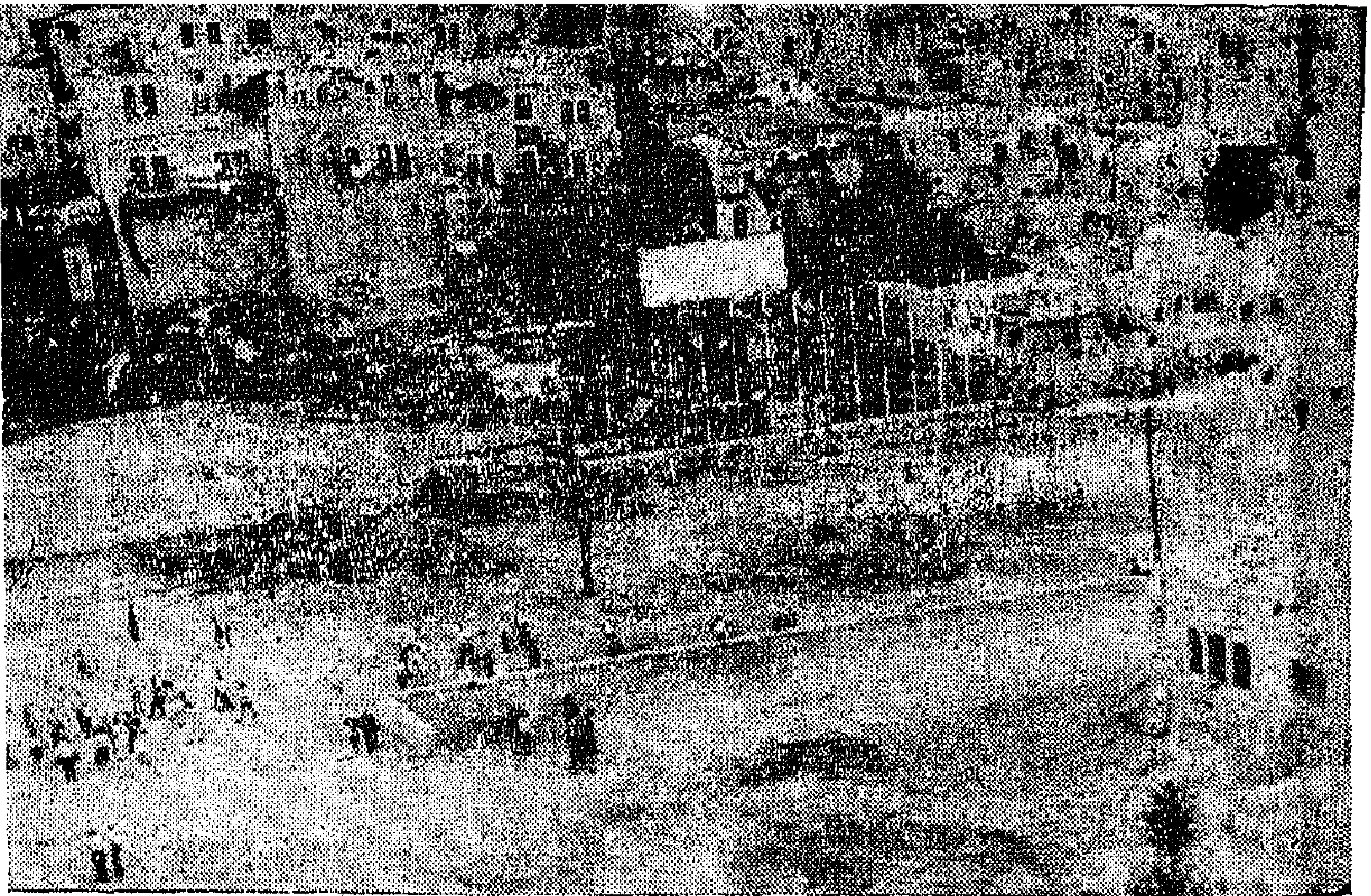
كما أثار المسئولون مع الدكتور برونر موضوع المخالفات الاسرائيلية بشأن منح البعثات الأثرية الأجنبية تصاريح التنقيب عن الآثار فى الأراضى العربية المحتلة .

وكان فى طليعة ماشكت منه الأردن هو استيلاء إسرائيل على مخطوطات البحر الميت وإزالة بعض الأبنية التاريخية والدينية الواقعة فى الجهة الغربية من المسجد الأقصى وتحويل المدرسة الاسلامية الجديدة فى حى المغاربة إلى مدرسة يهودية وقيام تلك السلطات بإجراء حفريات أثرية فى القدس وسماحها لبعثات أجنبية للحفر والتنقيب فى القدس وغيرها من المناطق المحتلة ، بالاضافة إلى المخالفات الأخرى .

وأعدت دائرة الآثار مذكرة تتعلق بإيضاح بعض النقاط المتعلقة بالآثار والمتاحف والأمور الأخرى ذات الصلة بالموضوع وسلمتها إلى القيم الدولى على الآثار .

غادر كارل بروبر القيم الدولى على الآثار فى البلاد العربية عمان إلى القاهرة صباح ١٣ كانون الأول سنة ١٩٦٧ لاستكمال جولته الدولية المتعلقة بحماية الآثار فى المناطق العربية التى وقعت تحت الاحتلال الصهيونى فى عدوان حزيران الماضى . وقد زار لهذه الغاية من قبل كلا من دمشق وبيروت .

وقد سلمته الحكومة الأردنية تقريراً تضمن قائمة بثمانية عشر اعتـــداء ارتكبتها السلطات المحتلة ضد المواقع الأثرية الأردنية فى الضفة الغربية خلافا لاتفاقية جنيف الدولية لحماية الآثار (ملحق ١٢) . وطلبت الحكومة الأردنية منظمة اليونسكو فى هذه المذكرة بالعمل على تنفيذ هذه الاتفاقية الدولية وحماية الآثار الواقعة فى مناطق الاحتلال .



لقد أزيل من هذا المكان ١٥٠ داراً إسلامية كانت تشبه الدور التى ترى فى أقصى الصورة بعد أسبوع من الاحتلال الاسرائيلى فى حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧

وصرح برونر بأنه سيجتمع بعد زيارته للقاهرة إلى زميله الذى عينته اليونسكو للإقامه فى المنطقة المحتلة ، يتبادل معه المعلومات تمهيداً لمباشرة مهمتهما .

موضوعان رئيسان :

وقد تضمنت المذكرة التى سلمتها الحكومة موضوعين رئيسيين الأول يتناول المخالفات الفاضحة التى ارتكبتها سلطات الاحتلال ضد مواقعنا الأثرية والسياحية والمتاحف فى الضفة الغربية ، أما الموضوع الثانى الذى تناولته المذكرة فهو الطلب من الأمم المتحدة العمل على مايلى :

١ — اطلاق سراح موظفى الآثار المعتقلين فى الضفة الغربية .

٢ — عدم السماح باجراء أية حفريات أثرية جديدة من قبل البعثات الأجنبية .

٣ — عدم نقل أى قطع أثرية من مكانها .

٤ — اعادة وثيقة البحر الميت التى سرقتها سلطات الاحتلال ، المقصود بها مخطوطات البحر الميت التى نقلتها من المتحف الأثرى الفلسطينى بالقدس إلى متحفها فى القطاع المحتل وهناك الملف الذى صادرته من تاجر العاديات كندو فى بيت لحم .

٥ — إعادة موظفى الآثار الأردنيين للحفاظ على الثروات الأثرية .

٦ — عدم اجراء ترميمات أو إصلاحات جديدة فى الأماكن الدينية والأثرية .

٧ — وقف إسرائيل عن القيام بأية دعاية مستغلة بها لمواقعنا الدينية والأثرية .

وقد سافر برونر إلى قبرص حيث يلتقى بزميله المذكور . وفى ٨ نيسان سنة ١٩٦٨ تلقت الحكومة الأردنية مذكرة من القيم الدولى تتضمن اعتراف السلطات الإسرائيلية بقصف بعض الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وأثرية خلال حرب حزيران ... وتقول المذكرة أن السلطات الإسرائيلية اعترفت بأنها ضربت بالقنابل مبنى المتحف الفلسطينى فى القدس وإنها أحدثت تلفا فى بعض أقسامه واستعملت بعض أقسامه قاعدة لقواتها لضرب أحياء القدس العربية خلال حرب حزيران . واعترفت كذلك بتحطيم الباب الأوسط للمسجد الأقصى وضرب قبة الصخرة بالقنابل وضرب ممتلكات دينية وكنيسة سان جورج فى القدس وأسوار القدس القديمة ، كما اعترفت بحادث سرقة تاج العذراء فى كنيسة القيامة .

وعقدت منظمة اليونسكو اجتماعاً فى باريس ناقشت فيه تقرير القيمين خلال شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٨ ولما عاد الدكتور برونر إلى عمان سلمته الحكومة الأردنية فى ٢/ ٥ / ١٩٦٨ مذكرة أخرى أجملت فيها المخالفات التى ارتكبتها سلطات الاحتلال الإسرائيلى فى الأماكن الأثرية والدينية فى الضفة الغربية فوق مخالفاتها السابقة ومن بين هذا المخالفات :

١ — إن سلطات الاحتلال قد استبدلت الكتابة العربية فى مسجد النبى صموئيل بكتابات عبرية .

٢ — قامت سلطات الاحتلال بحفريات فى كهف المكفيلة داخل الحرم الابراهيمى فى الخليل .

٣ — قصف كنيسة القديسة حنة ودير الدومينكان بعد توقف القتال فى حرب حزيران .

٤ — أصدرت أمراً إلى سكان المنازل الواقعة بجوار المسجد الأقصى فى

القدس بإخلاء منازلهم فوراً ، إذ أن سلطات الاحتلال تعتزم إزالة المبانى فى تلك المنطقة والتى تشكل طابع البلدة القديمة فى القدس .

٥ — تأكد بأن ثمة حفريات قد بدأت من قبل الجامعة العبرية جهة الحائط الجنوبى لمنطقة الحرم والهدف منها كما تدعى إسرائيل ايجاد الحدود الشمالية للهيكل .

هــذا وقد طلبت الحكومة فى مذكرتها التأكيد على القيم الموجود فى القدس العمل فى وقف تلك الحفريات والمخالفات فوراً . وأن يقوم القيم شخصياً بالتحقيق عن حالة دائرة السياحة فى المنطقة المحتلة . وأصرت الحكومة فى مذكرتها على ضرورة المحافظة على الأرض المزخرفة بالفسيفاء فى قصر هشام بأريحا المكشوفة حالا قبل أن يطوها أى ضرر .

وقد أخذت منظمة اليونسكو بتقارير هــذا الخبير ووجهت إلى إسرائيل عبارات الردع والزجر ، كما ترى فى الملحق رقم ١١ .

تقرير عالم اجنبى :

احتجاج لإسرائيل على عبثها بالآثار ١٣/٥/١٩٦٨ :

قدم الدكتور بول لاب مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية فى القدس مذكرة احتجاج إلى السلطات الإسرائيلية على قيامها بسرقة المخطوطات الأثرية فى المناطق العربية المحتلة وكذلك مواصلة هذه السلطات العبث بالمناطق الأثرية .

وهذا هو التقرير الذى قدمه الدكتور بول لاب .

مقدمـة :

من المواثيق والأنظمة التى تتعلق بالمحافظة على الآثار فى المناطق التى تقع تحت الاحتلال . تلك التوصيات التى أقرها المؤتمر العام لعلماء الآثار فى دورته التاســـعة التى انعقدت فى نيودلهى فى ٥ كانون الأول — ديسمبر — ١٩٥٦ والميثاق الدولى الذى أقرته فى المؤتمر الدولى — المنعقد

فى لاهـــاى سنة ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية فى النزاعات المسلحة (ملحق ١٢) .

وتنص المادة ٣٢ من الميثاق الأول على أنه :

(فى حالة أى نزاع مسلح يقتضى على الدولة التى تحتل الأراضى فى دولة أخرى الامتناع عن القيام بأية حفريات أثرية فى المنطقة المحتلة . وفى حالة العثور على أية آثار بمحض الصدفة ، خاصة خلال الإنشاءات العسكرية ، فإنه يتحتم على الدولة المحتلة اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة لحماية الآثار التى يتم اكتشافها والتى ينبغى تسليمها عند انتهاء الاحتلال إلى السلطة المختصة فى المنطقة التى كانت واقعة تحت الاحتلال ، مع جميع الوثائق المتعلقة بذلك).

ويتضمن الميثاق الثانى عدداً من الشروط الأخرى التى لايتسع هذا المجال لسردها . وكلها تنطبق على الأوضاع التى سيرد ذكرها ، وستتم الاشارة إلى أى شرط من هذه الشروط فى سياق البحث . وعلى العموم فان الميثاق يمنع ازالة الممتلكات الأثرية ، دون إشراف مندوب معتمد من منظمة اليونسكو . يشترط مساعدة أولئك الموظفين الذين كانوا مسئولين عن الممتلكات لمواصلة المحافظة عليها أثناء الاحتلال .

وفيما تعتبر الوثيقة الأولى بمثابة مجموعة من التوصيات فإن الوثيقة الثانية تعتبر نظاماً وميثاقاً ملزماً لجميع الدول الموقعة عليه .

الحفريات فى الأراضى الأردنية المحتلة :

اتخذت السلطات المحتلة عدداً من القرارات والاجراءات التى تتعارض تعارضاً سافراً مع التواصى المتخذة ، فقد وقعت سرقات واسعة وصدرت تصريحات لأثرى أميركى لإجراء حفريات طارئة .

وقد استمرت السرقات رغم محاولات الادعاء بإيقافها . وتم بيع مكتشفات

أثرية فى الخفاء وبواسطة تجار العاديات فى القدس المحتلة . وبذلك أصبح من المستحيل على السلطة المحتلة الوفاء بالتزاماتها بموجب ميثاق عام ١٩٥٤ الذى يوجب على كل من الدول الموقعة على الميثاق منع تصدير الممتلكات الأثرية من المنطقة المحتلة مادام الاحتلال قائماً . لكن الحقيقة تشهد بأنه تجرى سرقة مقابر أثرية فى مدينة الخليل فى الوقت الحاضر .

وفى الوقت نفسه عرضت سلطات الاحتلال على شخصية أميركية مرموقة، لا تملك أية مؤهلات أثرية لاجراء حفريات فى أمكنة هامة من الضفة الغربية وسمحت بإجراء حفريات فى منطقة تل العاصور ونابلس ولم تلق بالا إلى جميع الاعتراضات بأنه يتوجب على البعثات الأثرية الأجنبية الحصول على إذن مسبق من الحكومة الأردنية قبل القيام بأية حفريات . لكن السلطات الإسرائيلية تغاضت عن هذا الإجراء وأصدرت تصاريح الحفريات بموجب القانون الإسرائيلى .

وقد أكد لى المفوض العام لمنظمة اليونسكو أنه لايجوز إجراء الحفريات دن إذن مسبق من الحكومة الأردنية أو دون موافقتها الصريحة على الأقل . وبناء على ذلك فإن أى شخص أميركى يمارس مثل هذه الحفريات يعتبر مخالفاً لجميع المواثيق الموضوعة .

حفريات الحرم القدسى :

إن الحفريات التى جرت فى القسمين الجنوبى والغربى لحائط الحرم الشريف تستدعى اهتماماً خاصاً ، ذلك لأن تاريخ المنطقة التى شملتها الحفريات يعتبر ذروة فى تاريخ التقاليد الإسلامية والمسيحية واليهودية بالنسبة لأى موقع آخر فى العالم . والحفريات البريطانية ـ الافرنسية التى جرت بجوار هذه المنطقة بين سنتى ١٩٦١ - ١٩٦٢ لم تسمح لها دائرة الأوقاف الإسلامية بالاقتراب من جدار الحرم . وقد علمت من المفوض العام لمنظمة اليونسكو

أن اعتراض دائرة الأوقاف الإسلامية على الحفريات التى أجراها الدكتور مازار تحت رعاية الجامعة العبرية كانت أشد كثيراً من الاعتراضات على الحفريات البريطانية - الإفرنسية . لكن هذه الاعتراضات لم تصل إلى حد المجابهة المفتوحة تجنباً للانتقام من قبل السلطات الإسرائيلية .

وقد ألحت جريدة (البوست) الإسرائيلية إلى اعتراضات العرب ضد الحفريات لكن مدير الآثار الإسرائيلى اعتبر القسم العربي من القدس مندمجاً بالقسم الغربى ، وأنه يشكل وحدة أثرية تخضع لقانون الآثار الاسرائيلى . وقد استعمل صلاحيته بموجب هـذا القانون لمنع بعض اليهود المتدينين من إجراء أية حفريات بدون تصريح وبأساليب غير علمية .

ومما ينبغى تأكيده وجود اعتراضات شديدة من قبل الهيئات الأثرية ضد هذه الحفريات . وقد اعترف مدير الآثار فى الجامعةالعبرية بأن المسؤول عن الحفريات لايملك الخـــبرة للحفر تحت الجدار ، وأنه قد يسفر عن تدمير موجودات أثرية عظيمة القيمة لأصحاب الأديان الثلاثة . وتستشعر الهيئات العلمية الأثرية غضباً شديداً لاجراء هذه الحفريات دون تشاور مسبق مع البعثة التى قامت بالحفريات السابقة . مع العلم بأن بعض الحفريات الجارية قد شملت الخنادق التى فتحتها للبعثة البريطانية — الفرنسية . وقد بلغ بهولاء الاسرائليين الحد حتى انهم دعوا الأب دوفو لمشاهدة حفرياتهم ، رغم أنه لم يسمع بتاتا فى تاريخ الحفريات الاثرية العلمية وأوساطها ان قام منقب بحفر مكان سبق لمنقب آخر الحفر فيه دون اذن صريح . ويمكن التأكيد بان الأشخاص الذين قاموا بأعمال الحفر كانوا ما بين ٢٠ — ٢٥ عاملا مأجورا وعددا من المتطوعين والطلاب من الجامعة العبرية وانهم مارسوا العمل تحت اشراف موظفين غير مؤهلين بتاتا .

وبناء على كل ذلك يتضح أن الحفريات قد جرت فى أرض وقفية ضد توصيات المؤتمر السابق الذكر وضد مصالح المسلمين والمسيحيين ، وحتى ضد مصلحة قسم من الطائفة اليهودية ، وأيضاً ضد القواعد العلمية والأصول الأثرية المعتمدة من قبل الهيئات العلمية .

المتحف الفلسطينى الأثرى :

ينبغى القول ، بوجه العموم أن مدير الآثار الإسرائيلى صرح لى وللأب دوفو أن السلطات الإسرائيلية المحتلة تعتبر المتحف الفلسطينى ملكا لحكومة اسرائيل وأنها تديره كقسم من المتحف الإسرائيلى ، ويكفى هنا سرد جانب من تفصيل السياسة التى طبقت والمخالفات التى ارتكبت .

فعندما دخل الجنود الإسرائيليون المتحف يوم السادس من حزيران ١٩٦٧ أجبروا موظفيه العرب بقوة السلاح على الصعود إلى البرج حيث أطلقوا الرصاص فوق رؤوسهم . ثم نقلوهم بعد ثلاث ساعات إلى غرفة ضيقة بجوار غرف مرافق خدمات المتحف . وبما أن السلطات الأردنية لم تستخدم المتحف لأية أغراض عسكرية فإن هذا التصرف الإسرائيلى يتعارض مع المادتين (٤ ، ٥) من ميثاق لاهاى ولأنه قد عرض ممتلكات ثقافية لخطر الحرب والخراب ولأنه أيضاً على حد ماجاء فى الميثاق لم يمكن الموظفين الأردنيين من مواصلة العمل للحفاظ على ممتلكاتهم الثقافية . ولقد مضى أكثر من شهر على نهاية الحرب قبل أن تعيد السلطات الإسرائيلية موظفى المتحف إلى عملهم كموظفين فى الحكومة الاسرائيلية . وبذلك أصبحوا خاضعين لعدد كبير من موظفى دائرة الآثار والمتاحف الاسرائيلية . ويحتوى المدخل المخصص لبيع النشرات على مجموعة هائلة من المطبوعات ذات المحتوى السياسى الدعائى السافر كما يحتوى على مداليات ذكرى (حرب الأيام الستة) .

أما اللوحات التى كانت تحمل التوضيحات باللغتين العربية والانكليزية

فقد حلت محلها لوحات باللغة العبرية وحدها . وهو عمل يتنافى مع احترام الممتلكات الثقافية من قبل السلطة المحتلة .

وقد اتخذ المتحف مركزاً لجمع الأشياء التى اكتشفت بعد الحفريات السطحية وأيضاً لبعض الأشياء الأثرية التى اكتشفت فى اسرائيل . وتم يوم ٢ نيسان (أبريل) ١٩٦٨ افتتاح معرض خاص فى المتحف أعلنت السلطة الاسرائيلية عنه بالشكل التالى :

معرض فى متحف روكفلر :

معرض خاص بالمستوطنين الأقدمين فى وادى الأردن بين الألف الثامن والألف الخامس قبل الميلاد . وقد صدرت الدعوات لمشاهدة المعرض عن المتحف الإسرائيلى بالقدس وذكرت أن مكانه هو (معرض روكفلر) وقد اشتمل معظم المعروضات على صور وأدوات اكتشفت فى أريحا . وكانت قد اكتشفتها السيدة كنيون ، لكنها لم تستشر بتاتاً بأمر العرض . أما المعروضات الأخرى فكانت من اسرائيل .

وفى الوقت نفسه قامت السلطات الاسرائيلية بتنظيم معرض للمخطوطات ونقلت من المتحف الفلسطينى مخطوطات أثرية لا مثيل لها تسمى مخطوط (لاخيش) وليس هذا العمل سوى خرق فاضح لميثاق لاهاى الذى ينص على (وجوب قيام دولة من الدول الموقعة على الميثاق بمنع إخراج الممتلكات الثقافية من المناطق التى تم احتلالها بعد نزاع مسلح وفقاً للمادة الأولى من الميثاق) وصرح كبار المسؤولين الأثريين فى مدارس الآثار فى القدس المحتلة ، إن المعرض الذى افتتح فى المتحف الفلسطينى ما هو إلا كسابقة ومقدمة لنقل محتويات المتحف الفلسطينى فى إسرائيل وما هو أيضاً إلا سابقة ومقدمة لنقل مخطوطات البحر الميت إلى إسرائيل .

مخطوطات البحر الميت :

لا يختلف موقف السلطات الإسرائيلية تجاه مخطوطات البحر الميت عن موقفها تجاه المتحف الفلسطيني . ذلك أنهما موقفان متكاملان . فقدقال مدير الآثار بيران إلى الأب دوفو أن حكومة إسرائيل تعتبر مخطوطات البحر الميت الموجودة فى المتحف الفلسطينى فى الوقت الحاضر ما هو إلا احتفاظ مؤقت ، رغم أن الأب دوفو يقوم بدراستها الآن .

فهذه المخطوطات تخص القسم المسمى (بكتاب المعبد) حيث توجد أقسام أخرى من المخطوطات . وقد قيلت مثل هذه الأقوال بصورة واسعة لجميع علماء الآثار الذين استمعوا إلى مثل هذا الكلام من كل من الدكتور بيران مدير الآثار الإسرائيلى ومن الجنرال يادين .

وقد سحبت من المتحف الفلسطينى بتاريخ ٦ حزيران ١٩٦٧ مخطوطات هامة من مخطوطات البحر الميت بدعوى المحافظة عليها . وتشكل هذه المخطوطات قسما من معرض المخطوطات المسمى (سميثسونيان) Smithsonian وخاصة الجزء الخاص بالمزامير . ولم تتم إعادة هذه المخطوطات إلى المتحف الفلسطينى . ولو كان الزعم الإسرائيلى بأنها أزيلت من مكانها الحقيقى من أجل المحافظة عليها لوجبت إعادتها فوراً . لكن السلطات الاسرائيلية لم تفعل ذلك . وبهذا تكون قد خالفت منطوق المادتين ١٧ و ١٨ من ميثاق لاهاى . كما أنها لم تقم بإعلام المفوض العام لمنظمة اليونسكو عن عملية النقل سواء قبله أو بعده ، وفقاً لمنطوق المادة ١٩ ، وأعتقد جازماً أن عملية نقل المخطوطات يوم السادس من حزيران ١٩٦٧ أثناء الحوادث الحربية كان لهدف معاكس تماماً لهدف المحافظة عليها . فقد كانت المخطوطات محفوظة فى مكان حصين وأمين لا يمكن اختراقه . لكن نقلها من مكانها وتحميلها على السيارات التى تكون عرضة للهجوم ، ينطوى على خرق عنيف لسلامة المخطوطات المذكورة

ولا يعتبر رفعها من مكانها خلال العمليات الحربية بواسطة العدو وقبل إعلان الهدنة ، مهدداً لسلامتها فحسب ، وإنما يعتبر أيضاً انتهاكا صارخاً لمنطوق المادة الرابعة من ميثاق لاهاى ، حول تهديد سلامة الممتلكات الثقافية ، كما أنه يعتبر سرقة لتلك الممتلكات .

وثمة اعتبار آخر فلو اعتبرت إسرائيل جدلا بأنها الدولة الوريثة للمتحف الفلسطينى فإن صلاحيتها تنطوى على مسؤوليات تجاه الالتزامات المتعلقة بالمتحف . ومن قبيل ذلك فإن مجلس الأمناء الدولى أمضى عقداً مع السيدة اليزابيث هاى باكتل ، بأنه مقابل تقديمها دفعة مالية لحقوق نشر مخطوطة المزامير ، فإن هذه المخطوطة ستبقى معروضة بصورة دائمة فى المتحف الفلسطينى ولا تنقل من مكانها إلا لغرض عرضها بعض الأحيان فى معارض أجنبية . وإنه لمن حق السيدة باكتل وشريكها (أسور) أن تطالب بالحاح لإعادة مخطوطة المزامير إلى المتحف الفلسطينى وعرضها فيه . وتوجد فى المتحف الفلسطينى معظم قطع المخطوطات التى اكتشفت فى الكهف رقم ٤ ويقوم فريق دولى فى المتحف المذكور بدراستها . وقد شاهدها الأب دوفو مؤخراً . لكنه قال إن قسما منها أزيل من مكانه بقصد إجراء بعض المعالجات له . وتم تسجيل ذلك فى سجل محفوظ فى المتحف . ومع أن الأب دوفو لم يعترض على ذلك فإنه من المحقق أن مخالفة صريحة قد ارتكبت ضد ميثاق لاهاى وأنظمته ، حول نقل الممتلكات الثقافية من منطقة محتلة إلى منطقة أجنبية ، دون اتباع وتطبيق مقتضيات الميثاق والقيام بهذا العمل تحت الإشراف الدولى ، وفقا لأحكام الفصل الثالث من الأنظمة الملحقة بميثاق لاهاى .

مخطوطات الهيكل :

ويمكن القول إن مخطوطات الهيكل التى ذاعت شهرتها قد أخذت من منزل كاندو فى بيت لحم قبل إعلان الهدنة . وأن هذا العمل يعتبر سرقة

صارخة بموجب القوانين الأردنية . وينتظر أن تظهر تفاصيل أخرى حول مخطوطات إضافية اكتشفت فى الضفـــة الغربية المحتلة . وعن الاستيلاء على أقسام هامة منها هى ملك ثقافى للأردن . لكنها نقلت من المنطقة المحتلة ثم جرى بيعها . ويمكن القول أخيراً أن جميع المواد التى سلفت الإشارة إليها حتى الآن من محتويات المتحف الفلسطينى ، والتى جرى نقلها أثناء الحرب . وكذلك جميع الأشياء التى تم العثور عليها فى حفريات القدس، وأية حفريات أخرى فى الضفة الغربية والقدس المحتلة . وأيضاً جميع مخطوطات البحر الميت التى أكتشفت فى الأردن يجب أن تبقى أو تعاد إلى المنطقة المحتلة خلال ستة أشهر من المطالبة بذلك بعد انتهاء النزاع المسلح وفقا لأحكام المـادة ١٨ من النظام الملحق بالميثاق .

انتهى تقرير الخبير الأميركى الدكتور لاب .

خطر الحفريات الإسرائيلية :

صرح السيد روحى الخطيب أمين القدس :

زارنى صباح يوم للسبت ٢١/ ٧ /١٩٦٨ المستر « رينسنج » ممثل اليونسكو للمحافظة على الآثار فى الضفة الغربية ، ليعرف إن كانت هناك مشاكل جديدة بالنسبة لمنطقة الحرم الشريف ، فأعلمته أن أهم مايشغل بالنا فى الوقت الحاضر الحفريات التى تجرى بقوة فى أملاك الأوقاف الملاصقة لسور الحرم الشريف من الجهتين الغربية والجنوبية وهدم العقارات فى تلك المنطقة ، خصوصاً الأبنية التابعة للزاوية الفخرية ، فوعدنى بمراجعة البروفسور « مازار » خبير الآثار الإسرائيلى والمشرف على العمل وبعض المسئولين ، وطلبت إليه أن يزور الموقع بنفسه، فوعد بذلك وقد تم الاتفاق على أن يعطينى نتائج اتصالاته يوم الاثنين ١٩٦٧/٧/٢٣ . وفى الموعد المحدد تقابلت معه فسألنى عن بعض الموظفين فى المتحف الفلسطينى وهل عادوا لعملهم ؟ فأعلمته أن معظمهم قد

عاد أما السيد عارف العارف مدير المتحف فلم يعد لعمله . أما بشأن موضوع الحفريات فقد أعلمني أنه نتيجة لمواجعته للبروفسور « مازار » أجابه هـذا البروفسور بأن لا حق للأوقاف بالتدخـل في الموضوع ، إذ أن الملك الذي يعملون فيه هو ملك للحكومة الأردنية . وبالتالي فقد أصبح ملـكا للحكومة الإسرائيلية . وهي صاحبة الحق في بحث الموضوع معه . وقد ألمح إلى المستر رينتج أن بامكاننا مراجعة المحاكم لاثبات ملـكيتنا في الملك الذي يجرى العمل



يقف المسلمون على أنقاض مساجدهم وزواياهم التي نسفتها السلطات الإسرائيلية

فيه . وهنا أظهرت استنكاري لمثل هـذا الموقف إذ أن هذا الإدعاء جاء جديداً ولم نسمع به من قبل . وبينت للمستر رينتج أن المقصود من هذا الإدعاء هو التضليل فقط وأن المستر مازار يعلم أننا لانراجع المحاكم . لذلك فقد ألقى بهذا التعجيز . ثم عدت المستر وينتج وتساءلت : وهل يفقد العدل ويضيع الحق في غير المحاكم ؟ وما قيمة البعثات التي تمثل الهيئات الدولية إذا لم تستطع أن تثبت في مثل هذه المسائل؟ وأعلمته أن لدى من الوثائق ما أستطيع به إقناع أي كان بملـكيتنا الأرض المحيطة بالسور من الناحيتين وأوضحت له أنني لا أستطيع أن أكتفي بمثل هذا الموقف من قبله . وهنا أظهر المستر

رينتج تأثره ووعد ببحث الموضوع مع بعض المسئولين ، فتمنيت له التوفيق بالوصول إلى نتيجة لإيقاف العمل وسلمته نسخة عن آخر كتاب للاحتجاج على الاستمرار فى الحفريات والموجه لرئيس الوزراء .

والذى يبدو أنه كانت للجملة الأخيرة من الكتاب ، ومراجعة ممثل اليونسكو بعض الآثار الإيجابية ، فقد كتبت جريدة الجيروساليم بوست فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٨/٧/٢٦ ما ترجمته :

تدخل إيبان فى الحائط تحت الاستجواب :

طلبت حركة المركز الحر الإذن لتسجل استجوابا على قائمة أعمال الكنيست (البرلمان) بشأن توقيف الهدم الجارى على الأبنية المحيطة بالحائط الغربى ، بناء على طلب وزير الخارجية وقد أوضح المستر اليعازر شوستان استجوابه بتضمينه تقريراً اخبارياً يفيد أنه بعد أن أخليت الأبنية موضوع البحث ، وهى المجاورة لباب المغاربة ، وبعد أن تم تعويض أصحابها ابتدأ الهدم . وفى الأسبوع الماضى وبعد أن كتب وزير الخارجية إلى وزير الأديان يطلب إليه توقيف الأعمال خشية أن يكون بينها بعض الأبنية ذات القيمة الأثرية طلب وزير الأديان من العمال أن يستبعدوا الآلات . وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية فى الليلة الماضية ٧/٢٥ أن المستر إيبان طلب أن يتوقف العمل لمدة محدودة للبحث عما إذا كانت المنطقة التى يجرى فيها العمل تقع ضمن المناطق المشمولة بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بحفظ المواقع التاريخية . والذى يبدو أن المسألة ستكون موضع اهتمام اللجنة الوزارية المختصة ويعاد إلى الأذهان أن ممثلى اليونسكو فى إسرائيل والأردن موجودون للمحافظة على المواقع التاريخية منذ حرب حزيران .

نشرت معاريف اليهـــودية بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٧ خبراً خطيراً جاء فيه ما يلي :

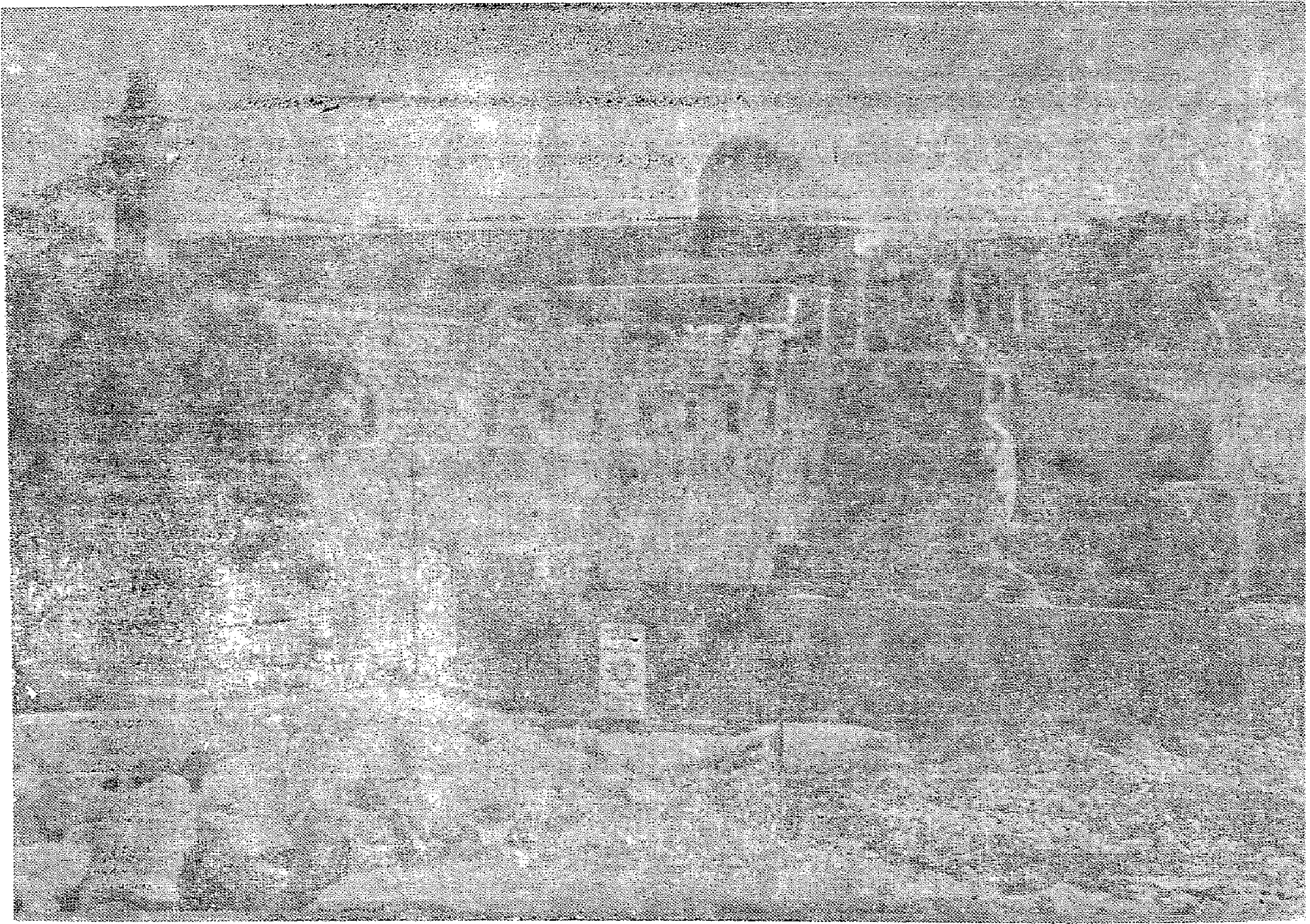
الصقت يوم أمس فى شوارع القدس ، منشورات تحذر من انهيار حائط المبكى ، إذا استمرت الحفريات الأثرية بالقرب منه . ودعا الموقعون على تلك المنشورات ، اليهود المخلصين لمعارضة أعمال الحفريات وإحباطها وأكدوا أن برنامج وضع الحائط الجنوبى وقسم من الحائط الغربى حتى باب المغاربة تحت تصرف وســلطة المنقبين عن الآثار يمس بقدسية المكان ويمنع ويحول دون وصول المصلين ويعرض حائط المبكى إلى الخاطر (انتهى الخبر) .

والحائط الجنوبى المشار إليه آنفاً ، يشكل جزءاً من الحائط الجنوبى للمسجد الأقصى المبارك ، كما يشكل الحائط الغربى . قسما من حائط الحرم الشريف والذى يضم المتحف الإسلامى والمئذنة الفخرية وعمارة المتحف الإسلامى كلها للانهيار ، وسيؤدى انهيارها لتنفيذ مرحلة جديدة من التوسع اليهودى فى سبيل إنشاء هيكلهم الذى يحلمون به .

وبتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت جريدة (يديعوت) اليهودية خبراً أكثر خطورة مما سبق ، أوردت فيه أن الحفريات عند الزاوية الغربيـة الجنوبية للحرم (جبل البيت كما يسمونه) قد وصلت إلى عمق (٣٥) متراً عن سطح الأرض .

هآرتس ١٩٧١/٢/٢٢ :

علم أن واجهة حائط المبكى الممتدة اليوم على طول ٦٠ متراً ستتوسع قريباً بضم عشرة أمتار إليها ، بعد تنفيذ مشروع إزالة خرائب المبانى الواقعة تحت



(٠٠) لقد أزيلت جميع الأبنية الاسلامية من زوايا ومساجد ومدارس كانت تلاصق جدار الحرم الشريف . ولم تبق إلا مدرسة البنات التي وضعت عليها نجمة إسرائيل وتحولت إلى محكمة ربانية يهودية وأخيرا تقرر هدمها

مبانى المغاربة المؤدى إلى الحرم . وأشار الناطق بلسان وزارة الأديان الذى أفضى بهذا النبأ بأنه يوجد قرار مبدئى بهذا الشأن . وقد طلب إلى دائرة الأشغال العامة تقديم اقتراحاتها لإزالة أنقاض مبانى دار أبى المسعود وبناء جسر يؤدى من ساحة حائط المبكى إلى الحرم عبر باب المغاربة . وستظهر مساحة واسعة عند إزالة الأنقاض الآن ستاراً يحجز الوصول إلى حائط المبكى . وفهم أن كافة العمليات من إزالة أنقاض وإنشاء مبانى جديدة سيجرى تنفيذها بإشراف خبراء بعثة الآثار التى تقوم بحفرياتها فى الجزء الجنوبى لأسوار الحرم القدسى بإدارة البروفسور مازار .

معاريف ١٩٧١/٢/٢٢ :

قررت لجنة إعداد وتنسيق الحفريات داخل القدس القديمة الطلب بعدم إقامة مبانى فوق بقايا السور الذى تم اكتشافه فى الحى اليهودى . ويرجع تاريخه إلى عهد الهيكل الأول . وقد أرسلت اللجنة المذكورة كتبا إلى المؤسسات المسئولة طالبة تأمين المحافظة على هذا السور .

استمرار الحفريات :

رغم قرار منظمة اليونسكو فى ١٩٦٩/١٠/١٠ الذى ندد بأعمال الحفريات فى المناطق المحتلة ، وخاصة القدس ، والذى يدعو سلطات الاحتلال الإسرائيلى بالامتناع كليا عن الحفريات وخاصة حول الحرم القـــدسى ، رغم ذلك ، فسلطات الاحتلال الاسرائيلى مازالت تواصل حفرياتها ، فقد ذكرت جريدة (يديعوت) فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٥ أن هذه الحفريات وصلت قرب الزاوية الجنوبية الغربية للحرم إلى عمق (٣٥) متراً ، وكتبت نفس الجريدة فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٣/١٥ أن هذه الحفريات توسعت وامتدت إلى بقعـة تقرب من (٨) أمتار من مدرسة بنات الأقصى العربية وربما يكون هذا الامتداد . توطئة لإلحاق تشعيت فى المدرسة تمهيداً لهدمها .

إن هذه الحفريات هى مخالفات جديدة تستوجب الاهتمام ، وهى مع محاولات مصادرة ساحات الحرم ، وسلسلة الصلوات اليهودية التى تمت فيها خلال السنوات التى أعقبت الاحتلال . تستدعى القيام بحملة أردنية وعربية واسلامية ودولية لوضع حد لها بسرعة وقبل أن تجابهنا إسرائيل بالأمر الواقع . .

١٩٦٨/٧/١٥ :

وفى الأسبوع الماضى أعلن البروفسور بنيامين مازار — عن العثور على قطع صغيرة يعتقد أنها من آثار الهيكل الثانى .

١٩٦٨/٧/٢١ :

وجد مازار أسرجة من الفخار فى طبقة العصر البيزنطى من القرن الرابع الميلادى وعلى أحدها رسمت المنارة السباعية التى أصبحت خاصة بالتقاليد اليهودية ، كما ظهرت على المنهوبات التى حملها جنود تيطس إلى روما بعد تخريب الهيكل سنة ٧٠م لتعرض فى يوم الاحتفال بهذا النصر المؤزر ، ولكن وجد مع هذا السراج أسرجة أخرى زينت برسوم تشبه سنابل القمح من النوع الذى ورثه المسلمون عن صناع الروم قبلهم فى هذه البلاد .

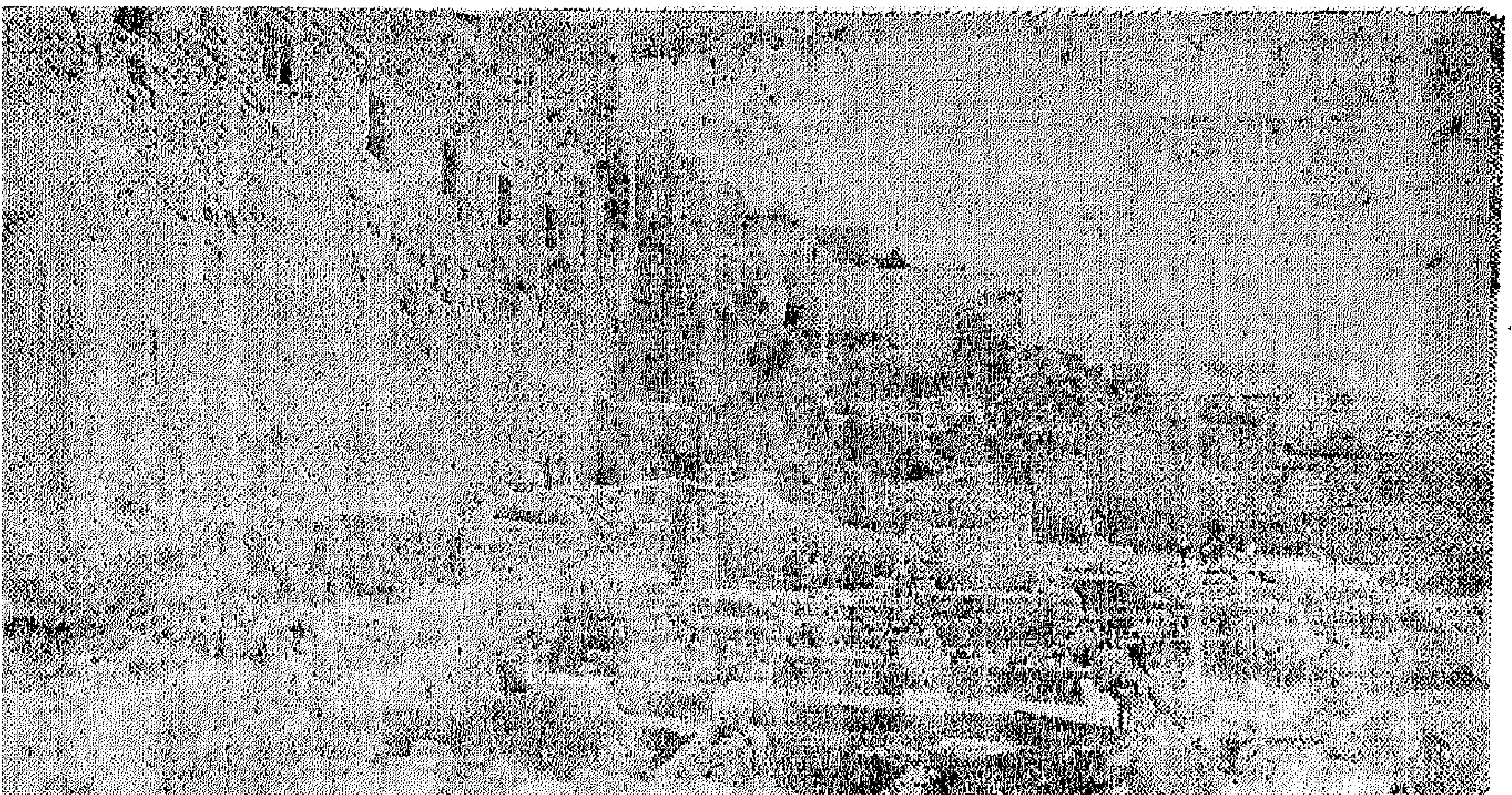
نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٧ أنهم اكتشفوا عشية رأس السنة العبرية تحت التلة المؤدية إلى باب المغاربة البوابة الغربية التى كانت المدخل الرئيسى للهيكل للقادمين من المدينة العليا . وعند إزالة هذه التلة سيعودون لاستخدام البوابة الكبيرة كباب للدخول إلى الهيكل .

أذاعوا أنهم كشفوا شارعا مبلطا يسير بمحاذاة السور الجنوبى للمسجد الأقصى وأن الباب المنفرد فى هذا السور هو باب خلدة الذى كان يؤدى إلى الهيكل . مع أن باب خلدة مذكور بأنه الباب الجنوبى لهيكل هرودس . وقد

يكون ذلك الباب الذى أكتشفت حجارته فى حا كورة تبعد أكثر من خمسين متراً عن الزاوية الجنوبية الغربية لسور الحرم الشريف حالياً .

وفى ١٩٧١/٩/٣ مشيت فى محاذاة الحائط الجنوبى للمسجد الأقصى فلم أشاهد أى بلاط وإنما شاهدت قنوات ماء تؤدى إلى صهاريج . وطراز بناء الحائط يدل على أنه بنى بعد هرودس بما لايقل عن ستة قرون — أى فى أيام جوستينان البزنطى .

وأذاعوا أنهم وجدوا قطعا مكتوبة من سفر أشعيا وقطعاً من الكاروبيم (الملائكة المجنحة)التى كانت توضع فى الهيكل،والطشت الذى كان يتوضأ فيه الكاهن ، ولكن هل وجود هذه القطع من الانتيكات يبرر عزمهم على هدم صروح الحضارة القائمة فى الحرم الشريف ؟ لأنها ليست يهودية — أى يهدمون حضارة أعطارها الزمن والفن قيمتها، ليقيموا حضارة جديدة طارئة. على العالم المتمدن أن يحول دون حدوث هذه الكارثة .



الحفريات التى قامت بها اسرائيل خلف نهاية الجهة الجنوبية من ناحية الغرب من سور المسجد الأقصى ولم يظهر بها أى تراث إسرائيلى

نقلت جريدة يديعوت فى عددها الصادر فى ١٩٧٠/١٠/٢٨ تصريحاً لوزير الأديان قال فيه : أن وزارة الأديان الإسرائيلية تسعى بواسطة عمليات الحفر التى تجريها للكشف الكامل عن حائط المبكى الذى يهدف إلى إعادة هذه الدرة الثمينة إلى سابق عهدها . وما اجراءات الحفر التى تلجأ إليها إلا عمليات مقدسة تهدف الكشف عن الحائط وإزالة المبانى الملاصقة له ، رغم كل العراقيل التى تقف فى الطريق .

نشرت جريدة (عل همشمار) الصادر فى ١٩٧١/٧/٧ كلاماً صريحاً لدافيد شانير ، يزيح الستار عن أهداف الصهاينة من الحفريات الآن وبعد مضى أكثر من أربع سنين على تحرير القدس، نود أن نوجه نداء إلى الدوائر والهيئات ذات الصلاحيات بأن الوقت قد حان كى تجرى عمليات الكشف عن حائط المبكى على المكشوف وفى وضح النهار — وليس فقط فى أعماق الأرض . ويجب مصادرة جميع البيوت الملاصقة لحائط المبكى وعلى امتداده وعلى بعد عشرين متراً على الأقل ويجب تنفيذ الخطة ، كما تم فى حى المغاربة المقابل للمبكى فى حزيران ١٩٦٧ .

ويجب أن نقوم بحفريات مماثلة فى الحائطين الشرقى والشمالى حتى نتمكن من رؤية جميع الأبواب المؤدية إلى جبل البيت، تماماً كما حصل لساحة المبكى عند إزالة المبانى العربية الملاصقة لسور الحرم فى الحى المغربى، رغم الصعوبات والضجة التى قامت فى حينه بعنف .

وفى جريدة معاريف الصادرة فى ١٩٧١/١٢/١٤ أنذرت السلطات سكان خمسة منازل عربية بسرعة إخلائها فوراً بسبب تصدعها من جراء الحفريات التى تجريها وزارة الأديان تحت هذه المنازل وعلى امتداد ٢٠٠ متر من الحائط الغربى للحرم .

ومن أبرز المنشئات التاريخية المهددة بالخراب باب السلسلة وحى باب الحديد وحى باب الحبس (حى المجلس الإسلامى) وضريح الملك حسين وضريح الزعيم الاسلامى مولاى محمد على ومسجد الأميرة خاتون وجامع المدرسة العثمانية ، فوق باب المطهرة وجامع الخليلى وزاوية ومئذنة قايتباى وسوق القطانين .

نشرت جريدة دافار فى ١٩٧١/١٢/١٦ أنه لا يمكن أن نقرر وقف عمليات الحفر إلى الأبد . ويجب كشف طول حائط المبكى كاملا . وطول هذا الحائط ، كما تحدده وزارة الأديان هو ٤٨٥ متراً — تم حتى الآن كشف ما يقارب ثلاث مئة منها .

تقول جريدة معاريف فى ١٩٧١/٢/١٤ أن هذه الحفريات تقوم بها وزارة الأديان على طول الحائط الشمالى من المبكى ، ويجرى تنفيذها دون رقابة هندسية ، الأمر الذى تسبب فى تصدعها وهدد بانهيارها ، وإن عائلتين عربيتين من العائلات الخمس قد تم إخلاؤها فى اليومين الماضيين .

زار هذه الحفريات المستشار الخاص والخبير الدولى بالحفريات والآثار الأستاذ زيمو ند لومير الأستاذ فى جامعة لوفان (بلجيكا) وأمين عام المجلس الدولى للمنشآت التاريخية ، الذى إنتدبه المدير العام لمنظمة اليونسكو لزيارة القدس وتقديم تقرير عن الاتهامات التى تضمنتها الشكوى الأردنية ضد سلطات الاحتلال الإسرائيلى ، بما تقوم به من مخالفات عن طريق الحفريات والهدم والتغيير لمعالم الأماكن الحضارية والتاريخية فى مدينة القدس . وقد جاء فى تقرير هذا المستشار بالنسبة للحفريات فى المنطقة التى تصدعت الأبنية فوقها : (وقد قمت من ناحيتى بفحص الأبنية فوق المنطقة التى جرت فيها عملية الحفريات ولم أشاهد هناك أى أثر لهبوط أو تشقق حديث لتلك المبانى .

وهذه الممرات الأرضية التي جرى حفرها على طول يبلغ عشرين متراً اسندت على أنابيب معدنية يمكن مشاهدة جزء منها من باب الحديد. ومع ذلك فان من المؤكد أن هذا الاجراء هو حل مؤقت ولا بد من اهتمام بالغ لتثبيت ذلك بشكل نهائي إذا ما أريد تلافي الازعاجات التي تؤثر على استقرار واستتباب الأبنية المقامة عليها .

« إن وجود القلق لدى الملاكين لهذه الأبنية حول هذا الموضوع هو أمر مفهوم ومبرر. ويستحسن أن يطمأنوا حول هذه النقطة. ولا يشكل تنفيذ هذه الأعمال الضرورية لتدعيم الأبنية مشاكل كبيرة من ناحية فنية . ولكن يعتمد كل ذلك العناية والحرص الذي يجب أن يرافقا تحقيق ذلك .

وعندما اقتضت أعمال الصيانة دعم هذه الأبنية المعرضة للسقوط بوضع أطراف الركائز في جدار الحرم ثارت ثائرة اليهود ونزعوها بالقوة في منتصف شباط (فبراير) ١٩٧٢ .

« وفيما يتعلق بالممرات التي تجرى فيها الحفريات والتي يقوم فوق بعضها عدد من أشهر الأبنية الإسلامية في القدس منها سوق القطانين وبعض المساجد والأضرحة الشهيرة والمدارس والمحاكم وغيرها فهي من الأبنية القوية البنيان. وباستثناء الشقوق الناتجة عن الهزات الأرضية فانها كلها بحالة سليمة .

هذا ماسجله الخبير الأجنبي ولكنه ما كاد يغادر البلاد حتى استؤنف الحفر لاسيما في ١٩٧٠/١٢/٢١ فحصلت التصدعات والشقوق التي دعت إلى انذار خمس عائلات باخلاء منازلها وبالفعل فقد تم اخلاء عائلتين، ولما كانت هذه الحفريات غير قانونية ،زيادة عما تلحقه من الضرر بالمنتفعين من العرب فان الحق والواجب يدعوان لايقافها حالا .

وثائق فى ملاحق

ملحق (١)

اتفاقية لاهاى بشأن المقدسات

تشرين الأول سنة ١٩٠٧

١ — إن أملاك البلديات والمؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية حتى ولو كانت للدول — يجب أن تعامل كأملاك خاصة .

٢ — الاستيلاء أو التدمير أو الإضرار المتعمد لهـــذه المؤسسات أو البنايات التاريخية والتحف الأدبيـة والعلمية محظور . ويجب أن يتخذ بحق فاعله إجراءات قضائية .

ملحق (٢)

قانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٥٣

قانون الآثار القديمة فى الأردن

الفصل الثالث :

الأشياء والمبانى والمواقع التاريخية .

المادة السادسة :

لا يجوز لأى شخص حقيقى أو معنوى بدون إذن الوزير أن :

فقرة ٤ — يدخل تغييراً على أى أثر تاريخى أو يضيف إليه أو يرممه .

فقرة ٥ — يقيم أبنية أو جدراناً تتجاوز على أثر تاريخى أو تلاصقه مباشرة .

ويشترط فى ذلك أن لا تسرى أحكام الفقرتين (٤ و ٥)على المبانى التاريخية المخصصة لمقاصد دينية — أو التى تملكها هيئة دينية أو كنسية .

وهذا يعنى أن الحق فى العمل بأنواعه فى المواقع الدينية هو من حق الهيئة الدينية التى تملكه .

ملحق (٣)

مرسوم الأماكن المقدسة فى فلسطين لسنة ١٩٢٤

الحضور — صاحب الجلالة الملك فى المجلس الخاص (جورج الخامس)

بما أن مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ ، قد نص من جملة أمور أخرى على أن للمحاكم النظامية فى فلسطين صلاحية القضاء فى جميع الدعاوى وبحق جميع الأشخاص فى فلسطين :

وبما أن من المستحسن إخراج بعض القضايا عن نطاق صلاحية المحاكم المذكورة . وبما أن لجلالته السلطة والصلاحية فى فلسطين بموجب معاهدات وامتيازات وعادات وغيرها من الأسباب المشروعة .

لذلك فإن صاحب الجلالة الملك ، عملا بالسلطة المخولة له لهذا الصدد بمقتضى قانون الاختصاص فى البلاد الأجنبية لسنة ١٨٩٠ وبغير ذلك وبعد استشارة المجلس الخاص برسم ما يأتى :

المادة ١ — يطلق على هذا المرسوم إسم (مرسوم الأماكن المقدسة فى فلسطين لسنة ١٩٢٤) .

المادة ٢ — رغماً عما ورد بعكس ذلك فى مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ أو فى أى قانون آخر معمول به فى فلسطين يحظر على أية محكمة من محاكم فلسطين النظر والفصل فى أية قضية أو مسألة تتعلق بالأماكن المقدسة أو الأبنية أو المقامات الدينيـــة فى فلسطين أو فى أية حقوق أو ادعاءات تختص بالطوائف الدينية المختلفة فى فلسطين .

ويشترط فى ذلك أن لا يقيد أو يؤثر أي شيء في هذا المرسوم

فى صلاحية المحاكم الدينية المخولة لها فى مرســوم دستور فلسطين المذكور .

المادة ٣ — إذا نشأ أى خلاف بشأن سريان أحكام المادة السابقة على أية قضية أو مسألة فيحال ذلك الخلاف إلى المنــدوب السامى للفصل فيه ريثما تشكل لجنه تخول صلاحية النظر فى القضايا المبينة فى المادة المذكورة ويفصل المندوب السامى فى تلك القضية أو المسألة بعد إجراء التحقيق الوافى بمقتضى أية تعليمات يتلقاها من أحد وزراء جلالته .

ويكون قرار المندوب السامى قطعياً ونافذا بحق جميع الفرقاء .

المادة ٤ — لجلالته ولورثته ولخلفائه من بعده فى المجلس الحق بإلغاء هذا المرسوم أو تعديله أو تغييره فى أى وقت من الأوقات .

وعلى وزير جلالته النبيل جيمس هنرى توماس أن يصدر التعليمات المقتضاه لتنفيذ هذا المرسوم .

كولن سمث

صدر عن البلاط الملكى فى قصر بكنجهام فى اليوم الخامس والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٤(١) .

---

(١) (منشور فى مجموعة قوانين فلسطين لسنة ١١٣٣) (المجلد الرابع صفحة ٣٣٨٤ .

ملحق (٤)

مرسوم الحائط الغربى أو حائط المبكى

فى فلسطين لسنة ١٩٣١

صدر عن البلاط الملكى فى قصر بكنجهام فى اليوم التاسع عشر من شهر أيار سنة ١٩٣١ .

الحضور : صاحب الجلالة الملك .

بما أن لجلالته السلطة والصلاحية فى فلسطين بمقتضى معاهدات وامتيازات وعادات وغيرها من الأسباب المشروعة :

وبما أن مجلس جمعية الأمم اتخذ فى اليوم الرابع عشر من شهر كانون الثانى سنة ١٩٣٠ القرار التالى نصه :

إن المجلس :

(رغبة منه فى وضع الدولة المنتدبة ، وبناء على طلبها ، فى مركز يمكنها من القيام بالمسئوليات الملقاة على عاتقها بموجب المادة ١٣ من صك الانتداب على فلسطين فى أنسب أحوال وظروف تمكنها من صيانة المصالح المادية والأدبية للشعب الذى عهد إليها بالانتداب عليه ،

ورغبة منه فى عدم البت بأى وجه ، قبل البحث والاستقصاء ، فى المسائل المتعلقة بالأماكن المقدسة فى فلسطين التى قد تستدعى حلا فى المستقبل ،

(وبما أنه يرى أن مسألة حقوق ومطالب اليهود والمسلمين فى حائط المبكى تستدعى حلا نهائياً عاجلا :

فقد قرر :

١ — أن يعهد إلى لجنة بتسوية هذه الحقوق والمطالب .

٢ — أن تؤلف هذه اللجنة من ثلاثة أعضاء ليسوا من التبعة البريطانية على أن يكون أحدهم على الأقل من المتضلعين بالقانون ومن أرباب الخبرة القضائيه الذين تؤهلهم خبرتهم لهذا المنصب .

٣ — أن تعرض أسماء الأشخاص الذين ترغب الدولة المنتدبة فى تعيينهم لعضوية هذه اللجنة على المجلس لأخذ موافقته عليهم على أن يستشير رئيس المجلس الأعضاء بشأنهم إن كان المجلس غير ملتئم .

٤ — أن تنتهى مهمة هـــذه اللجنة حالما تضع قراراً بشأن الحقوق والمطالب المشار إليها أعلاه .

وبما أنه قد جرى تعيين اللجنة المشـــار إليها حسب الأصول وبعد أن أجرت تحقيقاً فى فلسطين رفعت تقريرها إلى وزير الشئون الخارجية لجلالته .

وبما أن استنتاجات اللجنة المثبتة فى تقريرها قد أدرجت فى الذيل الأول لهذا المرسوم ، كما أدرجت التعليمات المؤقتة الواردة فى الفقرتين ١ و ٣ الفصل (ب) من الاستنتاجات المذكورة فى الذيل الثانى لهذا المرسوم .

وبما أنه ، لكى يتاح لجلالته القيام بالتبعات المنصوص عليها فى المادة ١٣ من صك الانتداب على فلسطين بشأن الحائط الغربى أو حائط المبكى ، يقتضى تكليف جميع سكان فلســـطين بأن يمتثلوا ويذعنوا فى الأحكام المدرجة فى الذيلين الأول والثانى لهذا المرسوم (ما دامت أحكام

الذيل الثانى لم تعدها أحكام الذيل الأول) وتخويل المندوب السامى لفلسطين صلاحية ضرورية لتنفيذ الأحكام المشار إليها .

لذلك فإن جلالته ، عملا بالصلاحيات المخولة له بهذا الصدد فى قانون الاختصاص فى البلاد الأجنبية لسنة ١٨٩٠ أو فى أى قانون آخر وبعد استشارة مجلسه الخاص يرسم ما يلى :

المادة ١ — يقتضى على كل فرد من سكان فلسطين أن يمتثل ويذعن للأحكام المتعلقة بالحائط الغربى أو حائط المبكى المدرجة فى (أ) الذيلين الأول والثانى لهذا المرسوم (ما دامت أحكام الذيل الثانى لم تعدها أحكام الذيل الأول) و (ب) فى أى نظام يضعه المندوب السامى لفلسطين بموجب المادة الثانية من هذا المرسوم .

المادة ٢ — للمندوب السامى لفلسطين، بعد أخذ موافقة وزير المستعمرات صلاحية وضع ما يراه ضرورياً من الأنظمة لتنفيذ الأحكام الواردة فى الذيلين الأول والثانى لهذا المرسوم .

المادة ٣ — كل من تخلف عن مراعاة أى حكم من الأحكام الواردة فى الذيلين الأول والثانى لهذا المرسوم ، أو ارتكب عملا يخالفها ،أو تخلف عن مراعاة أحكام أى نظام يضعه المندوب السامى لفلسطين بموجب المادة الثانية لهذا المرسوم ، أو ارتكب عملا يخالفها ، يعتبر بأنه ارتكب جرماً ويعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر أو بغرامة لا تتجاوز ٥٠ جنيها أو بكلتا العقوبتين معاً .

المادة ٤ — رغماً عما ورد من الأحكام فى مرسوم الأماكن المقدسة فى فلسطين لسنة ١٩٢٤ :

١ — ليس من صلاحية أى حاكم صلح أن ينظر فى المخالفات التى تنطبق

عليها أحكام المادة الثالثة من هذا المرسوم بل تعود صلاحية النظر فيها للمحاكم المركزية . وتجرى محاكمة مثل هذه المخالفات بصورة جزئية توفيقاً للأصول المتبعة فى محاكم الصلح ولا يسرى عليها قانون أصول المحاكمات الجزائية (المحاكمات الاتهامية) لسنة ١٩٢٤ — ٢٠ .

٣ — للمحكمة العليا ، وهى منعقدة بصفة محكمة عدل عليا صلاحية مستقلة لإصدار الأوامر الإجرائية التحذيرية وسائر الأوامر التى لا ترى غنى عنها لتأمين تنفيذ الأحكام الواردة فى الذيلين الأول والثانى لهذا المرسوم وأحكام كل نظام يصدر بموجب المادة الثانية منه ، على أن لا تصدر المحكمة أى أمر من هذه الأوامر إلا بناء على طلب النائب العام بالنيابة عن حكومة فلسطين .

المادة ٥ — لجلالة الملك ولورثته وخلفائه من بعده فى المجلس الحق بإلغاء هذا المرسوم أو تعديله أو تبديله فى أى وقت من الأوقات .

المادة ٦ — يعمل بهذا المرسوم اعتباراً من تاريخ يعينه المندوب السامى بمنشور ينشر فى الوقائع الفلسطينية .

يطلق على هذا المرسوم اسم (مرسوم الحائط الغربى أو حائط المبكى) فى فلسطين لسنة ١٩٣١) .

م.ب.أ. هانكى

الذيل الأول

(أ) للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ولهم وحدهم الحق العينى فيه ، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف .

وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير .

إن أدوات العبادة أو غيرها من الأدوات التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط إما بالاستناد لأحكام هذا القرار أو بالاتفاق بين الفريقين لا يجوز فى حال من الأحوال أن تعتبر بأنها تنشىء — أو أن يكون من شأنها إنشاء أى حق عينى لليهود فى الحائط أو فى الرصيف المجاور له .

ومن الجهة الأخرى يكون المسلمون ملزمين بعدم إنشاء أو إقامة أى بناء أو هدم أو تعمير أى بناء من أبنية الوقف (ساحة الحرم ومحلة المغاربة) المجاورة للحائط بحيث يتجاوزون فى عملهم هذا على الرصيف أو يعرقلون سلوك اليهود إلى الحائط أو بحيث ينطوى ما يقومون به على إزعاج اليهود أو التعرض لهم فى مواعيد زياراتهم إلى الحائط لإقامة تضرعاتهم ، إن كان اجتناب ذلك مستطاعاً بأى وجه كان .

(ب) لليهود حرية السلوك إلى الحائط الغربى لإقامة التضرعات فى جميع الأوقات مع مراعاة الشروط الصريحة المشار إليها فيما يلى ، أى :

١ — إن التعليمات المؤقته التى أصدرتها إدارة فلسطين فى أواخر شهر

أيلول سنة ١٩٢٩ بشأن أدوات العبادة (راجع الفقرة (أ) و (ب) و (ج) من المادة الثانية من التعليمات) يجب أن تكتسب الصيغة القطعية على أن يجرى فيها تعديل واحد هو السماح بوضع الخزانة المحتوية على سفر أو اسفار التوراة والمائدة التى توضع عليها الخزانة والمائدة التى توضع عليها الأسفار عند القراءة منها عند الحائط فى المناسبات التالية فقط أى :

(أ) عند وقوع صوم أو اجتماع خاص للصلاة العامة تأمر رئاسة حاخامى القدس به بسبب وقوع كارثة أو نكبة أو مصيبة عمومية . على أن تبلغ إدارة فلسطين فى الوقت اللازم .

(ب) فى يوم عيد رأس السنة وفى يوم عيد الغفران وأيضاً فى الأعياد المخصوصة الأخرى المعترف بها من الحكومة والتى جرت العادة فيها على على جلب الخزانة المحتوية على الأسفار إلى الحائط .

وعدا ما هو منصوص عليه فى أحكام هذا القرار لا يجوز جلب أية أدوات عبادة إلى جوار الحائط .

٢ — لا يعارض ولا يمانع اليهود كأفراد فى جلب كتب صلاة يدوية معهم إلى الحائط أو أية أدوات أخرى اعتادوا استعمالها فى صلواتهم — إما بصورة مطلقة أو فى مناسبات مخصوصة ولا يعارضون ولا يمانعون فى ارتداء أى ألبسة استعملت منذ القدم فى صلواتهم .

٣ — إن منع جلب المقاعد والسجاجيد والحصر والكراسى والستائر والحواجز الخ وسوق الدواب عند الرصيف فى ساعات معينة المقرر فى التعليمات المؤقتة ، كما وأن وجود إبقاء الباب الكائن فى طرف الحائط الجنوبى مقفلاً فى ساعات معينة يجب أن يقرر ويصبح مطلقاً . على أن يحترم فى ذلك

حق المسلمين فى الذهاب والأياب على الرصيف بالطريقة الاعتبارية ويبقى حقهم هذا مصوناً من كل تعد كما هو الآن .

٤ — يمنع جلب أية خيمة أو ستار أو ماشبههما من الأدوات إلى الحائط لوضعها هناك حتى ولو كان ذلك لمدة محدودة من الزمن .

٥ — لايسمح لليهود بنفخ البوق (الشوفار) بالقرب من الحائط ولا أن يسببوا أى ازعاج آخر للمسلمين مما يمكن تحاشيه . ومن الجهة الأخرى لايسمح للمسلمين بإقامة (الذكر) بقرب الرصيف أثناء قيام اليهود بالصلاة ولا بازعاج اليهود على وجه آخر .

٦ — يجب أن يفهم أن للإدارة الحق بإصدار التعليمات التى تستصوبها بشأن قياس كل أداة من الأدوات المسموح لليهود بجلبها إلى — الحائط وبشأن الأيام والساعات المخصوصة المشار إليها فيما تقدم وبشأن أية أمور أخرى تستدعيها الضرورة لأجل تنفيذ قرار اللجنة هذا على أتم وأوفى وجه .

٧ — يحظر على أى كان استعمال المكان الكائن أمام الحائط أو ما جاوره لأجل إلقاء الخطب أو إقامة المظاهرات السياسية مهما كان نوعها .

٨ — يعتبر أن من مصلحة المسلمين واليهود المشتركة على السواء عدم تشويه الحائط الغربى بأية نقوش أو كتابات أو بدق مسامير أو ماشابهها من المواد فيه وأيضاً إبقاء الرصيف الكائن أمام الحائط نظيفاً ومحترماً من المسلمين واليهود على السواء . ويصرح هنا أن من حق المسلمين وواجبهم تنظيف الرصيف وتصليحه إذا كان ذلك ضرورياً ، بعد تبليغ الإدارة ذلك .

٩ — بالنظر لكون الحائط أثراً تاريخياً يناط بادارة فلسطين تعميره التعمير اللازم اللائق به . وكل تعمير تستدعى الضرورة إجراءه فيه تقوم به تلك الإدارة ويجرى تحت إشرافها وذلك بعدمشاورةالمجلسالإسلامىالأعلى والمجلس الربانى لفلسطين .

١٠ — إذا لم يقم المسلمون بإجراء التعمير الضرورى للرصيف فى الوقت اللازم فتتخذ إدارة فلسطين التدابير الضرورية لتعميره .

١١ — تكلف رئاسة حاخامى القدس بتعيين موظف واحد أو أكثر يكونون مفوضيها المعتمدين لأجل تلقى التعليمات والتبليغات التى تصدرها إدارة فلسطين من حين إلى آخر بشأن الحائط الغربى والرصيف الكائن أمامه والمعاملات التى تتبع فيما يتعلق بتقديم اليهود تضرعاتهم بالقرب من الحائط .

الذيل الثانى

٢ — (أ) لليهود أن يجلبوا معهم يومياً إلى الرصيف الكائن أمام الحائط منضدة تحتوى على قناديل وأن يضعوا على هذه المنضدة صندوقاً من الزنك ، ذا أبواب من زجاج تضاء فيه هذه القناديل . ولهم أن يجلبوا معهم أيضاً طشت غسيل يمكن نقله ووعاء ماء يوضعان على منضدة . ولا يجوز أن تثبت هذه الأدوات إلى الحائط أو إلى أى حائط من أبنية الوقف المجاورة .

(ب) يجوز لليهود من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروبها مساء يوم السبت ومن غروب الشمس فى ليلة أى عيد من الأعياد اليهودية المعتبرة لدى الحكومة إلى غروب الشمس فى ذلك اليوم أن يضعوا عند الطرف الشمالى من الحائط منضدة تحتوى على كتب الصلاة وعند الطرف الجنوبى من الحائط مائدة توضع فوقها خزانة صغيرة تحتوى على أسفار التوراة ومنضدة أخرى تضع عليها هذه الأسفار للقراءة وترفع الموائد والخزانة والمنضدة عند انتهاء يوم السبت أو يوم العيد بحسب الحال .

(ج) يجوز لكل مصل من اليهود أن يجلب معه حصيراً للصلاة فى يومى عيد رأس السنة وفى يوم عيد الغفران وأن يضعه على الرصيف أمام الحائط ولكن على وجه لا يعوق حق المرور على الرصيف .

٣ — لا يجوز أن تجلب أية مقاعد أو كراسى أو (اسكملات) إلى الرصيف الكائن أمام الحائط ولا أن توضع فيه . ولا يجوز أن يوضع أى حاجز أو ستار على الحائط أو الرصيف لأجل فصل الرجال عن النساء أثناء الصلاة أو لأية غاية أخرى .

٤ — لا يجوز أن يساق أى حيوان على الرصيف الكائن أمام الحائط بين الساعة الثامنة صباحاً والواحدة بعد الظهر من أيام السبت والأعياد الرسمية المعتبرة لدى الحكومة وبين الساعة الخامسة والثامنة من مساء ليلة السبت والأعياد وطيلة وقفة عيد الغفران ويستثنى من ذلك ما بين الفجر والساعة السابعة صباحاً .

٥ — يبقى الباب الخشبى المؤدى من الرصيف إلى الزاوية الكائنة فى الطرف الجنوبى من الحائط مقفلا ليلة السبت وأيام الأعياد اليهودية المعتبرة لدى الحكومة من الساعة الخامسة مساء وطيلة هذه الأيام حتى بعد غروب الشمس .

ملحق رقم (٥)

نحن عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

بعد الاطلاع على الفقرة الثالثة من إرادتنا الملكية السامية الصادرة بتاريخ ١٩٤٩/١٢/١ والمنشورة على الصفحة ٤٠٥ من العدد ١٠٠٣ من الجريدة الرسمية .

نأمر باستبدال الفقرة الثالثة المذكورة بالفقرة التالية :

٣ — يخول أصحاب السماحة والمعالى الوزراء ، كل ضمن اختصاصه جميع الصلاحيات التى كان يتمتع بها المندوب السامى بمفرده بمقتضى القوانين والأنظمة التى لا زالت متبعة . أما الصلاحيات التى كان يمارسها فى المجلس التنفيذى والمجلس الاستشارى فيمارسها رئيس الوزراء بقرار من مجلس الوزراء .

١٩٥٠/٧/١٩ (١)

---

(١) نشر فى العدد ١٠٣٢ من الجريدة الرسمية الصادر فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٦٩ هجرية الموافق ١٦ آب سنة ١٩٥٠

ملحق (٦)

تطبيق قانون الادارة العامة فى فلسطين

نحن عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية

نصدر إرادتنا بما هو آت :

١ — يرتبط متصرفو الألوية فى المنطقة الغربية بوزير الداخلية فى جميع أعمالهم .

٢ — يشرف وزير الداخلية على الأعمال فى المنطقة الغربية يعاونه فى ذلك مدير الإدارة فى تلك المنطقة .

٣ — يخول وزير الداخلية جميع الصلاحيات التى كان يتمتع بها المندوب السامى بمفرده بمقتضى القوانين والأنظمة التى لازالت متبعة. أما الصلاحيات التى كان يمارسها فى المجلس التنفيذى أو المجلس الاستشارى فيمارسها رئيس الوزراء بقرار من مجلس الوزراء .

٤ — تنتهى مهمة الحاكم الإدارى العام ويرجع مديرو الدوائر فى المنطقة الغربية إلى الوزراء المختصين كل بما يخص دائرته .

٥ — ينفذ حكم هذه الادارة من تاريخ ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٩(١) .

---

(١) نشر فى العدد ١٠٠٣ من الجريدة الرسمية الصادر يوم السبت فى ٢٦ صفر سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ كانون الأول ١٩٤٩ .

ملحق رقم (٧)

تغيير الحالة فى القدس

قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ فى ٤ تموز ١٩٦٧

إن الجمعية العامة :

وقد أثارت قلقها العميق الحالة السائدة فى القدس كنتيجة للتدابير التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة :

١ — تعتبر هذه التدابير باطلة .

٢ — تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع التدابير التى اتخذت فعلا . والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس .

٣ — تطلب من الأمين العام أن يقدم تقريراً إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن عن الموقف وعن تنفيذ القرار الحالى فى موعد لا يتجاوز أسبوعاً من إقراره .

من (الجلسة العامة رقم ١٥٤٨) .

ملحق رقم (٨)

قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة

رقم ٢٢٥٤ فى ١٤ تموز سنة ١٩٦٧

إن الجمعية العامة :

إذ تذكر قرارها رقم ٢٢٥ الصادر فى ٤ تموز سنة ١٩٦٧ وقد تلقت التقرير المقدم من الأمين العام وإذ تلاحظ بأشد الأسف والقلق عدم انصياع إسرائيل للقرار رقم ٢٢٥٣ .

١ — تندد بفشل إسرائيل فى تنفيذ قرار الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ .

٢ — تؤكد من جديد نداءها إلى إسرائيل فى ذلك القرار بإلغاء جميع التدابير التى اتخذتها فعلا والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس .

٣ — تطلب من الأمين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العامة عن الحالة وعن تنفيذ القرار الحالى .

من (الجلسة العامة رقم ١٥٥٤) .

ملحق رقم (٩)

قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢

فى ٢١ أيار سنة ١٩٦٨

ان مجلس الأمن :

إذ يذكر قرارى الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤ الصادرين فى ٤ و١٤ تموز سنة ١٩٦٧ — وبعد أن نظر فى الخطاب رقم (٨٥٦٠ / س) المقدم من الممثل الدائم للأردن بشأن الحالة فى القدس وتقرير الأمين العام رقم (٨١٤٦ / س) .

وبعد أن استمع إلى البيانات التى ألقيت أمام المجلس وإذ يلاحظ أنه منذ إقرار القرارين المشار اليهما آنفاً اتخذت إسرائيل تدابير وأعمالا أخرى تخالف هذين القرارين .

وإذ يراعى الحاجة إلى العمل من أجل سلم عادل ودائم .

وإذ يؤكد من جديد أن الحصول على أرض بالغزو المسلح أمر غير مقبول .

١ — يبدى أسفه لفشل إسرائيل فى الانصياع لقرارى الجمعية العامة المشار اليهما آنفاً .

٢ — يعتبر جميع التدابير والأعمال الإدارية والتشريعية التى اتخذتها إسرائيل بما فى ذلك نزع ملكية الأراضى والممتلكات القائمة عليها على مايؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس باطلة ولا يمكن أن تغير هذا الوضع .

٣ — يطالب إسرائيل بالحاح بإلغاء جميع هذه التدابير التى اتخذت والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل آخر يومى إلى تغيير وضع القدس .

٤ — يطالب من الأمين العام تقديم تقرير لمجلس الأمن على مدى تنفيذ القرار الحالى .

ملحق (١٠)

قرار مجلس الأمن

رقم ٢٦٧ و ٦٩ تاريخ ٣ تموز سنة ١٩٦٩

ان مجلس الأمن :

إذ يذكر قراره رقم ٢٥٢ الصادر في ٢١ أيار سنة ١٩٦٨ والقرارين السابقين للجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤ الصادرين في ٤ و ١٤ تموز سنة ١٩٦٧ بشأن التدابير والأعمال المتخذة من جانب إسرائيل بخصوص وضع مدينة القدس .

والتأكيد ثانية على المبدأ الثالث بأن اكتساب الأراضي بالفتح العسكري غير مسموح به :

١ — يعيد تثبيت قراره رقم ٢٥٢ لسنة ١٩٦٨ .

٢ — يستنكر إخفاق إسرائيل في اظهار أي اعتبار لقرارات الجمعية العمومية ومجلس الأمر الدولي المذكورة أعلاه .

٣ — يوبخ بأقوى تعبير جميع الاجراءات التي تم اتخاذها لتغيير وضع مدينة القدس .

٤ — يؤكد أن جميع الاجراءات التشريعية والإدارية وكذلك جميع أعمال إسرائيل الهادفة لتغيير وضع مدينة القدس بما في ذلك نزع ملكية الأراضي والممتلكات في المدينة — هي لاغية قانوناً ولا يمكن لها أن تغير ذلك الوضع .

٥ — يطالب إسرائيل مرة أخرى بالحاح لكي تلغي فوراً جميع الإجراءات التي اتخذتها والتي من شأنها تغيير مدينة القدس وأن تكف عن جميع الاجراءات التي قد تؤدي إلى مثل هذا التغيير .

٦ — يدعو إسرائيل لاعلام مجلس الأمن الدولى دون أى تأخير آخر عن نواياها بصدد تنفيذ نصوص هذا القرار .

٧ — يصمم مجلس الأمن الدولى فى حالة الاستجابة السلبية أو عدم الاستجابة من قبل إسرائيل على العودة للانعقاد دون تأخير للنظر فى الاجراءات التالية التى ينبغى اتخاذها بصدد هذا الأمر .

٨ — يطلب من السكرتير العام تقديم تقرير مفصل إلى مجلس الأمن عن تنفيذ هذا القرار .

ملحق (١١)

القرار الذى اتخـــذه المجلس التنفيذى لمنظمة اليونسكو في باريس فى ١٠/١٠/١٩٦٩ حول اعتداءات إسرائيل على الممتلكات الثقافية والحضارية والآثار فى الأراضى المحتلة

إن المجلس التنفيذى :

١ — مستعيداً للذاكرة نصوص ميثاق لاهاى لحماية الآثار والممتلكات الثقافية والحضارية فى حالات النزاع المسلح .

٢ — ومستعيداً للذاكرة القرارين ٣٤٢ و ٣٤٣ اللذين اتخذهما المؤتمر العام فى دورته الخامسة وكذلك القرار ٢و٣و٤ الذى اتخذه المجلس التنفيذى فى جلسته الثانية والثمانين.

٣ — ومستعيداً للذاكرة قرارى مجلس الأمن رقم ٢٥٢/٦٨ تاريخ ٢١/٥/٦٧ ورقم ٢٦٧/٦٩ بتاريخ ٣/٧/١٩٦٩ وكذلك قرارى الجمعية العامة لهيئة الأمم رقم ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤ بتاريخ ٤و١٤/٧/١٩٦٧ بشأن الإجراءات والأفعال ذات الأثر فى وضع مدينة القدس .

٤ — وآخذا علماً بتقرير المدير العام(وثيقة رقم٨/س٢١) والملاحظات التى أبداها المفوضان العامان فى تقاريرهما المقدمة حديثاً (كملاحق ١و٢و٣ للوثيقة ١٨ س ١٢) .

٥ — يعرب عن عميق قلقه للمخالفات المتكررة التى ارتكبتها إسرائيل ضد ميثاق لاهاى والقرارين ٣٤٢و٣٤٣ واللذين اتخذهما المؤتمر العام فى دورته الخامسة عشرة . وكذلك القرار رقم ٢ و ٣ و ٤ الذى اتخذه المجلس التنفيذى وكذلك لعدم اكتراثها بالتواصى الخاصة بالحفريات الأثرية — كما اتضح من تقارير المفوضين العامين .

٦ — يدعو إسرائيل :

(أ) أن تحفظ بمنتهى العناية والدقة جميع المواقع والأبنية والممتلكات الثقافية وخاصة فى مدينة القدس .

(ب) أن تمتنع عن أية حفريات أثرية ونقل أية ممتلكات مماثلة أو إحداث أى تغيير لمظاهرها أو خصائصها الحضارية أو التاريخية .

(حـ) أن تتمسك بمنتهى العناية والدقة بأحكام الميثاق والقرارات المشار إليها سابقاً .

٧ — بدعوة المجلس المدير العام للقيام بما يلى :

بموافقة الدول المعنية صاحبة السيادة القانونية وبموجب الفقرة الثانية المار ذكرها .

(أ) مساعدة الفرقاء المعنيين، سواء أكانوا هيئات عامة أو أفراداً بتقديم المشورة الفنية — سواء كانت بشأن أمور ذات أهمية عامة أو مشاكل محددة أو خاصة ويدعم هذه المشورة بمعونة فنية يقصد بها تسهيل تلك المشورة .

(ب) البحث عن وسائل تؤمن تطبيق الميثاق والتواصى والقرارات المذكورة تطبيقاً فعالا، لاهوادة فيه .

(حـ) تزويد الرأى العام العالمى بمعلومات موضوعية عن هذه الأمور بحيث يكون حكمه عليها مستنيراً . وكذلك نشر حركة واسعة فيما يتعلق بالمحافظة على القدس، قوامها التفاهم والاحترام والتبادل بين الثقافات المتأصلة جذورها فيها .

٨ — يطلب من المدير العام التشاور بأقصى سرعة ممكنة مع الدول الفرقاء فى ميثاق لاهاى لعام ١٩٥٤ وبموجب أحكام المادة ٣٧ منه فى اجتماع واحد أو أكثر للفرقاء السامين المتعاقدين ، لاتخاذ جميع الخطوات الممكنة لتوسيع مجال الميثاق المذكور وزيادة فاعليته كما يطلب منه أن يقدم تقريراً حول تطبيق هذا القرار إلى المجلس التنفيذى فى دورته القادمة .

ملحق (١٢)

اتفاقية لاهاى سنة ١٩٥٤

الميثاق الدولى المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية فى النزاعات المسلحة .

المادة الرابعة من هذه الاتفاقية .

١ — تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة باحترام الممتلكات الثقافية سواء فى أراضيها أو أراضى الأطراف السامية المتعاقدة الأخرى وتطالب بالامتناع عن استعمال هذه الممتلكات أو الوسائل المخصصة لحمايتها أو الأماكن المجاورة لها مباشرة لأغراض قد تعرضها للتدمير والتلف فى حالة نزاع مسلح وبامتناعها عن أى عمل عدائى إزاءها .

٢ — ...

٣ — تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة أيضاً بتجنب أية سرقة أو نهب أو تبديد ممتلكات ثقافية ووقايتها من هذه الأعمال ووقفها عند اللزوم مهما كانت أساليبها وبالمثل تحريم أى عمل تخريب موجه إزاء هذه الممتلكات كما تتعهد بعدم الاستيلاء على ممتلكات ثقافية منقولة كائنة فى أراضى أى طرف سام متعاقد آخر .

٤ — تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بعدم القيام بأية تدابير انتقامية تمس الممتلكات الثقافية .

٥ — لا يجوز لطرف سام متعاقد أن يتحلل من الالتزامات الواردة

فى هذه المـادة بالنسبة لطرف سام متعاقد آخر بحجة أن هذه المادة الأخيرة لم تتخذ التدابير الوقائية المنصوص عليها فى المادة الثالثة .

ميثاق نيودلهى سنة ١٩٥٦ :

التوصيات التى أقرها المؤتمر العام لعلماء الآثار فى دورته التاسـعة التى انعقدت فى نيودلهى فى كانون الأول ١٩٥٦ وقد عقد بعد مؤتمر لاهاى اجتماع دولى لدراسة موضوع التنقيبات الأثرية نورد فى ما يلى نص التوصــــية السادسة فقرة (٣) الصادرة عنه :

فى حالة نزاع مسلح يجب على كل دولة عضو فى الاتفاقية أن تمتنع إذا احتلت أرض دولة أخرى عن إجراء تنقيبات أثرية فى الأرض المحتلة وفى حالة اكتشاف مواد أثرية عرضيا ، وخاصة أثناء الأعمال العسكرية ينبغى على الدولة المحتلة أن تتخذ كل التدابير الممكنة لحماية هذه المكتشفات التى يجب تسليمها عند انتهاء النزاع إلى السلطة صاحبة الحق فى الأراضى قبل أن تقع تحت الاحتلال . وكذلك كل الوثائق المتعلقة بهذه المكتشفات .

وتأكدت هذه التوصية فى اجتماع اللجنة الدولية للمتاحف (الأيكوم) الذى عقد فى مدينتى كولون وميونيخ فى ٧/١٩ — ١٩٦٨/٨/٩ وإذ صدر عن هذا الاجتماع النداء التالى :

إن مجلس الأمن الدولى يوجه نداء عاجلا إلى السلطات المســئولة عن المتاحف والتراث الثقافى فى البلاد التى يجرى فيها نزاع مسلح وإلى اللجان الوطنية (الأيكوم) وإلى كل أعضاء مهنة المتاحف يطالب منهم اتخاذ التدابير المتوافرة لديهم احتراما للاتفاقيات الدولية .

كما أصدر المؤتمر العام لليونسكو فى دورته الخامسة عشرة التى عقدت فى باريس سنة ١٩٦٨ قرارات ثلاثة تضمنت حماية التراث الثقافى كما يلى :

يفوض المدير العام العمل مواصلة المحافظة على الممتلكات الثقافية وتطويرها وذلك بالتعاون مع المنظمات الدولية الاقليمية الوطنية المختصة سواء أكانت حكومية أو غير حكومية — على أن يكون ذلك :

(أ) بتزويد الدول الأعضاء بالخدمات التى يتطلبها تنفيذ المواثيق الدولية وبصفة خاصه :

١ — الاتفاقية الدولية لحماية الممتلكات الثقافية فى حالة نشوب نزاع مسلح سنة ١٩٥٤ .

٢ — التوصيات الدولية التى أقرها المؤتمر بشأن المبادىء الدولية المطبقة على الحفريات الأثرية سنة ١٩٥٦ .

إبقاء الممتلكات الثقافية التى تتعهدها الأشغال العامة والخاصة سنة ١٩٦٨ .

(ب) يعمل دراسات تستهدف وضع مواثيق دولة أخرى تتعلق بهذا الموضوع ولا سيما اتفاقية بشأن الإجراء والتى يجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل الممتلكات الثقافية بطريقة غير مشروعة .

٣٤٣ — ٣ :

أن المؤتمر العام :

وقد اطلع على التقارير المقدمة من المدير العام بشأن الإجراءات المتخذة فى الشرق الأوسط لتنفيذ الاتفاقية الدولية لحماية الممتلكات الثقافية فى حالة نشوب نزاع مسلح ١٩٥٤ :

١ — يشكر المدير العام على ما قام به لتنفيذ الاتفاقية المذكورة .

٢ — يوصى الدول الأعضاء باتخاذ كافة الاجراءات الضرورية بمساعدة المفوضين العموميين لتنفيذ مواد الاتفاقية الدولية .

وكذلك أحكام التوصية الخاصة بالمبادىء العامة المطبقة وفى حالة الحفريات والتنقيبات الأثرية التى أقرها المؤتمر العام لليونسكو فى دورته التاسعة التى التى عقدت فى ١٩٥٦ .

٣٤٣ — ٣ :

أن المؤتمر العام :

إذ يدرك ما للممتلكات الثقافية فى مدينة القدس القديمة — وخاصة الأماكن المقدسة — من أهمية غير عادية — ليس فقط للدول المعنية مباشرة بل للانسانية جمعاء — نظراً لما لها من قيمة فنية وتاريخية ودينية .

وإذ يشير إلى القرار رقم (٢٢٥٤) الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٤ تموز (يوليو) ١٩٦٧ بخصوص مدينة القدس .

١ — يوجه نداء دولياً عاجلا — وفقاً لقرارات الأمم المتحدة المشار إليه يطلب من إسرائيل :

(أ) أن تحافظ بعناية ودقة على جميع المواقع والمبانى وغيرها من الممتلكات الثقافية وبخاصة مدينه القدس القديمة .

(ب) أن تتوقف عن القيام بأية حفريات أثرية أو أن تنقل مثل هذه الممتلكات أو تجرى أى تغير فى معالمها أو طابعها الثقافى والتاريخي .

٢ — يدعو المدير العام أن يستخدم كل نفوذه وامكانياته بالتعاون مع كافة الأطراف المعنيه لضمان تنفيذ هذا القرار بأفضل الطرق الممكنة(١)

(١) أبعاد حريق المسجد الاقصى ٨٠ ٤ — ٢–٥

المراجـــع

أحب المقادسة بلدهم حباً جماً . وتجلى هذا الحب والتقدير بما كتبوه عنها ، فكان فيه معين لا ينضب ، يساعد كل من يتصدى للكتابة عنها . ولا بد لى من أن أورد أمثلة مما اعتمد عليه فى هذا الكتاب :

المقدسى : (٣٧٥هـ — ٩٨٥م) :

هو أبو عبد الله محمد البشارى المعروف بالمقدسى . ولد فى القدس وطوف فى معظم أقطار العالم الإسلامى فى عصره ، من الهند والسند شرقاً إلى الأندلس غرباً . وسجل ما شاهده بنفسه فى كتابه :

١ — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ومما ذكره عن بلده القدس . «كنت يوماً فى مجلس القاضى المختار بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر ... إلى أن سئلت : أى بلد أجل ؟ قلت بلدى ... إنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة. فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها . وإن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها . وأما طيب الهواء فإنه لا سم لبردها ولا أذى لحرها . وأما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنزه من مسجدها . وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة، كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز . وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر وإليها المنشر ، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى . ويوم القيامة يزفان إليها ، فتحوى الفضل كله . وأما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون إليها . فأي أرض أوسع منها ؟؟ فاستحسنوا ذلك وأقروه» .

مجير الدين العليمي (٩٠١هـ — ١٤٩٦م) :

هو عبد الرحمن بن محمـــد مجير الدين العليمي الحنبلي — قاضي قضاة القـدس . استطاع أن يجمع كل ما سبق عصره من المعلومات عن القدس والخليل وسجل كل ذلك في كتاب سماه :

٢ — الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليـــل » وهو أشبه بدائرة معارف عن هاتين المدينتين المقدستين ، ضم التاريخ والسير والعلم والأدب والمقدسات » وقد طبع في مجلدين كبيرين وأعيد طبعه أكثر من مرة .

عارف العـارف :

من مواليد القدس سنة ١٨٩٢ . درس في استانبول وحارب في صفوف الجيش العثماني وقضى ثلاث سنين في الأسر ، وبعد العودة إلى القدس أشغل في زمن الانتداب مراكز إدارية طوال سبعة وعشرين عاماً ١٩٢١ — ١٩٤٨) ثم انتخب رئيساً لبلدية القدس . وكان آخـــر عمل رسمي قام به أنه عين مديراً للمتحف الأثري في القـدس ، حتى عدوان الخامس من حزيران سنه ١٩٦٧ عندما رفض التعاون مع العدو ، وانصرف لكتابة مذكراته التي تشغل إثنين وعشرين مجلداً . ولـكن أهم ما نشره عن القدس كتابان هما :

٣ — المفصل في تاريخ القدس ، طبع في القـدس سـنة ١٩٦١ في نحو ٥٧٠ صفحة من القطع الكبير ، ويعتبر أوسع المراجع الحديثة عن القدس .

٤ — كتاب قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبـارك ، ولمحة عن تاريخ القدس . » طبع في القدس سنة ١٩٥٥ في نحو ٢٥٠ صفحة وهو الكتاب المغني عن الحرم .

السيد روحى الخطيب :

أمين القدس طوال عدة سنين ومؤسس كثير من المشاريع الاقتصادية والعمرانية .

وكان جزاؤه من مغتصب البلد الذى خدمه هذه الخدمات أن يقدم على إخراجه من مسقط رأسه بعد الاحتلال بتسعة أشهر . ولكنه ما كاد يصل إلى عمان حتى تفرغ لرصد كل أعمال العدو فى القدس .

وأخذ يغذى الأعلام العربى بكل ما يتعلق بقضية بلده العزيز . وهو يغتنم كل فرصة مناسبة لعقد المؤتمرات الصحفية وحضور جميع المؤتمرات العالمية ليثير فيها قضية القدس . وأنا أعترف له بفضل مراجعة كتابى هذا وكان له أثر مشكور فى تصويب بعض ما أوردته وتسديد ما كان يحتاج إلى إلى تسديد — وهو عمل لا يحسنه سواه — جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولو أراد أن يؤلف الكتب لكان إليه المنتهى فى هذا الميدان . ولكنه يؤجل ذلك ولا يبخل على كل طالب بتزويده بأغلى ما لديه من المعلومات التى جهد كثيراً فى سبيل الحصول عليها . ومع ذلك فله كتابان هما :

٥ — تهويد القدس فى أكثر من تسعين صفحة، مزودة بعشرة ملاحق تضم المقررات التى صدرت عن المنظمات الدولية فى تأييد قضية القدس . يضاف إلى ذلك إحدى عشرة صـــورة توضح ما ورد من نصوص . وفيه خارطة لأحياء القدس وأخرى للأراضى التى اغتصبها العدو ليبنى عليها ما يسميه القدس الكبرى .

٦ — العدوان الإسرائيلى على المقدسات الإسلامية فى القدس ، بالحفر والهدم والاستملاك ومصادرة الأوقاف الإسلامية حول الحرم . وهذه

المجموعة على قلة عدد صفحاتها ، فإنها من أوثق المصادر ، لأنها مستقاة من صحف العدو . والخلاصة فلا غنى لكل من يريد الكتابة عن قضية القدس من الاعتماد إلى حد كبير على جهود الأستاذ الخطيب .

وقد ارتكبت سلطات الاحتلال الإسرائيلي جـــريمة أخرى عندما أخرجت سماحة الشيخ عبد الحميد السائح رئيس الهيئة العلمية الإسلامية فى القدس لأنه كان لتصرفاتها بالمرصاد . ولكنها لم تكن لتعلم أنها بعملها هذا فتحت المجال لهذا الوطنى ليقوم بواجبه خير قيام ، فقد أصبح عضواً فى كل جماعة تؤلف للدفاع عن القدس ، كما أصبح يدعى للمؤتمرات العالمية — فهو لا يكاد يعود من مؤتمر حتى يشد الرحال إلى مؤتمر آخر . ولقد جمع بعض مقالاته وخطبه فى كتابين هما :

٧ — مكانة القدس فى الإسلام . طبع فى عمان سنة ١٩٦٨ فى ستين صفحة وقد ترجم الى الفرنسية . وقد أجمل فيه تاريخ القدس قبل الإسلام وبعده ، وبذل جهداً فى توضيح مكانة القدس لدى المسلمين .

٨ — ماذا بعد إحراق الأقصى — طبع فى القاهرة عن دار الشعب سنة ١٩٧٠ فى نحو ٢٧٠ صفحة وهو سجل حافل لنضال الفلسطينيين طوال أيام الانتداب البريطانى . كما يستعرض حرب سنتى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ إلى إحراق الأقصى سنة ١٩٦٩ . وفى الكتاب ملاحق وصور مفيدة .

أما الدكتور اسحق موسى الحسينى الأستاذ الذى حاضر فى كثير من جامعات الغرب وجامعات العالم العربى ، فله كتب كثيرة فى اللغة والتربية والقصة . وخص قضية القدس بكتاب إسمه :

٩ — عروبة القدس ، كان من منشورات مركز الأبحاث فى بيروت . فجاء دراسة علمية جريئة جداً . ولقد سجل عاطفته نحو بلده بقوله :

إنى لا أستطيع أن أكتم شعورى نحو مدينتى العزيزة الحزينة المتشحة بالسواد : إنه ليطيب لى أن أردد ذكرها صباح مساء ، وأن أسبح بحمدها وأن أصف محاسنها وأن أذكر أسماءها وتاريخها وعلماءها ومساجدها وكنائسها ، وكل ما يمت إليها من قريب أو بعيد . أليست هى مسقط رأسى ووطن آبائى وأجدادى ومهبط الأنبياء ومنبع الرسالات ؟؟ والقبلة التى تتجه نحوها قلوب المؤمنين . ليس فى العالم كله مدينة تحاكيها فى ما اجتمع فيها من آثار مقدسة منذ أربعة آلاف سنة إلى اليوم ، ولا فى ماتثيره فى النفس من مشاعر الإجلال والتقديس ، ولا فى ما تبعثه فى القلب من أنس .

الدكتور وليد الخالدى : إبن القدس ، والنازح عنها . وقد استقر فى الجامعة الأميركية ببيروت حيث يمثل هو وعدد من زملائه المثقفين العرب الفهم الحقيقى للقضية الفلسطينية ، وعليه يبنون دفاعهم المعقول بالنسبة لعقلية العصر الحاضر . وهم يتصدون لإفهام كل متطلع أجنبى لجميع جوانب قضيتنا الحساسة ، وبالطبع كانت قضية البراق (المبكى) من أبرز مظاهر هذه القضية ، وقد سجل الخالدى ذلك فى كتابه :

١٠ — الحق العربى فى حائط المبكى بالقدس » وقد نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت سنة ١٩٦٨ ، ومما جاء فى مقدمته « ولا بد أن نذكر أن دفاع الفريق العربى عن حقه فى القدس كان حينئذ يثير الإعجاب ويدل على مستوى رفيع من التصرف المسئول والإدراك العميق لمغزى القدس ولرمزيتها فى أعين العرب والمسلمين . ولقد حشد القادة الفلسطينيون للمثول أمام اللجنة العديد من رجالات البلاد ذوى الاطلاع الواسع على أصول الوضع الراهن للأماكن المقدسة من الناحية التاريخية والقانونية » .

١١ — بلادنا فلسطين — الأستاذ مصطفى مراد الدباغ صدر منه أربعة مجلدات كبيرة .

١٢ — القدس ومعاركنا الكبرى — تأليف محمد صبيح — الجزء الأول من البدء حتى الحروب الصليبية — من منشورات الشعب فى القاهرة فى

٤٤٨ صفحة . ولقد بذل عناية فائقة فى الاعتماد على مصادر العدو لإثبات الحق العربى .

١٣ — أبعاد حريق المسجد الأقصى المبارك الذى نشره الاتحاد العربى للسياحة سنة ١٩٦٩ فى نحو ٧٠ صفحة .

١٤ — تاريخ يوسيفوس اليهودى — طبعة صادر فى بيروت .

١٥ — جغرافية الكتاب وتاريخه — تأليف فوستر كنت وترجمة نقولا يعقوب غبريل — المطبعة الأميركانية — بيروت سنة ١٩٢٧ .

١٦ — قضية القدس — تأليف الدكتور عز الدين فوده — من منشورات مركز الأبحاث — بيروت .

١٧ — القدس عربية عبر القرون — تأليف وجيه أبو ذكرى — طبع فى القاهرة سنة ١٩٦٧ .

١٨ — القدس لا أورشليم — تأليف شريف الراس - بيروت ١٩٦٨

١٩ — القدس - حرب - لا سلام - ملف النهار لهانى المفتى - بيروت ١٩٦٨

٢٠ — مخطوطات البحر الميت — لمؤلف هذا الكتاب - عمان ١٩٦٦ .

٢١ — بن غوريون وبناة إسرائيل - للمؤلف - من منشورات دائرة الثقافة والفنون - عمان ١٩٦٩

٢٢ — مأساة بيت المقدس - للمؤلف . منشورات وزارة الأوقاف عمان سنة ١٩٦٩ .

٢٣ — خمسون عاماً فى فلسطين - تأليف مس نيوتن وترجمة وديع البستانى . منشورات دائرة الثقافة والفنون سنة ١٩٦٧

٢٤ — بين أميركا وفلسطين - تأليف فرانك أمانو بل وترجمة يوسف حنا من منشورات الثقافة والفنون .

25 - The History of Jerusalem, The city of Herod and Saladin by Basant and Palmer, london 1781:

26 - Jérusalem : Mrs. Oliphant, london 1891 ..

27 - Jerusalem, Its Place in Islam and Arab history by Dr. A. Al Tibawi, Beirut 1962.

فهرس الكتاب

كتب مطبوعة للمؤلف

١ — مبادىء التاريخ القديم

٢ — معلومات مدنية

٣ — جغرافية العالم العربي

٤ — التاريخ بالقصص

٥ — إيران

٦ — المغرب

٧ — من تاريخنا ـ مجموعتان

٨ — جرش

٩ — البتراء

١٠ — القصور الأموية

١١ — الحفريات الأثرية

١٢ — مخطوطات البحر الميت

١٣ — بن غوريون وبناة اسرائيل

١٤ — مأساة بيت المقدس

١٥ — عمان في ماضيها وحاضرها

١٦ — رحلة كنغليك

١٧ — قدسنا .

مطبعة الجبلاوى
٢٣ شارع الترعة البولاقية

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٧٩ / ١٩٧٢